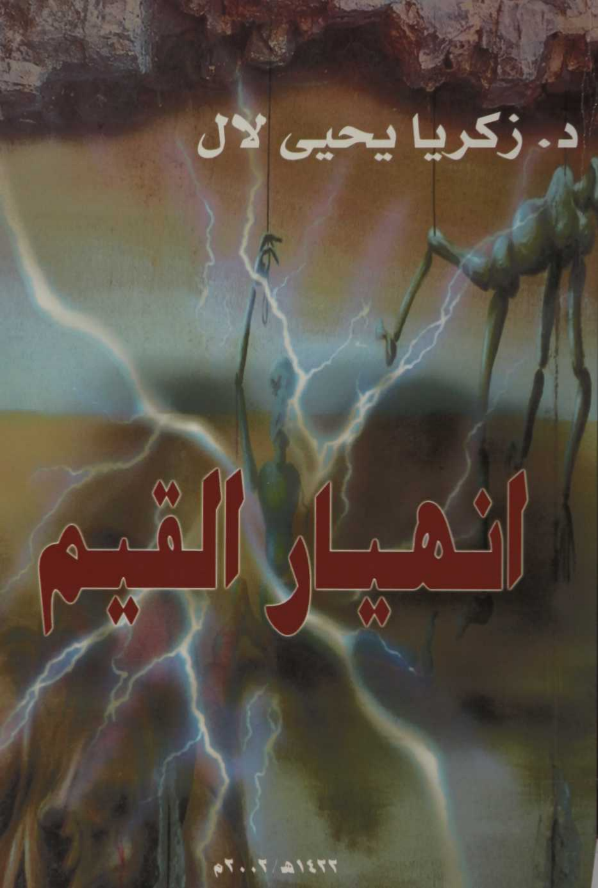
د. زكريا يحيى لال

انهيار القيم



١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لال، زكريا يحيى

انهيار القيم – الرياض

٢٣٥ ص؛ ١٧ X ٢٤سم.

ردمك: ٢-٩٩٦-٢٠-٩٩٦٠

١- القيم الأخلاقية ٢- القيم الاجتماعية ٣- القيم الدينية

أ- العنوان

ديوي ١٢١٨ ٢٢/١٢٨٧

ردمك: ٢-٩٩٦-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٢٨٧

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يحتار الإنسان في هذه الحقبة من الزمن، من التغير الحاصل في حياته، وممارساته، واتصالاته، وكأنه هنا يحكم على ذاته، من خلال نتائج تلك الممارسات والاتصالات بجوانبها المشرفة أو غير المشرفة.

إن الإنسان هو الذي يتحكم في مصيره، وهو الذي يحكم على أخلاقياته، وهو الذي يعرف كيف يكون أو لا يكون في عالم ازدادت مفاتنه، وفي عالم كثرت أحداثه، وفي عالم لم يعد يسلم من الحدث في شره وخيره،

ففي فترات من هذا الزمن وجد الإنسان نفسه أسير تقاليد وأعراف وروابط كانت تحكم تصرفاته، وتتحكم في مسيرته، ومن واقع هذا الحال امتثل للقيم، فصعد إلى قمة الارتقاء في تعامله.

إلا أن الوضع بدأ يشهد تغيرات مثيرة، وتعقيدات لا حصر لها، وزيادة في أعداد السكان، وزيادة في متطلبات الحياة، وزيادة في تكاليف هذه الحياة لمواجهة المستقبل الغامض، ومنها تصاعدت حدة الاهتمام بالماديات، فغدا هذا الإنسان لا هم له إلا ذاته، وحب ذاته، وتحقيق رغباته وفق شهواته الاجتماعية، التي منحته بطاقة إنذار للتحول من عاطفة القيم إلى سقم هذه القيم، وعدم الاهتمام بها، فلم يعد الاتصال الأسري كما كان في السابق بين أعضاء الأسرة الواحدة، ومن ثمَّ حرمنا من مشاهدة الاتصال بين أبناء المجتمع الواحد، والحي الواحد، والمدينة الواحدة حتى القرية الصغيرة.

إن هذا الفاقد سطع معه التمزق والانحراف والقتل والعنف والإرهاب ومظاهر من الفساد الخلقي والاجتماعي والديني والسياسي والاقتصادي، حتى الإنسان الذي لم نتعود على رؤيته، وأصبحت أعمال الاغتصاب، والاعتداء، والسرقة، والاحتيال بكل أنواعه المادية والفكرية من الظواهر التي انتشرت في مختلف المجتمعات المتقدمة منها أو المتخلفة، مما دعا إلى الكشف عن حقيقة تلك المجتمعات بانهيار القيم فيها، رغم التقدم التكنولوجي واكتشافات الفضاء واتساع دائرة المعلومات، والتعامل مع الكمبيوتر والإنترنت والبريد الإلكتروني... إلخ.

إن هذا الكتاب يضم مجموعة من المفاهيم والأخطاء وصور من الأعمال المتدنية، اختار منها المؤلف بعض الموضوعات ما يؤكدعلى أننا ومع استقبال القرن الحادي والعشرين في سقوط لقيمة الإنسان من جراء أفعاله.

ومن أجل هذا نجدد الدعوة إلى معرفة حقيقة واحدة بعد الاطلاع على ما جاء في فصول الكتاب وهي (العودة إلى التحقق من معنى ومفهوم الدين الإسلامي) فإنه الهدف الأسمى للارتقاء والمحافظة على القيم.

د. زكريا يحيى لال

مكة المكرمة - ص.ب ٢٠٧٠
المملكة العربية السعودية
E. Mail: zak-lal@yahoo.com
١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

الفصل الأول

القيم والاتجاهات

أولاً: القيم... ماذا تعني لنا ؟.

ثانياً: القيم والتربية.

ثالثاً: القيم والعاطفة.

رابعاً: القيم والدين.

القيم والاتجاهات

أولاً: القيم... ماذا تعني لنا؟.

من باب العلم بالشيء كمقدمة عن القيم وجدت أن أسجل بعضاً من الأسس القائمة عن القيم.. أو القيمة أو الاهتمام بالمعنى نفسه، وعندما ننظر إلى هذه الكلمة من باب (المنجد في اللغة والأعلام) نجد بدايتها يعود بالفعل الماضي عن (قام) يقوم، قوماً، وقومةً، وقياماً، وقامةً ـ أي انتصب ـ (وقف)، أما قوّم: درأه ـ أي أزال إعوجاجه ـ أما قيّم (بفتح الياء وتشديدها) بمعنى عدّل، وقيِّمٌ (بكسر الياء وتشديدها مع ضم الميم) بمعنى مستقيم، الديانة القيمة: المستقيمة... إلخ.

وجاء في المعجم العربي الأساس (قيم) بمعنى الثمن الذي يعادله، فلان ذو قيمة.. إلخ، وفي المعجم الوجيز: قيمة الشيء، قدره، ومن باب اللغة في كل ما جاء من معاجم وأسانيد على تعريف القيمة أو القيم، جاءت تعني هنا الأساس الصحيح لكيفية نهج الفرد في الحياة، فنحن بصفتنا بشراً ندرك الخطأ من الصحيح، ومن هذا نعلم أن للموضوع قيمة وهذه القيمة واسعة في معناها كقول: إن عمل التربية الإنسانية هو توعية الطلبة بما في الحياة من قيم(١).

وكلمة قيمة أو قيم لها أبعاد فلسفية ونفسية وأيدلوجية واجتماعية لدى كل من هذه الأسس الواضحة، وللفلسفة كلمة في معنى (القيم)،

فهي إما أن يكون لها مدلول ترتبط بالفرد والبيئة والمجتمع والسلوك الذي تتكون منه ومن ذات الفرد، وإما أن تدلنا على اتجاه الفرد بين جماعة وأخرى، وارتباطات الفرد مع نوعية تلك الجماعة من ناحية وما توقف عليه الغالبية في تفسير تلك النظرة.

فالحياة الاجتماعية بسلوكياتها وانغماسها في الحضارات المختلفة هي وليدة تلك القيم أو القيمة المرتبطة بالسلوك الإنساني، ذلك أن حسابات الماضي غير الذي نراه اليوم أو المستقبل من وجود الآلة وتطورها وازدهار تفوقها مما قد يغيِّر في سلوكيات الفرد، وهذا التغيير ارتباط أكيد بما نسميه بالقيم (ولا يعني السؤال ما الذي تعنيه كلمة قيمة؟ "نفس ما يعنيه السؤال، وما هي الأشياء ذات القيمة" ومع أن السؤالين كثيراً ما يختلطان إلا أن الفرق بينهما سرعان ما يتضح إذا ما وجهنا النظر إليه، فقولنا: «إن الدائرة جسم فراغي يحدها سطح واحد كل نقاطه تبعد بعداً متساوياً عن نقطة بداخلها تسمى المركز يختلف عن قولنا إن الأرض دائرة أو ليست دائرة، وقولنا: «إن السلم هو الحالة التي تكف فيها المجتمعات عن اللجوء إلى العنف في فض منازعاته، يختلف عن قولنا «إن العالم الآن في حالة سلم» أو ليس كذلك وبالمثل أن قولاً مثل ما سنقوله فيما بعد عن ما هية القيمة يختلف عن القول بأن السلم ذو قيمة)(٢).

وللعلم بالشيء وجدنا أن نتطرق إلى ما جاء عن القيم أو القيمة حتى نضع واحة عن الشيء الذي سوف نتطرق إليه في الفصول القادمة، وأن

يكون هذا واضحاً لمعرفة المعنى خاصة أن الحديث هنا عن أهمية القيم تلك التي نحن ننشد فيها (الفرد) بكونه إنساناً أن يدركها من خلال النظريات السابقة أو اللاحقة، وللفلاسفة كما أشار (بيري) سؤال فيما تدل (القيمة) أو ماذا يعني الإنسان بالقيمة؟ وقد نكون مع ما ذكرته الدراسات والمعاجم بأنه لا يوجد معنى ثابت لكل ما جاء مقدماً، فلو تناولنا الرياضيات أو علم الفيزياء أو الرموز بكل أبعادها في التحليل والإحصاء للدراسات البحثية لوجدنا أنها تختلف في مظاهر القيمة، إلا أن النتائج الصحيحة للأرقام قد تصبح معروفة وثابتة إذا ما كانت الدراسة قد وضعت في الاعتبار أرقاماً صحيحة، لأن بعض الدارسين قد يعطل هذه القيمة بإدخال أرقام خيالية، فتصبح القيمة هنا ناقصة، وليست صحيحة.

إن القيم تدلنا على الأرقام بشكلها الإنساني، كما تحقق لنا جوانب الصواب والخطأ في سيرة الإنسان بصفته فرداً يناضل من أجل تحقيق ذاته أحياناً، حتى لو كان هذا بالادعاء إلى الصحيح والخروج من السلبيات إلى الإيجابيات التي قد تعتري النسب في المعارك الانتخابية عربياً، وأنها تفقد القيمة، وهذه من سير القيم لدى أصحابها من دول العالم الثالث.

إن (القيم) هنا تعني لنا الشيء الكثير منذ بدء الخليقة التي فطر بها الإنسان ليحيى، ويعمر الكون، ويخوض معارك قد تسعفه لكي يكون عالي الهمة، أو يسقط تحت شرف الإدعاء للقيمة بإيجابياتها وسلبياتها المعروفة، ومع التقدم التقني، وتطور المبتكرات العلمية، وغزو المريخ، وركوب الإنسان

الفضاء لرحلات ترفيهية في القرن القادم، وازدياد حركة الفضائيات (القنوات الفضائية) لتشمل العالم كله، إلا أن الملاحظة، والتجارب، والأبحاث العلمية، واهتمام الفرد بذاتيته المادية أضحت مجالاً للبعد الأخلاقي، ونعني هنا بالبعد الأخلاقي هو عدم التواجد بالقيمة المعتدلة، فغدت مع الإنسان صراعاً لكي تسقطه إلى القاع، وتحمله وزر سوء أخلاقه، إن القيمة هنا تجد الحل المناسب للمشاكل التي تتوارثها الشعوب، ومنها إذا ما وجدت التصحيح الضروري غدت في عداد أهل القيم الراقية أما والعكس فيقال: إنها أضحت مثالاً للانهيار أو السقوط إلى الهاوية.

ثانياً. القيم والتربية:

لا شك في أن قيمة الفرد (الإنسان) إذا ما أجاد في أعماله إيجاباً بأنها تُعدُّ من صلاح التربية، ولكل مجتمع أسراره، ولكل مجتمع خطواته، ولكل مجتمع آفاقه، فنحن ننظر إلى هذا الأساس عن طريق تنشئة الطفل، وتعليمه، وتعزيز دوره بالتربية لمواجهة ما يدور في مجتمعه، وما يمكن أن يغزوه من المجتمعات الأخرى، ذلك أن الدور هنا يبدأ من التنشئة الصحيحة، والتنشئة كما يقول الفلاسفة تبدأ بسؤال عن ماذا تعلم الطفل؟ ويقول علماء النفس: هل تعلم الفرد (الطفل) المعرفة الذاتية[٣] وللإجابة عن هذه الأسئلة نجد أن التربية الصحيحة هي التي تعلِّم الطفل القيم، وهذه القيم من الأخلاق غير العاجلة التي إن أتقنها الطفل أصبح إيجابياً في حياته ووسط مجتمعه، وقد حدد (أفلاطون) في المدينة الفاضلة مثاليات قد تكون هي

من المهمات المطلوبة من الفرد في احترامه للمدنية، وتقديره للذات، بل شعوره بالتقدير نحو الآخرين، وذلك أن المثاليات التي طالب بها (أفلاطون) لم تقدم بالصورة المطلوبة في وقت كانت الحضارة في أوجها، وبساطة الحياة في أرقى تعبيراتها، إما أن تجدها في هذا الوقت تحت ظلال من التعقيدات، والتغيرات التي أعطت الإنسان بكونه فرداً في المجتمع أن يخرج من الأخلاقيات الفاضلة إلى حيز من الصيغ الجديدة نحو استعمال الماديات، وهذا ما أدى إلى جعل القيم تتهاوى أمام ما نسميه باحترام الذات حسب تأهيلها.

إن التربية في الأسرة هي البداية، ومن ذلك ما كنا ندعوه بالتفاخر عن قيمة الفرد، إلا أن التربية في حد ذاتها سقطت هي الأخرى عن الذات، وغدت الأسرة مكبلة بمشاكل لا حصر لها أمام التوجهات الحضارية التي أخذت عقول الأفراد إلى مناحٍ من الترفيه غير البريء، وهذا وحده يحتاج إلى تركيز لإعادة دور التنشئة (التربية) في المنزل، أما التربية كقيمة في المدرسة أو الوسط الحضاري كهدف مباشر قد تغلبت عليها روح الانهزامية من قبل المعلم، ومن ثمَّ لم تكن لإدارة المدرسة السيطرة الكاملة لمواجهة الموقف التربوي مدرسياً، وقد تعدت هذه الوحدة إلى التركيز على التوجيه دون التأكد عملياً من تطبيق القاعدة، فغدا (المعلم) يقدم الدرس بأي الطرق، ويخرج من الفصل كما دخله نظيفاً من أي جهد.

ولعل هذا يعيد لنا التمهيد بأن نركز على التربية لأنها القيمة، وبها

تزدهر سبل القيم، إلا أن الكلام شيء والعودة إلى النظم شيء آخر، لأن ما فات لن يعود بالسهولة التي قد يعهدها الجيل القادم، ومن ثمَّ تقف خيبة التربويين عند التطبيق؛ لأنها سوف تتعثر في يوم من الأيام نتيجة خلل في التربية، وهذا هو الإسقاط الذي قد يذيب الجليد فتبدو (النبتة) مورقة، صفراء، يعلوها الذبول، ويطغى عليها أفق ضائع مع غروب الشمس.

لقد بدأ الصغير لا يحترم الكبير، وأصبح الجاهل رئيساً للعالم، ولم يعرف من هو (الأب)، ولن تعني البنت بأن لها (أم) يجب أن تحترم وغدت القيم صورة من أصل لا أساس له.

ثالثاً. القيم والعاطفة:

العاطفة نوع من القيم، وجزء مهمٌّ من الأخلاق لارتباطها بالإنسانية، وللنفسانيين كلمة نحو العاطفة من حيث إنها أساس الاتجاهات الصحيحة نحو تآلف البشر، ويعلل (ديفيد مكليلاند) الخبير النفساني في جامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة عن نوعية هذا التآلف البشري بأنه جزء من العاطفة المطلوبة في محيط المجتمع، ونقصد هنا الأسرة أو العمل، ويرمز إلى العاطفة بأنها من القيم الراقية، إلا أنه أصيب بخيبة أمل في دراساته الأخيرة عن تفاعل الطفل مع بيئته، لأنه وجد أكثر من (٦٥٪) يذهبون إلى أن العاطفة هي بوجود الماديات، ورغم أهمية المادة إلا أن (ميكليلاند) قال: هي صيحة نحو الهاوية[٤]، أي أن القيمة كانت عاطفة – وأضحت العاطفة

مجردة من الأحاسيس، ورغم التعاطف في المجتمع الإسلامي، أو المجتمع العربي تكاد تكون لها وجهة أخرى من غير المجتمعات الغربية، إلا أن الحقيقة تكاد تكون قريبة، ولنأخذ أمثلة من واقعنا المؤلم فيما يذكره الإعلام لدينا، وخاصة الصحافة اليومية من أن ابناً يقتل والده، وابن يهرب بوالدته في دار العجزة، وأن ابنة تطرد أمها من دارها إلى آخر الروايات الحقيقية التي أبعدت جزءاً كبيراً مما نعرفه عن العاطفة المصحوبة بالمشاعر الرقيقة التي تتمثل في الدين الإسلامي، غير أنني أعيد هذه السابقة إلى فقدان الوازع الديني أساساً، فالإسلام نادى بالإنسانية، وركز على الوالدين والإحسان إليهما فقال تعالى: ﴿ **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** ﴾ ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ والإسلام أحسن إلى الفرد وعلّم الفرد الشيء الكثير إلا أن التطبيق غير وارد لبعض الشرائح من هذا المجتمع، فطغت الماديات وذابت العواطف.

يقول (باولو فيريرا) أحد أساتذة الثقافة بجامعة (هارفارد): لقد انخفض مفعول العاطفة بين البشر خلال هذه الأيام، ولم يعد التعاون السابق ملموساً، حتى بين الأبناء في الأسرة الواحدة[٥]، وهذه واحدة من الأمثلة تمثل وجهة نظر دراسية عن قيمة العاطفة وأيضاً القيم والعاطفة.

رابعاً: الدين والقيم:

أعطى الدين قوة للفرد في تصرفاته، وإزاء ما يسايره من شكوك نتيجة اختلافات قد تكون صحيحة وقد لا تكون، والواقع أن للدين الإسلامي مجالاً رحباً في إثبات أهمية القيم، فجاء القرآن الكريم يحمل دستوراً عاماً للأمة الإسلامية في تحديد الكثير من الأسس وبيان الحكم فيها، بالإضافة إلى السنة والإجماع الذي أتاح الفرصة للنقاش والخروج بأحكام شرعية تنَفذ على الجميع وتقدم إلى الجميع.

وقد أثبتت المملكة العربية السعودية في قيادتها الحكيمة التزامها بدستورها الخالد في تطبيق الشرع على الفرد أياً كان، وهي الدولة الوحيدة التي تطبق التشريع وتقيم الحدود، بالإضافة إلى عدد من دول الخليج العربي وبعض الدول الإسلامية، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[٧].

إن ما جاء في هذه الآيات بياناً للقيم وصراطاً مستقيماً لمن أراد الاستقامة، والدين الإسلامي في بلاغته وفي توضيح أحكامه الشيء الكثير الذي يفيد الأمة، إلا أن البعض لم يرتدع، وانصرف عن الدين، وهذا في حد ذاته طريقاً إلى التهلكة وإلى غياب القيم، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي أحد كبار علماء الدين في مصر رحمه الله: «إن الانصراف عن

الدين يبعد الفرد، الإنسان عن الأخلاق[٨]، وهو هنا يصور لنا الأخلاق بالقيم التي لو استطاع (الفرد، الإنسان) المسلم أن يحافظ عليها لكان أسعد الناس، إلا أن طغيان المادة، والجري وراء الشهوات وحب الذات أفقدت الإنسان تلك الحسنة، وأصبح بلا قيم وبعيداً عن الدين، وكثيراً ما نقرأ عن السرقات ونسمع عن اللصوصية، وعوامل الاغتصاب والإكراه على الأعمال المنافية للآداب وانتشار الرشوة، والفساد الذي شمل جميع المجتمعات.

مراجع وهوامش الفصل الأول:

١- رالف بارتن، (١٩٦٨) آفاق القيمة (مترجم) القاهرة صفحة ١١.

٢- رالف بارتن، (١٩٦٨) آفاق القيمة (مترجم) القاهرة ص ١٢.

٣- Mary. Gebson (1998) How working class kids, NY, p 121

٤- Daved Morgan (1998) Personality Tests, Middle East Journal, P 33

٥- Paulo Freire (1997) Teachers As Cultural Workers, Boulder, Co. P 261.

٦- سورة التوبة - الآية - (٣٣).

٧- سورة الشورى - الآية (١٣).

٨- محمد متولي الشعراوي (١٩٩٥) مجموعة أحاديث الشعراوي، مكتبة الأزهر، القاهرة، صفحة ١١.

الفصل الثاني

اغتصاب الدول من اغتصاب البشر!

أولاً: الغزو العراقي للكويت !!

ثانياً: اغتصاب الحجارة.

اغتصاب الدول من اغتصاب البشر

أولاً: الغزو العراقي للكويت:

في (٢) أغسطس ١٩٩٠م سجّل الرئيس العراقي (صدام حسين) منعطفاً خطيراً عندما غزا الكويت، وقام باحتلالها بعد أن أرسل قواته لهذا الغرض في ظل هدوء من الجيران، وفي دواعي عالمية لم تكن تنتظر مثل هذا الحدث، وقد سبق الحدث تهريج، وكلام، لم يكن مكان جدية من قبل نعرب. بل كان صحيحاً في ذهن افتراءات (صدام حسين) الذي حاوره البعض وكان آخرهم الرئيس المصري (حسني مبارك) الذي حاول وقف الغبار الحاقد، والنية الخبيثة، إلا أن تعنت الرئيس العراقي لم ترض إلا صلفه وغروره فاحتل في ظرف ساعات دولة شقيقة، لا يمكن أن تقاوم حتى لو وجدت الظروف والحل.

لقد احتل العراقيون الكويت، وخلال ساعات دمروها، وفعلوا فيها ما لم يفعل التتار والمغول في بغداد، وقد قاوم بعض أهلها، إلا أنها لم تكن عملية سهلة، فاغتُصبت النساء، وقُتل الشيوخ، وعُذب الشباب، وضاع الأطفال بين أكوام الرمال والسلاح، وسُرقت الأموال، ونُهبت الممتلكات، وأصبحت ودائع قريبة تنقل إلى العراق، لقد كانت فاجعة مؤلمة، وحدث لم يكن في الحسبان، إلا أننا لو عدنا إلى التاريخ فنجد أن الكويت لها ارتباط بالعراق،

فمنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١م بعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية أكثرها تقلباً وتوتراً وقلقاً هي العلاقات السياسية بين البلدين، حيث كانت أنظمة الحكم في العراق تنتقل من المطالبة بمناطق حدودية إلى المطالبة بالكويت على أنها جزء من العراق بين الحين والآخر، ثم تعترف بالكويت كياناً مستقلاً، وتعود لتطالب بها مرة أخرى، ولم يكن سبب ذلك تغير وتقلب الحكومات في العراق، ولكن لتجدد المواقف المتناقضة لدى الحكومة الواحدة، ولا أوضح من اعتراف العراق باستقلال الكويت وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها عام ١٩٦٣م ثم عودة نفس النظام إلى التحول من موضوع مشاكل حدودية وجزر ومنفذ بحري إلى غزو الكويت واحتلالها بالكامل في أغسطس ١٩٩٠م(١).

كانت العلاقات بين الكويت وجيرانها تمر بمرحلة صعبة في العشرينيات والثلاثينيات وانعكس ذلك على الوضع الاقتصادي للكويت، حيث تأثر سلبياً، ولقد شهدت الثلاثينيات ثلاثة أحداث فيما يتعلق بالكويت، الحدث الأول كان ظهور النفط واكتشافه في الكويت ومؤشرات ذلك الاكتشاف أنه متوافر بكميات اقتصادية كبيرة، والحدث الثاني كان حركة المجلس التشريعي عام ٣٨ / ١٩٣٩م، وقد أثيرت مسألة الحدود فيما بعد لمرات متوالية حتى عهد عبدالكريم قاسم الذي طالب بضم الكويت في ٢٥ يونيو ١٩٦١م ومرت من هذا التاريخ أزمات متوالية، واحتلال نقاط صغيرة من الأراضي الكويتية رغم أن الكويتيين كانوا كرماء إلى أبلغ الحدود مع

العراقيين في كل التعاملات حتى المساعدات الضخمة التي وصلتهم عند حربهم مع إيران والتي قدرت بأكثر من ٢١ مليار دولار[٢].

من خلال ما تقدم لا أود أن أعود تاريخياً إلى الحدث الذي مزق الأمة العربية إلى شطرين، وإلى حيثيات احتلال العراق للكويت، من غير إشارة إلى دور المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين في الوقوف مع الكويت حتى تم تحريرها وإعادتها إلى أسرة آل الصباح من جديد، كما أن للولايات المتحدة الأمريكية، وجيوش الحلفاء، كان له أكبر الأثر في عودة الكويت للكويتيين بعد حرب مزقت قوات (صدام حسين) براً وجواً وبحراً وعلمتهم درساً لن ينسوه.

لقد كتب من المخلصين في الإعلام في مختلف مجالاته ألواناً من الشعر، والنثر، معبرين عن ما دار في خلدهم من معلومات، ومن تعليقات، ومن عواطف أدت إلى مشاركتهم للحدث بكل أبعاده، فقد كتب الدكتور غازي القصيبي الوزير والسفير المبدع شعراً ونثراً عن الحدث، مما كان له أثراً كبيراً في الأجواء والنفسيات، كما أشارت إلى هذا بشعرها البراق الأميرة الدكتورة سعاد الصباح، وقد اخترت بعضاً من متابعاتي لكليهما لذات الأهمية، يقول الدكتور غازي القصيبي في زاويته الشهيرة أثناء الحدث في جريدة الشرق الأوسط تحت عنوان (في عين العاصفة) :

قوات الأمجاد العريقة تغزو الحديقة[٣].

* لم أستغرب فتك المهين الركن بالعرب من الجيران وغير الجيران.. لأني لا أعتبره عربياً.

* ولم أستغرب سفك المهين الركن دماء المسلمين من شعبه وبقية الشعوب.. لأني لا أصدق ما يدعيه من نزعات إسلامية.

* ولم أستغرب ذبح المهين الركن البشر من جميع الأصناف.. لأني لا أصنفه من عداد البشر.

* ولم أستغرب سرقة المهين الركن كل ما في الكويت ومتاجرها ومخابزها وسوق ذهبها.. لأني أعده مجرد قاطع طريق.

* ولم أستغرب اغتصاب المهين الركن وقتلته للأعراض في الكويت.. لأني أعتبره مجرداً من كل شرف.

* ولم أستغرب خيانة المهين الركن.. لأني لم ألحظ من قبل في تصرفاته رائحة وفاء.

* ولم أستغرب استسلام المهين الركن لإيران على هذا النحو العجيب.. لأني لم أصدق أنه انتصر.

* ولم أستغرب احتماء المهين الركن خلف العزل من (الدروع البشرية).. لأني أعده أجبن الجبناء.

* ولكني أعترف أن الذي أذهلني وحيرني وفاجأني ولم أجد له تبريراً أو تفسيراً أو تعليلاً هو ما تناقلته وكالات الأنباء مؤخراً من أن جنود المهين

(الأشاوس) دخلوا حديقة حيوانات الكويت دخول الفاتحين .. وأكلوا ما فيها من حيوانات ذئباً ذئباً .. وثعلباً ثعلباً .. وأفعى أفعى.

* هذا ما يستعصي على كل محاولة للفهم .. كيف يفعل المهين هذه الفعلة النكراء بالحيوانات؟!!

ويكملها (القصيبي) شعراً تحت عنوان:

مرثية فارس سابق[٤].

عجباً! كيف اتخذناك صديقاً؟ ... وحسبناك أخاً براً شقيقا؟
وأخذناك إلى أضلاعنا ... وسقيناك من الحب رحيقا
واقتسمنا كسرة الخبز معاً ... وكتبنا بالدما عهداً وثيقا
وزرعناك على أجفاننا ... ونشرنا فوقك الهدب الوريقا
وزعمناك، ولم تبرق، سناً ... وكسوناك، ولم تلمع، بريقا
سيفنا كنت! تأمل سيفنا ... كيف أهدى قلبنا الجرح العميقا
درعنا كنتَ! وهذا درعنا ... حربة في ظهرنا شبت حريقا
جيشنا كنت! أجب يا جيشنا ... كيف ضيعت إلى القدس الطريقا
ذلك العملاق ما أبشعه ... في الدجى يغتال عصفوراً رقيقا
مسخ الفارس لصاً قاتلاً ... مسخ الفارس كذاباً صفيقا
رحمة الله عليه... إنه ... مات.. هل عاش الذي خان الرفيقا

وتشدو الدكتورة سعاد الصباح قائلة:[٥].

- ١ -

عن كل شبر ظاهر من أرضنا
سيرحل المغول
ويرجع البحر إلى مكانه
ويرجع النخل إلى مكانه
ويرجع العشب الكويتي إلى عنوانه
وترجه الشطآن والأمواج والحقول
وتشرق الشمس بكل بيت
وترجع الكويت للكويت

- ٢ -

سنغرق التتار في بحارنا
سنغرق التتار
ونسترد حقنا بالسيف والصمود والإصرار
إن الشعوب وحدها لا تقدر الأقدار
لن يستطيعوا أبداً..

أن يرجعوا عقارب الساعة للوراء
ويقلبوا ملامح الأرض وجغرافية السماء
وقتلوا الأشجار، والأمطار، والحياة، والأحياء
لن يستطيعوا أبداً
أن يغسلوا سيوفهم بالنفط والدماء.

-٣-

سنطرد الذباب عن أجفاننا
سنطرد الذباب
لن يستطيعوا أبداً أن يشطبوا أسماءنا
لن يستطيعوا أبداً
أن يسرقوا الدماء من عروقنا
ويجهضوا نساءنا
ويمنعوا تفتح الأزهار، أو تجدد الفصول
سنطرد المغول

-٤-

سنرجع الكويت مهما امتدت الأيام

ونرجع البحر إلى زرقته
ونرجع الفجر إلى حمرته
ونرجع الطفل إلى لعبته
ونرجع الأبراج في الكويت مستقيمة
ونرجع الحمام

-٥-

سنرجع الكويت.. مهما أطبق الظلام
ونرجع الديرة.. والأخوال.. والأعمام
وننقذ الرسول من آثامهم
وننقذ الإسلام..

-٦-

سنرفع المصحف في يميننا
ونرفع السيوف في شمالنا
ونهزم الغزاة مهما عربدوا، واستكبروا
وأحرقوا.. ودمروا
لا يعرف التاريخ في مساره

طاغية لا يقهر..

-٧-

سوف نظل دائماً وراءهم
نقذفهم بالنار، والبروق، والزوابع
سوف نظل دائماً وراءهم
نضربهم بالغضب الكبير
بالقضبان بالأموال بالفؤوس بالكؤوس
بالكعوب، بالبراقع
سوف نظل دائماً وراءهم
نتبعهم من منزل لمنزل
من شارع لشارع
حتى تعود الشمس والحب لكل بيت
وترجع الكويت للكويت

-٨-

لن تنتهي المقاومة
لن تنتهي المقاومة

حتى يعود مواطني جزيرة للحب والسلام

وترجع الكويت مثل دانة جميلة

في شاطئ الأحلام

ولعلي قبل أن أغلق هذا الجانب من المأساة التي عاشها الشعب الكويتي أوضح جزءاً من النتائج الاقتصادية لأزمة الخليج، فقد كان التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩١م قد قدر الآثار السلبية المباشرة للأزمة (الغزو والحرب) بما يتراوح بين (٦٠٠، ٨٠٠) بليون دولار ودقق التقرير في العدد التالي لعام ١٩٩٢م هذا التقرير ووصل به إلى رقم (٦٧٦) بليون دولار تصنف إلى ما يلي:[٦].

* الانخفاض الحاد في النمو الاقتصادي في كل من الكويت والعراق خاصة وبدرجات أقل في الدول العربية عامة، وتقدر الخسائر الناجمة عن هذا الانخفاض بنحو (٩٧) بليون دولار.
* الزيادة الكبيرة في الإنفاق الحكومي بسبب التعبئة الدفاعية في عدد من الدول العربية، وتقدر هذه الزيادة بنحو (٥٦) بليون دولار.
* التحويلات الرسمية التي خرجت من دول الخليج أساساً ولم تصل إلى الدول العربية الأخرى، وتقدر هذه التحويلات بنحو (٥١) بليون دولار.
* أما أهم جوانب الخسارة الاقتصادية فهي الدمار الذي لحق بالمؤسسات والمنشآت الاقتصادية والبنية الأساسية في كل من (الكويت والعراق)

وتقدر قيمته بنحو (٢٤٠) بليون دولار للكويت، و(٢٣٢) بليون دولار للعراق.

والخلاصة مما تقدم نجد أن غزو العراق للكويت تسبب في الكثير من المآسي للعراق، وللكويت، وللدول المجاورة، ولمن كان يعمل في الكويت، وأيضاً للحركة في الخليج العربي، ونستطيع أن نقول:

١- إن (المليارات) من الدولارات التي نهبت من الكويت.

٢- حرق الآبار، وانهيار البنية التحتية للكويت.

٣- المليارات التي صرفتها دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية من أجل المساعدة في الحرب، ومن أجل استعدادها لما سوف تواجه من جراء الغزو.

٤- المصروفات التي تم تجهيزها للجيوش المشاركة وإمدادها.

٥- الخسائر التي توالت على دول الخليج من جراء توقف بعض المنشآت عن التصدير وخاصة (النفط).

٦- ما ترتب على منصرفات الدول الخليجية وخاصة (السعودية) فيما يتعلق بتقليص المصروفات على بعض المشروعات أو تأخير البدء فيها.

٧- الحالة النفسية التي يعيشها (الكويت) ودول الجوار بالخليج من جراء الغزو، وترقب الغزو، ونتائج الغزو، والظروف الأخرى المؤلمة للاستعداد لأي طارئ فيما بعد.

٨- الحالة النفسية للأسر الكويتية من جراء الأسرى وعدم عودة الأغلبية من العراق.

٩- ما يتبع هذا من نتائج بعد الحرب، وما سمعنا عنه فعلاً، وما قرأت عنه من الأحداث التي وقعت في الكويت، والتي تقع بين آونة وأخرى من الأطفال، ومن الكبار أيضاً.

بعد كل هذا ألا يعني أننا من خلال ما سببه استبداد الحاكم العراقي يُعدُّ انهياراً للقيم، ونقول لو لم يكن هذا الحادث لكان الناتج لصالح الكويت والعراق والدول العربية، ألم يكن حقاً أن يجهز صدام حسين جيوشه بالتعاون مع الدول العربية، والأموال التي صرفتها له دول الخليج عوناً لتحرير القدس؟ بدلاً من اغتصاب بلد شقيق بكل ما فيه من القيم !! إن السؤال صعب هنا بعد هذه المحنة، والإجابة تكاد تهز البدن من سقوط القيم التي ظهرت في أواخر هذا القرن.

ثانياً. اغتصاب الحجارة!!

تعرض الفلسطينيون لأقسى نوع من المعاناة منذ ١٩٤٨م حتى اليوم، بل حتى الغد من عدو جاحد، أغتصب الأرض، وجلس عليها، تلك قصته (٥٠) عاماً من الاحتلال اليهودي (الإسرائيلي) لفلسطين نذكرها في سطر واحد مع بداية حديثنا عن أقسى الاغتصابات في تاريخ الأمم، لقد كنا ونحن صغاراً نشفق على إخوة لنا من فلسطين يجوبون العالم قهراً، وطرداً من

ديارهم، ويهودي يمزق الخريطة إلى أجزاء يحتل منها أكبر جزء من أرض الخيرات لكي يعبث فيها، وفلسطيني هو الأصل لتلك الأرض يبحث عن مأوى!! وثمة سؤال يطرح ذاته... إلى متى تظل فلسطين مغتصبة؟!. إن الإجابة تبحث عن خمسين عاماً مضت، وأياماً أخرى قادمة، ودخول قرن جديد، والآلام تبحث عن مخرج لها، فأصحاب الأرض والكيان في محنة متواصلة من أجل عودة الأرض، أو حتى أجزاء منها!! بل إن الإجابة تبحث عن حل، ولكن يا ترى هل من حل فعلاً؟ إن الأمة العربية لا تزال في صراع بينها، وتركت للفلسطينيين البحث عن مستقبل!! وذهب الفلسطينيون بعد صراع مرير مع الحدث لكل مكان من أجل إيجاد صياغة جديدة للتعايش السلمي مع اليهود المغتصبون بعد أن فشلت كل أنواع الحرب إلا الحجارة فقد شهدنا معارك واقعية، وتضحيات بالأم، والابن، والابنة، والأب، حتى الطفل الفلسطيني الذي ضحى من أجل عودة فلسطين.

سنوات مرة عاشها أبناء فلسطين في ظل الاحتلال الإسرائيلي، وسنوات شهدت معارك استعمل فيها أبطال فلسطين في الداخل (الحجارة) ومن الحجارة فازت تلك الشريحة المؤمنة بالله، بأن لها حق يجب أن يعود آجلاً أم عاجلاً! وبالحجارة قهر الفلسطينيون حملة السلام والبنادق السامة والرشاشات، وعن طريق الحجارة أشعل أبطال (حيفا ويافا والقدس) الأرض تحت المحتلين حتى وصلوا (أي اليهود) إلى مرحلة أعلنوا فيها مبطناً أنهم لن يقدروا على مواجهة أصحاب الأرض!!.

نعم أنهم أبطال الحجارة، وأبطال القوة، وأبطال الصمود، إلا أن الحجارة فيما بعد تم اغتصابها، لأن بعضاً من أصحاب الأرض فضلوا الاستسلام واللجوء إلى حكاية (السلام مقابل جزء من الأرض) لقد تعب الكبار من وراء الحجارة وهم لم يلمسوا حجراً واحداً للدفاع عن الأرض السلبية.

لقد اغتالوا الحجارة وذهبو إلى السلم وتنازلوا عن الكثير في غمرة المزاعم، وفي بعد عن الواقع، أليست هذه الحكاية من سقوط القيم لدى بعض أصحاب الأرض! ودعوني هنا أقرأ لكم ما جاء بعد خمس سنوات من اتفاقية السلام.

يبدو الفلسطيني ياسر عرفات قوياً على الجبهتين الداخلية مع الفلسطينيين والخارجية مع إسرائيل، بالرغم من سنوات خمس صعبة وقاسية من عمر الاتفاق في (أوسلوا) جرت عليه وعلى سلطته انتقادات واتهامات واسعة، فمع بدء تطبيق الاتفاق كان على قائد الثورة الفلسطينية التي اضطرت دائماً للعيش تحت وصاية العديد من دول المنطقة، أن يؤهل قياداته ذات الطابع العسكري لحكم مجتمع مدني من حوالي ثلاثة ملايين شخص لم يألفوا سوى بطش الاحتلال الإسرائيلي.

لكن تفاصيل الوضع على الأرض كانت أكثر تعقيداً، فهناك قطاع (غزة) الذي أخلت إسرائيل حوالي (٦٠٪) منه وفصلته عن العالم الخارجي، وعن الضفة الغربية ببوابة تفتحها وتغلقها متى تشاء، وعلى

الجبهة الأخرى كانت الضفة الغربية قد قسمت إلى كانتونات متفرقة بفعل إغلاق القدس أمام الفلسطينيين ومواصلة سيطرة إسرائيل الأمنية الكاملة على أكثر من (٩٠٪) من مساحة الأرض الفلسطينية، وإضافة إلى هذا التعقيد الجغرافي السياسي، كانت هناك عوامل فلسطينية داخلية تتفاعل بصعود وهبوط مرتبطة بالعلاقة الشائكة التي خلقها اتفاق (أوسلوا) بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل من جهة، والسلطة والمعارضة الأصولية المسلمة الممثلة بحركتي (حماس والجهاد الإسلامي) من جهة أخرى[٧].

إلا أن المواجهة التي رسمت بداية صعبة وحساسة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي اليميني السابق (بنيامين نتنياهو) وحصدت أكثر من قتيل في صفوف الطرفين من جراء العمليات المتبادلة، مما أدى إلى لقاء قمة في البيت الأبيض الأمريكي، ومن البيت الأبيض إلى اجتماع مفاوضات في منتجع (واي بلانتيشن) بين الوفد الفلسطيني والوفد الإسرائيلي والرئيس الأمريكي (بيل كلنتون) وكان النقاش يدور في الآتي[٨].

١- الانسحاب، فقد اتفق على النسبة (١٣,١٪) وتقسيمها إلى قمسين (١٠,١٪ + ٣٪) وعلى أن تكون (٣٪) قرب بيت لحم في المنطقة الصحراوية محمية طبيعية تحت سيطرة فلسطينية إدارياً، وإسرائيلية أمنياً (أي منطقة ب) شرط أن لا يبني فيها الفلسطينيون طوال الفترة الانتقالية.

٢- الانسحاب الثالث، فبعد أن كان (نتنياهو) مصراً على أن تكون نسبة

(١,٢٪) وتحدد من الآن أحد الفلسطينيين ووافق الأمريكيون قبل (نتنياهو) أن تقام لجنة ثلاثية تحدد موعد الانسحاب الثالث ومساحته.

٣- هناك أمور جرى التفاوض حولها في الماضي ولم تنفذ بسبب جمود العملية مثل فتح مطار (غزة) وميناء (غزة) والمعبر الأمني، والمنطقة الصناعية في كارني وغيرها.

حقيقة من خلال ما قرأناه عن الاتفاقيات السلمية، وعن الصلف اليهودي، تجاه القضية، وعن التنازلات التي تتزعمها منظمة التحرير الفلسطينية من أجل إيجاد صياغة توصل الجميع إلى حل مرضٍ، إلا أنها في ظل التهميش للقضية، وأبناء فلسطين، صحيح أن عملية السلام إذا كانت متكافئة قد تعطي الموضوع أهميةً بالغة للاستقرار على أرضية خصبة، إلا أن اليهود في هذا الوضع لا يؤمن لهم جانب، ولذلك نرى أن الحديد لا يفل إلا بالحديد، ولكم نأسف (للحجارة) السابقة التي علمت اليهود درساً بليغاً في المقاومة، فشتان بين قوة عسكرية تستعمل الآلة في المواجهة والكبح والقتل، وقوة تؤمن بالرسالة، آلتها الحجارة؛ لأنها انتصرت على الحثالة، غير أنها اغتصبت وهي في أشد حالة، ولنقرأ كدليل على هذا ما كتبه الدكتور (أحمد الربعي) وزير التعليم العالي الكويتي (سابقاً) والكاتب المعروف:(٩).

لماذا الهرولة؟!

نريد أن نعرف سر العجلة والهرولة التي تمارسها السلطة الوطنية الفلسطينية في مسلسل التنازل الذي تمارسه بحق الأراضي العربية في فلسطين ونتساءل من الذي أعطى هذه السلطة الحق بالتنازل عن حقوق تاريخية لملايين المشردين واللاجئين، ولماذا في كل مرة ترضخ هذه السلطة لمطالب (نتنياهو) وآخرها حكاية أو مهزلة (المحمية الطبيعية) وهل يجوز أصلاً بأي منطقة أو حجة سياسية أو تاريخية، أو بسبب اختلال موازين القوى، التنازل عن حقوق واضحة كالشمس، ما تفعله السلطة الوطنية هو فضيحة وطنية، وهو محاولة لصرف اهتمام الناس عن القضية العربية، فكثيرون يقولون : إذا كان هذا ما يريده الفلسطينيون فما شأنكم أنتم، وإذا كان أهل القضية يريدونها بهذه الطريقة فلماذا تدسون أنوفكم في شأن ليس شأنكم، والسلطة الوطنية تصرخ في كل لقاء أو اجتماع عربي بضرورة موقف عربي صلب (لصالح قضية العرب الأولى) ثم تقوم هذه السلطة نفسها بالتنازلات التاريخية المهينة والتي لا سبب يبررها، ولا سند من منطق أو عقل أو تاريخ يبررها، إذا كنتم لستم قادرين على تحقيق انتصارات فلا توقعوا الهزائم، وإذا كنتم لستم قادرين على تحرير الأرض نحن نقدر ظروفكم فعلى الأقل توقفوا عن مسلسل التنازلات عن الحقوق.

ما يحدث مأساة وملهاة، وإسرائيل تعرف تماماً ماذا تريد، ورئيس الوزراء

الإسرائيلي أصبح (يعرف خصومه) حق المعرفة، ويتشدد لأنه يدري أن الآخرين سينحنون صاغرين، اللهم لا شماتة!!

وأعود مجدداً لأقول بأن للمملكة العربية السعودية حكومة وشعباً وأرضاً وقفات أمينة ومستمرة، ووقفات يجب أن تقدر لأنها فاقت كل الوصف منذ عهد المؤسس الباني الملك عبدالعزيز يرحمه الله، فهناك التبرعات المالية الضخمة، وهناك المعنويات الكبيرة التي ترسم خطواتها لصالح فلسطين وشعبه.

مراجع وهوامش الفصل الثاني:

١- عبدالملك التميمي. (١٩٩٥) العلاقات الكويتية العراقية، الغزو العراقي للكويت عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٩٥ ص (٤٧).

٢- عبدالملك التميمي (١٩٩٥) العلاقات الكويتية العراقية - العدد ١٩٥ ص (٥٣).

٣- غازي القصيبي، الشرق الأوسط، لندن، العدد ٤٣٢٠ في ١٢ / ٨ / ١٩٩٠م صفحة (٥).

٤- غازي القصيبي. الشرق الأوسط، لندن، العدد ٤٢٧٥ في ١٢ / ٨ / ١٩٩٠م صفحة (٤).

٥- سعاد الصباح. الشرق الأوسط، لندن، العدد ٤٣١٣ في ١٩ / ٩ / ١٩٩٠م صفحة (٤).

٦- الغزو العراقي للكويت (١٩٩٥) كتاب المعرفة، الكويت، العدد ١٩٥ صفحة (٦٨٠).

٧- الشرق الأوسط، لندن، العدد ٧٢٢٧ في ٢١ / ٩ / ١٩٩٨م صفحة (٣).

٨- أحمد الربعي. بالمقلوب، الشرق الأوسط، لندن، العدد ٧٢٤٩ في ٣ / ١٠ / ١٩٩٨م، السنة (٢١) صفحة (٣).

الفصل الثالث

الجريمة لا وطن لها!!

أولاً: القتل والاغتصاب والإرهاب.

ثانياً: الفاحشة والاختطاف والدعارة.

ثالثاً: الانتحار والشذوذ والشعوذة.

الجريمة لا وطن لها!!

أولاً: القتل والاغتصاب والإرهاب:

ليس هناك تاريخ معين للجريمة، وأنواعها، بل هي قديمة، قدم نشأة الإنسان، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لكي يعمر الأرض أو يدمرها، وهذا ما قرأنا عنه في السابق وما نسمع ونعرف عنه حالياً، بل لقد زادت الجريمة، وتعددت حدودها فغلب على الإنسان أشياء لم تكن ظاهرة من السابق، والظاهر أنه كلما تقدمت الحياة بشكلها الذي لم نتعوده إزداد فجور الإنسان وطغيانه، وقد عرفنا على مدار التاريخ قصة (هابيل، وقابيل) وما تلاها من قصص القتل والاغتصاب والتعذيب، ومع نمو أعداد السكان في العالم إزداد معه القتل، والحقد، والجبروت، والطغيان والقسوة حتى أصبح الابن يقتل أباه، والابنة تطرد أمها، والزوج والزوجة يتنكران لبعضهما بعضاً.

ومع استخدام الإنسان للتكنولوجيا المتطورة طغت الماديات على التعامل الروحي، الأخوي البريء، وأصبح كل واحد من بني البشر له مآرب لا يعلم منها شيئاً سوى الخالق سبحانه وتعالى.

وقد تراخت الأخلاق الحميدة إلى درجة متدنية، فعصفت بالعالم في كل مكان أعمال الاغتصاب، وأفعال الفاحشة بكل ألوانها، رغم وجود

الدستور الذي يحمي الفرد من الانزلاق إلى هذه الهاوية وهو (القرآن الكريم) ورغم وجود القوانين الأخرى لدى الكثير من الشعوب، وهي التي تحكم الجميع ضد أي عمل مخل، إلا أنها سادت أنواع من الفساد في سائر البلاد والأمم فأصبح المدرس يغتصب تلميذته، والأب يرتكب أكبر المعاصي مع ابنته، والأخ يعتدي على زوجة أخيه، ومجموعة تدعوا إلى الإرهاب فتعتدى على الآمنين بسرقة الطائرات وترتكب أعظم الجرائم بتحطيم الطائرات على العمران والأنفس وهو ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وأنواع نقرأ عنها في الصحف والمجلات من كل بلاد الدنيا فتقشعر لها الأبدان، وتتألم العناصر المخلصة (المؤمنة) بربها من وضع غير صحيح، ذلك أن البعض في هذا العالم، ومن خلال هذا العالم فقد :

أ- الوازع الديني : الذي يأمر وينهى لكل شيء وفق قاعدة سامية .

ب- التربية الأسرية الصحيحة : في المحافظة على نفسها، ثم متابعة أبنائها وتنظيم شؤونهم .

ج- التربية المدرسية : التي تعلم الطفل و(الفرد) الصواب من الخطأ وفق قاعدة من السلوكيات والضوابط .

وقد آثرت أن أوضح بأننا فعلاً فقدنا أجزاء كبيرة من القيم، ولنا أن نقرأ بعض النماذج التي أعرضها هنا، مع التوضيح والبحث عمّا يفيد للمعالجة، ففي مجال القتل والاغتصاب :

أصغر قاتل في العالم عمره ثلاثة أعوام:

دخل طفل بريطاني في مشاجرة مع أحد أقرانه ليتحول إلى أصغر قاتل في العالم وهو في سن ثلاثة أعوام، وتقول السلطات القضائية أن هذا الصغير غير ممكن محاكمته نظراً لصغر سنه، وكان الطفل (لويس ويدج) ويبلغ من العمر ثلاثة أعوام أيضاً قد عثر عليه ميتاً في بركة عمقها (٦ بوصات) أسفل جسر لسكة حديدية، وكان الصغيران يتمشيان في غابة وبرفقتهما صبية تبلغ من العمر (١٣) عاماً تعاني من إعاقة عقلية، وأكد تحقيق من قبل المحقق في أسباب الوفاة في مدينة (يوركشير) البريطانية، أن الطفلين دخلا في مشاجرة بعد قيام (لويس) برش رفيقه بمياه البركة، وتعرض لويس للضرب في وجهه ليسقط على الأرض وقام الطفل الآخر بالوقوف على ظهره وحجزه تحت الماء، وقالت الصبية أنها حاولت جاهدة مساعدة (لويس) لكي يقف على قدميه إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وبعد مغادرة الصبية وصديق (لويس) مسرح الحادثة في طريقهما إلى منزليهما على بعد ثلاثة أميال، هرعا سوياً إلى المعلم الذي يتولى تدريسها وأخطراه بما حدث لرفيقهما الراحل، وشعر المعلم بقلق شديد عندما سمع بما حدث بين الطفلين لينطلق بصحبتهما لإبلاغ الشرطة حول الحادثة[١].

ابن يقتل أباه وهو يصلي التهجد:

شهدت إحدى القرى القريبة من بلدة (الفوارة) بمنطقة القصيم

بالسعودية جريمة قتل بشعة اهتزت لها الأبدان حينما أقدم مواطن في الثلاثينيات من عمره على قتل والده البالغ من العمر تسعين عاماً وهو يؤدي صلاة التهجد قبل صلاة الفجر، وتسلل المجرم إلى والده ليهوي بعمود خيمة غليظ على رأسه عدة مرات حتى أرداه قتيلاً، بعدها لاذ الابن بالفرار بسيارة والده التي كان قد أعدها لهذا الغرض، ومما زاد في أمر الفجيعة أن المنزل لم يكن فيه سوى بعض النساء اللائي لا حول لهن ولا قوة، وكان القاتل يعيش خلافاً عائلياً خلال الأيام الثلاثة الماضية وخصوصاً مع والده، الذي سبق أن نشبت مشادات كلامية له معه وصف الابن أباه خلالها بألفاظ شنيعة وقذرة استغربها أهل المنزل، إلا أن أحداً لم يكن يتخيل أن يصل الحال إلى ما وصل إليه؟! وعلمت جريدة (الجزيرة) أن القاتل من أصحاب السوابق وسبق وراجع مصحات نفسية، وفور تلقي مركز شرطة (الفوارة) بلاغ الحادث هرعت الجهات الأمنية لموقع الجريمة وبالتنسيق مع إمارة المنطقة ومديرية الشرطة باشرت الفرقة المكلفة بأعمالها فوراً، وبالبحث عن القاتل عثر عليه في أحد الأماكن التي عادةً ما يرتادها ولكنه لاذ بالفرار، وبعد مطاردة من رجال الأمن استغرقت ما يقارب الساعتين تم القبض على المجرم، وقد كان للمتابعة المستمرة والتوجيهات المتواصلة من قبل صاحب السمو الملكي الأمير (فيصل بن بندر بن عبدالعزيز) أمير منطقة القصيم بالغ الأثر في سرعة ومنهجية القبض على المجرم[٢].

أب يلقى مصرعه برصاصة من ابنه المراهق:

هزَّت أصداء جريمة جنائية شنيعة أرجاء مدينة القيصومة السعودية بعد أن أفاق الأهالي على أنباء خبر مفجع مفاده العثور على أحد المواطنين مقتولاً في فراشه أثر طلقة غادرة استقرت برأسه وأودت بحياته على الفور وقد بادرت الأجهزة الأمنية على وجه السرعة مباشرة موقع الجريمة، ورغم عدم العثور على أدلة وآثار عنف تساعد على توجيه أصابع الاتهام وتدل على القاتل إلا أنه وبتوفيق من الله وبفضل الجهود الكبيرة التي بذلت تمكنت الأجهزة الأمنية من كشف غموض هذا الحادث والإيقاع بالجاني الذي اتضح أنه ابن الضحية الطالب بالمرحلة النهائية بالثانوية العامة والذي لم يتجاوز العشرين من عمره!! وكان القاتل قد ذهب إلى مدرسته بشكل عادي بعد جريمته، إلا أن رجال الشرطة تمكنوا من القبض عليه ثم اعترف بجريمته[٣].

فنلندي يقتل والدته بسبب سباق السيارات:

قالت صحيفة فنلندية أن السلطات وجهت تهمة القتل الخطأ إلى فنلندي اتهم بقتل والدته؛ لأنها قطعت استمتاعه بمشاهدة أحد سباقات الجائزة الكبرى للسيارات.. وقالت الصحيفة المسائية إن الرجل (٤٢) عاماً خنق والدته (٦٨) عاماً أثناء ثورة غضب عندما أغلقت جهاز التلفزيون أثناء أحد سباقات الجائزة الكبرى لشهر أغسطس ويقدر عدد من شاهدوا السباق قبل الأخير في بطولة الفئة الأولى للسيارات بأكثر من (مليون)

شخص وهو ما يمثل ربع سكان فنلندا، وفاز بالسباق الفنلندي (ميكا هاكينن) واقترب بذلك من الفوز بلقب البطولة لأول مرة[٤].

طفل يقتل آخر:

أدت رصاصة انطلقت من بندقية يحملها طفل لوفاة طفل آخر عمره خمس سنوات بمحافظة عفيف بالسعودية، الحادث وقع في إحدى الهجر التي تبعد (٢٥) كم عن مدينة عفيف، وذلك حين طلب أحد الآباء من ابنه الذي يبلغ من العمر (١٣) سنة إحضار البندقية من المنزل وأثناء توجه الابن للسيارة حاملاً البندقية خرجت منها طلقة وأصابت طفلاً آخر كان يقف بجوار السيارة وأردته قتيلاً على الفور نظراً لإصابته في رأسه[٥].

عصابات المخدرات في ألمانيا تقتل الرضع:

أحدثت الأخبار التي تناقلتها الصحافة الألمانية عن قيام رجال العصابات بشراء الأطفال الرضع في ألمانيا واستخدام جثثهم في عمليات تهريب المخدرات ضجة كبيرة بين المواطنين، وتحدثت العديد من الصحف عن صدمة مؤلمة أصابت مواطني معظم المدن الألمانية بسبب وحشية رجال العصابات واستغلالهم لبائعات الهوى (الألمانيات) في عمليات شراء وقتل وتعبئة الرضع بالمخدرات، وكانت صحيفة (داجنبلاد) النرويجية أول من تحدث عن الفضيحة، بعد أن حازت على محضر اعتراف شاب (فيتنامي) من رجال العصابات أكد أنه رأى بأم عينيه كيفية استخدام جثث الأطفال لتهريب المخدرات بين ألمانيا والدنمارك والنرويج.

وحسب مصادر (داجنبلاد) النرويجية فقد تم الكشف عن هذه العمليات الوحشية بالصدفة أثناء التحقيق بمقتل شاب فيتنامي في مدينة (شتافانجر) بنيران رجال العصابات مطلع مايوم ١٩٩٨م، وعثر رجال التحقيق في مسكن الضحية على قائمة بأسماء قادتهم لاعتقال ثلاثة مشبوهين بينهم شاب فيتنامي آخر عمره ٢٥ عاماً يمتلك مرقصاً في المدينة وكسر الشاب الفيتنامي صمته بعد عشرة أسابيع من السجن الانفرادي والتحقيق فاعترف بإشرافه شخصياً على إحدى العمليات، وقال صاحب المرقص أنه قام بزيارة فيتنامي آخر في (أوسلو) يطلق عليه لقب (الرئيس) حينما زارته امرأة غربية تحمل طفلاً ملفوفاً ببطانية دخل الرئيس مع المرأة إلى غرفة جانبية ثم عاد بعد ١٥ دقيقة وهو يحمل كيساً مليئاً بالهيروين يزن حوالي كيلو جرام واحد وملوثاً من الخارج بالدم، وغادرت المرأة الشقة بعد وقت قصير بعد أن ناولها الرئيس ورقة من الأوراق المالية، واعترف الرئيس لاحقاً أمام زائره بأنهم يستخدمون جثث الأطفال لترويج تجارتهم المحظورة، وسرد الرئيس كيف يقوم رجال العصابات بشراء الأطفال من عاهرات (هامبورج وباريس) الحوامل قبل ولادتهن، يتم بعد ذلك تهريب حديثي الولادة إلى الدنمارك، حيث يجري قتلهم وحشو جثثهم بأكياس الهيروين، وتتولى نساء عاملات في إطار العصابات المنظمة السفر بالرضيع باستخدام جوازات سفر مزورة تحمل اسم الطفل إضافة إلى اسم المرأة (الأم) وتدعي النساء عادة أن الطفل نائم أو مريض إذا ما لاحظت شرطة الحدود سكوته غير الاعتيادي[٦].

قتلا والديهما وخصصا جائزة لكشف القاتل:

اعتقلت الشرطة في مدينة (نوبلزفيل) بولاية أنديانا الأمريكية شقيقين بتهمة قتل والديهما وذلك بعد مرور عشر سنوات على الجريمة التي هزت المجتمع الأمريكي في حينه، وكان الشقيقان ديفيد (٤٠) عاماً وبريان سيتر (٣٧) عاماً اللذان ورثا عن الوالدين القتيلين شركة تأمين كبيرة قد أعلنا عقب الجريمة عن تخصيص جائزة قدرها مئة ألف دولار لمن يدلي بمعلومات يمكن أن تدل على القاتل، وأعلنت الشرطة أخيراً أن الأخ الأصغر هو القاتل، وأن شقيقه قد ساعده في ارتكاب الجريمة، وأضافت أن القاتل يواجه احتمال الحكم عليه بالإعدام، وأعادت الشرطة إلى الأذهان أن القاتل ناشد القراء في مقابلة صحافية عقب الجريمة مباشرة التقدم للإدلاء بشهادتهم أمام الشرطة عن الحادث لعل أية معلومة صغيرة يدلي بها أحدهم تساعد في القبض على المجرم، وبلغ الحماس حداً لجعل أصدقاء القاتل يتبرعون لطبع عدة مئات من الملصقات الكبيرة التي تقول كلماتها (أيها المجرم.. إننا نعرفك) وقد وضعت هذه الملصقات في كل مكان تقريباً في المدينة، وكانت الشرطة قد عثرت في شهر فبراير ١٩٨٩م على جثتي الزوجين العجوزين في منزل جديد اشترياه قبل ذلك بأسابيع قليلة، وقد اخترقت رأسيهما أكثر من خمس عشرة رصاصة[٧].

قتلت زوجي فهل أنا جانية أم مجني علي؟.

هي في السادسة والثلاثين من عمرها متوسطة الطول اسمها (جميلة) وهي جميلة ولكنها متهمة بقتل زوجها وقد وقفت بين يدي الضابط المحقق وبهدوء وبملامح لا أثر فيها للارتباك، قالت صحيح : أنا قتلت ولكني ضحية في الوقت نفسه، ضحية الرجل الذي يسمونه المجني عليه، وبدأت تحكي حكايتها :

تزوجنا زواجاً تقليدياً وحسب العرف المتبع في الأرياف، تزوجنا وكنت أنا صغيرة السن بينما هو يكبرني بعشر سنوات وكنت أشبه بالسلعة التي تباع وتشترى بثمن معلوم، لم يكن لي رأي ولا اختيار ورضيت بذلك، وليس لي إلا أن أرضى، وقلت لنفسي أو هذا ما قالوه لي حينها أن العشرة والألفة كفيلة بخلق الرضا والحب.. ولكن مضت سنة وراء سنة ومضت أكثر من عشرين سنة ونحن معاً، وأنا لم أر شيئاً، لم أحس بوجود ذلك الحب والرضا، وجدت نفسي وحيدة في وجود هذا الرجل، غربة تحيط بي من كل جانب في كل مكان، وحتى غرفة نومي، ولم تكن غربة وحسب، بل قسوة وتطاول باليدين والرجلين.

كان يدفعني عنه أحياناً برجله الضخمة، لا لمسة عطف ولا ود، عشت معه معذبة مذبوحة، لم أشعر بالحنان يوماً، أنجبت له خلال تلك السنين (العشرين) خمس بنات، ولكنه رفضهن، وكان يريد أولاداً ذكوراً غضب

وسخط وتكبر وتحول إلى حيوان مفترس في كل مرة يرى فيها المولود أنثى، كان كمن يشعر بالنقص والعقدة لوجود البنات، راح يعايرني عشرات المرات، لأنني لم أنجب له ولداً، وكنت أفقد تحملي أحياناً (عندما تزداد قسوته علي وعنفه) وتركت البيت ذاهبة إلى أهلي باكية شاكية، ولم يكن لي سوى (أمي وعمي شقيق أبي) وكان أبي قد تُوفي وأنا صغيرة، وكانت أمي وكذلك عمي يرجعانني إلى بيت الزوجية غصباً عني، ولما يئست إنصافي كان ذلك قبل السنوات الأخيرة تحاملت على نفسي ورضخت لقدري من أجل بناتي، ولم أعد أذهب إلى بيت أمي أو عمي.. وقبل الواقعة بيوم صادف أن نشب بيننا شجار أقدم فيه على ضربي وسبي أمام الجيران.. وحتى اللثام والحجاب الذي كنت أستر فيه رأسي ووجهي أخذ ينزعه ويجذبني من شعري على مرأى منهم دون حياء أو خجل، المشهد مازلت أراه وأتخيله، وأكتوي به كأنه النار المشتعلة تحرق أحشائي، أحسست كأنه طعنني في الصميم، مرغ كرامتي وشرفي في الوحل، لم أستطع أن أتحمل، بكيت بكاءً مريراً، وظللت أبكي وأتألم طوال النهار والليل، وبكت كذلك بناتي لبكائي، وكنت أريد أن أذهب وأفر إلى بيت عمي أو إلى بيت أمي، وأ ن لا أعود أو أطلب منه الطلاق، ولكني كنت أعرف أن ذلك لا فائدة منه، وأن عمي وأمي سيرجعانني إليه ولو مكرهة لأنه كان ميسور الحال، مؤثراً عليهما بهذا المال، لذلك آثرت البقاء وذرف الدموع مغلوبة على أمري، غير أنه لم يكتفِ بذلك واستيقظ صباح اليوم

التالي يصيح ويشتم في حضور البنات وكان مثل الحيوان الهائج، ولم أقدر أن أتناول طعام الإفطار مع بناتي ولا الغداء، كنت مطعونة مجروحة ولم أظهر من النافذة أو أخرج على الجيران من الباب خجلاً من يوم أمس، طلبت من بناتي عقب الغداء أن يذهبن إلى جدتهن (والدتي) والبقاء عندها حتى اللحاق بهن بعد وقت قليل، كنت قد فكرت أن أترك البيت وأهرب إلى أرض الله الواسعة وأعيش في أي مكان بعيداً عن القرية ولا أرجع، ولكنني تذكرت بناتي وماذا سيكون حالي وحالهن بعد اختفائي فتراجعت عن هذه الفكرة، ثم فكرت بطلب الطلاق وأخذ البنات والعيش وإياهن في بيت مستقل لوحدنا والله الرازق والمتكفل بنا وتراءت لي هذه الفكرة معقولة وحسنة وقررت تنفيذها في الحال، وكان الرجل موجوداً ولم يغادر المنزل للمقيل والتخزين بعد، وكان من عادته في بعض الأيام أن يدخل غرفة النوم ليغفو قليلاً في مثل هذا الوقت بعد الغداء قبل جلوسه أو خروجه (للقات)!! وقد صادف هذا اليوم أن مكث بالبيت بعد خروج البنات إلى منزل جدتهن ودخل غرفة النوم ليغفو ساعة أو بعض الساعة، فصارحته أثناء دخوله الغرفة بما قررت وطلبت منه الطلاق قائله: أريد أن تطلقني الآن مثل ما دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف من غير شوشرة ولن أعيش معك بعد اليوم مهما كانت الأسباب ومهما كان الثمن، فما كان منه إلا أن دفعني عنه بعنجهية وسخرية وأبعدني عن عتبة باب الغرفة، وقال لي ابتعدي عني أيتها البهيمة والحيوانة القذرة، إنك لست سوى جرثومة عفنة وفردة حذاء، قلت

له في إصرار: لابد أن تطلقني فوراً ويجب أن تفهمها أنني لن أبرح هذه الغرفة إلا بعد أن تنطق بكلمة الطلاق وتسمعني إياها، أنني أكرهك وأمقتك وأحتقرك وأطيق الحمى ولا أطيق الاستمرار معك بعد هذه اللحظة، فرفع يده وهوى بها عليَّ ولطمني بعنف حتى أوقعني على الأرض وقال لي: أطلقك؟ نجوم السماء أقرب لك من ذلك، ولكن لن تري سوى هذا، وأخذ يضربني ويركلني وأنا على الأرض، فحاولت الوقوف ومقاومته، وتعالى الصياح والصراخ بيننا، وقلت له: أنت لست رجلاً وليس لديك إحساس أو رجولة، طلقني إذا كان لديك ذرة من الكرامة، قال وقد تزايد انفعاله وغضبه لن أطلقك وسأتزوج امرأة أخرى من أسرة تليق بالمقام، أحسن وأجمل منك، وسأجعلك خادمة لها، ثم صاح أعرف لماذا تريدين الطلاق لأنك تحبين فلاناً، ولكن ستبقين تحت رحمتي وسأريك النجوم في عز الظهر.

كان يشك منذ فترة أنني على علاقة مع أحد الشبان بالقرية وأني أتمنى الخلاص منه لكي أتزوج الآخر، كان يرتاب ويتوهم ويعيش في هذا الوهم حقيقة كأنه حقيقة، وها هو يفصح بقوله بأنه يعرف لماذا أطلب الطلاق، جرجني ودفعني من الغرفة إلى خارجها بالقوة، ثم أغلق الباب دون إقفاله وكأن شيئاً لم يحدث، وهنا كانت الدقائق الحاسمة، تلك التي أظهرت لي حقيقته، وجدت نفسي متكومة على نفسي أنشج في حرقة وأتألم بأنين خافت حائرة، يائسة، لا أدري ماذا أفعل؟ وكيف أتصرف؟ ومرت أكثر من عشرين دقيقة وأنا على حالي، ثم نهضت ووقفت في مكاني متوجعة ومستندة على نفسي وعلى الجدار، وعقلي يصرخ (تخلصي منه) فكرت،

وفكرت، ربما أجد حلاً آخر يخرجني من هذا الجحيم، وينقذني من هذا الرجل، لكنني لم أسمع غير صراخ عقلي يلح علي: تخلصي منه، فهذا هو الحل الوحيد أمامك، استولت علي الفكرة في فورة الألم وخطوات بتثاقل صوب باب الغرفة فتحته قليلاً فوجدته نائماً، فأسرعت بخفة ودون وعي إلى المطبخ (الديمة) وأخذت من هناك سكيناً، ثم عدت إليه بالغرفة وكان متمدداً ومغطى باللحاف على رأسه ووجهه حتى قدميه فهويت بالسكين بكل قوتي على صدره، وكان راقداً على ظهره ووجهه إلى السقف فاهتز وصرخ مفزوعاً على أثر ذلك، وأراد أن ينهض ولكنني سارعت ونزلت عليه بالطعنة الثانية ثم الثالثة في بطنه، وبعدما واصلت الطعنات ورحت أمزق جسده كالمجنونة، أمزق الجسد الذي أهانني وعذبني وداس طويلاً حتى يديه وأصابعه التي كانت أدوات تعذيبه لي، أردت في اللحظة أن أراها تنزف دماً، أن أراها تجري وتتوجع بالآلام كما أدمتني، وأوجعتني كثيراً، كنت بلا وعي في هذه اللحظات، بلا مشاعر، تحولت دون أن أشعر إلى شبه وحش جريح ثائر منتقم، وبعد أن رأيت جسده يسكن وأنفاسه خمدت وصار جثة هامدة يسبح في بركة من الدماء، فكرت في التخلص من الجثة ومسح الدماء وإخفاء آثار الجريمة، ولكن كان ذلك من الصعوبة إذا لم يكن من المستحيل: لأنه كان ثقيلاً في حياته، ولذلك لم أستطع وغطيت الجثة والدماء ببطانية كبيرة كانت مركونة بالغرفة ثم سيطر عليَّ الخوف والرعب وتركت الغرفة ووليت هاربة إلى خارج القرية، حيث وعيت وأنا في الطريق إلى جسامة

الجريمة التي ارتكبتها، وتزايد الرعب بداخلي فاتجهت لائذة بالفرار باتجاه الطريق الرئيسي العام ومنه ركبت سيارة إلى المدينة حتى فوجئت بعد حوالي شهر من الجريمة بمجيء رجال الشرطة إلى المنزل والقبض علي ولا أدري إلى الآن، هل أنا جانية أم مجني علي؟ وقعت أحداث هذه الجريمة في اليمن[٨].

السجن المؤبد لصبي بريطاني:

رغم أنه كان في الثالثة عشرة من عمره عند ارتكاب جريمته الأخيرة والتي قضت محكمة كارديف الجنائية بسجنه بالمؤبد، إلا أن سجله الجنائي كان حافلاً بارتكاب العديد من الجرائم والجنح الخطرة بمنطقة (شبستو) بجنوب (ويلز) وكان الصبي (لم يذكر اسمه لأسباب قانونية) قد ترك جارته البالغة ٣٧ عاماً والأم لطفلين في بركة من الدماء بعد طعنها عدة مرات قبل أن يحاول اغتصابها، وقال القاضي (بيترفيلد) موجهاً حديثه للمتهم بعد صدور الحكم أخيراً: إن احتجازك خلف أسوار سجن الأحداث هو الرد العملي لما يعتري النساء من خوف ورعب لوجودك بالمنطقة، وعلق المحامي (ميشيل عبدالمسيح) خبير القضايا الجنائية في اتصال هاتفي لـ (الشرق الأوسط) على الحكم الصادر بقوله: يحق للقاضي أن يعطي عقاباً بالسجن المؤبد، إلا أن القاضي في الوقت نفسه يوصي وزير الداخلية بالمدة الأدنى، التي يجب على المجرم قضاؤها وراء القضبان، وفي حالة الصبي البريطاني فهي على الأقل عشر سنوات، رغم أن الحكم الصادر من محكمة (كارديف) الجنائية هو المؤبد، وقال ممثل الادعاء (دافيد واين) أن المتهم قام

بطعن الضحية خمس مرات في الجسم والوجه والرقبة، وأصابها بجرح عميق في الصدر قبل أن يحاول اغتصابها، ويهرب بعدها باستخدام دراجته الهوائية، وفيما استطاعت الضحية وهي تتحامل على نفسها أن تطلب الشرطة وسيارة الإسعاف، ذهب الجاني إلى منزل جدته بعدها بساعات وأبلغها بما ارتكبه، فأبلغت الشرطة، وبعد مثوله أمام مركز الشرطة المحلي كان عليه أن يذهب في اليوم التالي للتحقيق فيما نسب إليه من اعتداء على أربع نسوة، وأوضح ممثل الادعاء أن تاريخ المتهم حافل بسجل من السوابق، ومنها توجيه الشرطة تحذيراً إليه وهو في الثانية عشر من العمر لاعتدائه على عاملة بأحد فنادق مدينة (بريستول) وفيما اعترف الصبي بالتهم المنسوبة إليه فقد أوضح محامية أن موكله يعاني من عدم التوازن النفسي، ويأمل أن تتحسن أحواله داخل سجن الأحداث(٩).

ذبح لواء شرطة:

كشفت سلطات الأمن المصرية النقاب عن ملابسات مقتل لواء الشرطة المتقاعد (م.ح) (٦٤) عاماً داخل مسكنه بمنطقة العجوزة في محافظة الجيزة، والذي عُثر عليه مذبوحاً في اليوم الأول من أكتوبر ١٩٩٨م، حيث تمكنت السلطات من القبض على مرتكبي الحادث مختبئين في أحد المنازل بمدينة (مرسى مطروح) الساحلية، وتبين أن أحد المتهمين وهو (ط.أ) في الثانية والثلاثين من العمر ويعمل سائقاً تربطه صلة قرابة بالمجني عليه الذي كان يعمل محامياً بعد تقاعده من سلك الشرطة، وقال مساعد وزير

الداخلية المصري ومدير أمن الجيزة في مؤتمر صحافي إن زوجة المتهم الأول وتدعي (أ.ع) ٢٤ عاماً قامت بدس أقراص مخدرة في مشروب الضحية وبعد تخديره طرح الزوج والزوجة الضحية أرضاً داخل منزله في مساكن العرائس بشارع السودان في العجوزة وهشما رأسه بساطور ثم ذبحاه، كما سددا له طعنات أخرى في جسده، وقال إن المتهمين اعترفا بارتكابهما الجريمة بقصد الاستيلاء على الشقة التي قُتل فيها المجني عليه، كما تبين أن القتيل متزوج وله ثلاث زوجات ويمتلك ثلاث شقق في أماكن متفرقة، لكنه كان يقيم بمفرده في الشقة التي قتل فيها، وأكدت التحريات أن المجني عليه كان قد استضاف المتهم وزوجته المتهمة منذ يناير (كانون الثاني) حتى منتصف يوليو (تموز) الماضيين وكانا يوفران له جو المرح، لكنه فوجيء يوماً أن المتهمة أحضرت رجلاً غريباً إلى منزله دون استئذانه، فما كان منه إلا أن طردهم جميعاً، ومنذ ذلك الحين بيَّت الزوج والزوجة النية لقتله!![١٠].

لقد لاحظنا من خلال النماذج السابقة، أن أطفالاً يرتكبون جرائم القتل، وأبناء يقتلون آبائهم، وعصابات مخدرات تقتل الأطفال الرضع بعد شرائهم وتستخدم جثثهم في عمليات تهريب المخدرات، وهي آخر صيحات التعامل مع المخدرات وللأسف الشديد، وهذا يدل بوضوح أن بعض الأسر فقدت السيطرة على الأبناء فأدى إلى ذلك الضياع في ارتكاب العديد من الجرائم، وشقيقين يقتلان والديهما، ويخصصان جائزة للكشف عن القاتل، منتهى الهستيريا والجنون، وسوء الخلق وضعف الوازع الديني. وتعاظم البلاء

في الوصول في هذه المرحلة إلى عدم تقدير دور الوالدين وقد حفظ الإسلام كرامتهما، بل ساد هذا الوضع معظم الديانات السابقة، ثم التعامل والروابط التي تجمع بين الزوج وزوجته، ومدى التحامل على الزوجة ضرباً وإهانة وتجريحاً وتعاملاً، مما انعكس أثره نفسياً، فقامت الزوجة بقتل الزوج نتيجة ذلك التعامل، إذا كان كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، وكما حث على هذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، إلا أن هذه الدواعي هي لحظات ضعف أدت إلى انهيار القيم.

ثانياً: الفاحشة والاختطاف والدعارة:

مع غياب القيم هناك جوانب أخرى لأشكال الجريمة أو ما نسميه بحرية ارتكاب الجرائم، وتكاد تشبه بعضها، إلا أن الأسباب تختلف من فرد إلى آخر ومن مكان إلى مكان، فقد ازدادت هذه النوعيات من الجريمة في كل مجتمعات الدنيا، التي غدت مسرحاً يسقط فيه الأمن بصوره المتعددة، ولنا هنا وقفة مع أمثلة من أعمال الاختطاف، والفاحشة، والدعارة، وغيرها.

رجل محصن يختطف الأطفال:

أصدرت وزارة الداخلية البيان التالي:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ**

عَظِيمٌ﴾ «المائدة: ٣٣» أقدم (ف.س.ع) على اختطاف عدد من الأطفال بنين وبنات بعد استدراجهم ثم سحبهم بالقوة وإركابهم في سيارته وتهديدهم والذهاب بهم إلى أماكن بعيدة ومنزوية عن الأنظار وفعل الفاحشة بهم قسراً ثم تركهم في موقع الجريمة، وبفضل من الله تم القبض على المذكور وأسفر التحقيق معه عن إدانته بجرائمه وبإحالته إلى المحكمة الشرعية صدر بحقه صك شرعي يقضي بثبوت ما نسب إليه شرعاً وأن ما أقدم عليه يُعدُّ انتهاكاً للحرمات وترويعاً للآمنين وإفساداً في الأرض وارتكاباً لفعل تأنف منه الطباع السليمة والفطر المستقيمة، ولأن المذكور سابقاً عُوقب عنها بالسجن والجلد ولم يرتدع، مما يدل على تأصل الإجرام في نفسه وإصراره على الاستمرار في ارتكاب جرائمه مع أنه رجل محصن، وله أولاد، والجريمة منه أشنع والفساد منه أظهر، لذا ولأهليته فقد تقرر الحكم بقتله تعزيراً قطعاً لشره وزجراً لأهل الفساد، وصدق الحكم من محكمة التمييز ومن مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة وصدر الأمر السامي الكريم رقم ٤ / ٤١٦م في ٧ / ٦ / ١٤١٩هـ بإنفاذ ما تقرر شرعاً بحق الجاني المذكور، وقد تم تنفيذ حكم القتل بالجاني يوم الجمعة الموافق ٢٦ / ٦ / ١٤١٩هـ بمدينة الرياض بمنطقة الرياض، ووزارة الداخلية، إذ تعلن عن ذلك لتؤكد للجميع حرص حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله على استتباب الأمن والقبض على المجرمين الذين يحاولون العبث بأمن هذا البلد واستقراره أو التعدي على الآمنين بسفك دمائهم أو هتك حرماتهم وتنفيذ أحكام الله فيهم دون هواده، وتحذر في الوقت نفسه

كل من تسول له نفسه الإقدام على مثل ذلك بأن العقاب الشرعي سيكون مصيره والله الهادي إلى سواء السبيل[11].

اختطاف امرأة وقتلها:

ألقت الشرطة العمانية القبض على ثلاثة أشخاص اختطفوا امرأة عمانية وارتكبوا معها الفاحشة ثم قاموا بقتلها وإحراق جثتها في جبال المنطقة الشرقية من سلطنة عمان، وكانت شرطة عمان تلقت بلاغاً من المواطنة (م.س.ر) من سكان ولاية جعلان بني بو علي تفيد باختفاء ابنتها (س.ع.ج) منذ ١٩ سبتمبر ١٩٩٨م وفور تلقي البلاغ قام رجال الشرطة بالبحث والتحري وجمع المعلومات وتمكنوا من التوصل إلى بعض الخيوط التي قادتهم إلى إلقاء القبض على الأشخاص المشتبه فيهم وهم من نفس الولاية وبالتحقيق معهم ومواجهتهم بالأدلة والبراهين الثابتة اعترفوا بجريمتهم وقاموا بإرشاد رجال الشرطة إلى المكان الذي نفذوا فيه جريمتهم البشعة[12].

تعذيب وحشي لطفلة لبنانية:

مأساة جديدة طالت ابنة عمرها عشر سنوات هزت شمال لبنان، بعد تعرضها لضرب مبرح وتعذيب وحشي، فقد نقلت إلى المستشفى الإسلامي في طرابلس، الطفلة (ف.م.ج) من مواليد وادي خالد في قضاء عكار وهي مصابة بحروق ورضوض وكسور نتيجة تعرضها للتعذيب والتكبيل والضرب المبرح والوحشي على يد مستخدمتها (ح.ي) والتي تعمل لديها منذ نحو شهر.

وقد أدى تكبيل الطفلة بالجنازير في رجليها ويديها إلى تورم في أصابع اليد والأرجل، وبدأ حبس الدم ظاهراً لفترات طويلة، مما أدى إلى إصابتها (بالغرغرينا) مما يعزز احتمال الإقدام على بتر أصابع رجليها كما يقول الأطباء المشرفون على حالتها إضافة إلى ظهور حروق واضحة على أنحاء مختلفة من جسدها من جراء إطفاء السجائر، هذا عدا الأورام التي ظهرت في وجهها وعينيها وسائر أنحاء جسدها من جراء تعرضها للضرب المبرح كما قالت الطفلة وسط أنين وبكاء فيما وقف والدها ووالدتها إلى جانبها مندهشين لما حصل، وقد أقدمت الأجهزة الأمنية المختصة على توقيف (ح.ي) وزوجها فيما تضاربت إفادات الأطباء حول ما إذا كانت الطفلة قد تعرضت للاعتداء الجنسي أم لا، حيث صرح الدكتور محمود زغلول الاختصاصي في الأمراض النسائية للصحافين أنه كشف عن الطفلة فتأكد له تعرضها لاعتداء جنسي، مما أدى إلى فض بكارتها مبدياً استعداده للإدلاء بتصريح علني أمام الرأي العام، إلا أنه بعد دقائق امتنع عن ذلك واكتفى بالقول: (لا أستطيع أن أقول بأن هناك اعتداءً جنسياً، لأنه قد تم تشكيل لجنة طبية للكشف عن الطفلة فيما أفاد الطبيب الشرعي (واصف خلف) في تقريره الطبي أن الطفلة (ف) لم تتعرض لأي اعتداء جنسي في حين تكتمت إدارة المستشفي ومنعت الممرضين من الإدلاء بأية معلومات، وقد ذكرت الصحف بأن سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب بالمملكة العربية السعودية أبدا استعداده لعلاج الطفلة على

حسابه الشخصي وهي من النواحي الإنسانية التي يتفاعل معها الأمير فيصل دائماً[١٣].

يحرق حبيبته لكي لا يتزوجها - وآخر يقتل زوج عشيقته بسيارة مفخخة:

أحالت الأجهزة الأمنية في شمال لبنان الموقوف (ف.أ.م) عشرين عاماً بتهمة قتل (ع.م.ع) تسعة عشر عاماً إلى المحكمة العسكرية في بيروت لكونه مجنداً في الجيش، بعد الاعترافات الكاملة التي أدلى بها عن ارتكاب الجريمة بمفرده، وكان القاتل، قد مثل وقائع الجريمة في مكان حدوثها، في مجرى نهر شتوي عميق، يقع في وسط منطقة صخرية وحجرية في ضواحي منطقة الحريشة قرب بلدة القلمون جنوب مدينة طرابلس، وقد بدأ القاتل أثناء تمثيل جريمته مرتبكاً وروى وقائع الجريمة على الشكل التالي:

كنت أحب (ع) كثيراً وكانت تطالبني بالزواج منها باستمرار، بحيث تحولت إلى مصدر إزعاج لي في الوقت الذي كنت فيه أواجه مشاكل كثيرة مع أهلي الذين كانوا يعارضون هذا الزواج ويضغطون عليَّ، إلى أن كان يوم السبت فاتصلت بها في الساعة الخامسة والنصف مساءً في محل عملها في مؤسسة لبيع الأدوات المنزلية في الميناء، بعد أن أفهمتها بأنني أريد رؤيتها للبحث في موضوع عاجل، كنت بحالة عصبية سيئة وقلق شديد وقررت استدراج (ع) والتخلص منها، فالتقينا حسب الموعد وتوجهنا معاً في سيارة والدي إلى منطقة الحريشة أعتدت الذهاب إليها من قبل، ثم مارسنا الجنس

معاً، داخل السيارة، وارتدينا بعدها ملابسنا، ثم انتقلنا إلى موقع صخري بعدما ساعدتها على الانتقال لوعورته ولقد حملتها خوفاً من أن تهرب مني، وبعد أن اطمأنيت لها توجهت إلى السيارة حيث أحضرت كمية من البنزين وسكيناً وولاعة وحبل، وأودعتها على صخره، ثم تناولت الحبل وأوثقتها به بالرغم من رفضها، وأقنعتها بأن أهلها سيأتون لأخذها، ثم تناولت هاتفها الخلوي وأوهمتها بالتحدث مع أهلي، وأبلغتها بأنهم سيأتون إلى هنا لتكوني زوجة لي، إلا أنها أدركت بأني أنوي لها شراً فبدأت بالصراخ، عندها وضعت كمية من محارم الورق في فمها لمنعها من الاستغاثة، فأحضرت وعاء البنزين وسكبته عليها، ابتداءً من رأسها وهددت بقتلها إن عادت إلى الصراخ وتناولت الولاعة وأشعلت قطعة من الكرتون ألقيتها عليها فعادت إلى الصراخ أثناء اندلاع النار بها، عندها غادرت المكان متوجهاً إلى السيارة فوجدت بداخلها أغراضاً لها فألقيتها خارجاً، قصدت بعدها محل حلويات، ومن ثمَّ إلى ناد ليلي بطرابلس، حيث أمضيت الليل قبل أن أعود إلى المنزل في الميناء، لكنني لم أستطع النوم فتوجهت إلى منزل أهل (ع) حين علمت أن والدها أبلغ فصيلة درك الميناء باختفاء ابنته وبدأت أفتش معهم عنها، وكنت أتصل بوالدها عبر الهاتف بأسماء مستعارة بين وقت وآخر، وهذه هي حكايتي وعن كيفية اكتشاف الجريمة قال مصدر أمني:

تشاء الصدف أن تتوجه الفتاه (ن.ش) وهي صديقة سابقاً له مع

شاب إلى مكان وقوع الجريمة المذكورة، حيث عثرا على الجثة المحروقة واعتقدا بأنها عائدة لفتاة سيرلانكية، ثم نقلت الجثة إلى المستشفى الحكومي بطرابلس، حيث أشرف على تشرحيها الدكتور / شفيق صافي وتبين أن الجثة عائدة لفتاة محروقة ومعتدى عليها جنسياً، وقد كشفت التحريات الأمنية في ضوء إفادة الفتاة التي اكتشفت الجثة إلى أن تمكن رجال الأمن من اعتقال قاتل (ع) الذي اعترف بجميع تفاصيل جريمته، وفي حادثة ثانية كشفت السلطات الأمنية اللبنانية عن جريمة قتل تمت (لأهداف زوجية) لكنها نفذت بواسطة عبوة ناسفة وضعها عشيق الزوجة تحت مقعد سيارة الزوج لتظهر وكأنها عملية قتل سياسية خصوصاً أن القوات الإسرائيلية اعتادت أن تنفذ عمليات من هذا النوع في المناطق القريبة من رقعة الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب اللبناني وكان الزوج الذي يبلغ من العمر ٥٣ عاماً قضي يوم الجمعة الماضي بانفجار عبوة ناسفة كانت موضوعة تحت مقعد سيارته (الفان) وموصولة بساعة التفجير أثناء توجهه على طريق عام إلى بلدة القليلة في قضاء صور في الجنوب اللبناني، وعرض مركز أمن الدولة في مدينة صور الفاعل هو فلسطيني الجنسية والزوجة اللذين دبرا الانفجار وصرح رئيس المركز الملازم أول إسماعيل عون أن زوجة المغدور وشريكها اعترفا علناً بتدبير الجريمة بغية التخلص من الزوج لارتباطهما بعلاقة غرامية غير شرعية، وقد أوهمها الزوج بوجود موقع أثري في بلدة القليلة وأثناء توجهه انفجرت العبوة التي أدت إلى مقتله على الفور، وقال: إن الجريمة المذكورة تصنف في إطار الجرائم العادية غير السياسية(١٤).

(فرنسي يرتكب جريمة لأنه غاوي سجون):

بابتسامة هادئة استقبل متهم فرنسي قرار محكمة الجزاء في (فيرساي) بسجنه خمسة عشر عاماً لمحاولته ذبح شاب لا يعرفه ولا تربطه به أية صلة، ورغم محاولة المتهم (جاك ليجو) ٥١ سنة نفي التهمة، فإن شهود عيان قالوا إن (ليجو) أكد لهم أنه (يريد أن يقتل أي إنسان بهدف العودة إلى السجن) وسبق للمتهم أن دخل السجن ثلاث عشرة مرة، وقال باحث اجتماعي يعمل في سجن (بوا دارسي) أن (جاك ليجنو) يصبح إنساناً آخر داخل السجن ويقلع عن عدوانيته ويبدو سعيداً وهو يعمل في المطبخ ويقدم الطعام لزملائه السجناء واعترف المتهم أثناء جلسة المحاكمة الأولى أن السجن بيته العائلي، وقال إن الخروج منه يعني التشرد والبطالة وتحمل النظرات القاسية وارتياب الناس، لذلك فإنه يفضل العيش وراء القضبان، حيث أشعر أنني مثل الآخرين، وقال المتهم للقاضي: عملي في مطعم السجن يتيح لي التنقل في الأرجاء ومعرفة الجميع سجناء وسجاني، يذكر أن (ليجو) ارتكب جريمته في ربيع ١٩٩٤م في إحدى الحانات بعد أن ظل يردد (هذه الليلة أريد أن أبيت في السجن) ثم هجم على أحد الزبائن وجرحه في عنقه بسكين حادة، وقد أمضى السنوات الأربع الماضية في الاحتجاز في انتظار المحاكمة[١٥].

الاعتداء على المحارم:

ادعت سيدة لبنانية من سكان محلة أبي سمراء في مدينة طرابلس، أن زوجها اعتدى جنسياً على ابنته القاصر (١٣ سنة) وعلى رفيقتها(١٤ سنة) وجاء في الدعوى أن الوالده اضطرت منذ فترة للدخول إلى أحد مستشفيات طرابلس للمعالجة من مرض أصابها وعندما عادت إلى المنزل بعد بضعة أيام وجدت ابنتها بحالة من القلق والاضطراب وتبين لها أن الابنة تعرضت للاعتداء عليها جنسياً، وأفادت أن والدها هو الذي اعتدى عليها وكان ذلك يحصل منذ سنة ونصف السنة ولكن عن طريق التحرش والمداعبة في بادئ الأمر وأنه كان يتعرض بالضرب من وقت لآخر للأم لكي يبعدها عن المنزل ليتسنى له التفرد بالابنة، بعد الادعاء من قبل الوالدة قامت عناصر من قوى الأمن الداخلي بتوقيف الوالد الذي اعترف، كما تزعم الوالدة أمامهم وأمامها بأنه هو الفاعل، فأحيل إلى النيابة العامة في الشمال في حين عرضت الطفلة على الطبيب الشرعي الذي أكد أن الابنة تعرضت لاعتداء جنسي منذ وقت ليس ببعيد، حقق قاضي التحقيق في الشمال (أحمد عويدات) مع الوالد الذي أنكر التهمة وقال: إن ابنته مصابة بمرض عصبي وقد تم عرضها على الطبيب المختص (عاصم علم الدين) لمعالجتها منذ حوالي سنة[١٦].

حرب على دعارة الأطفال الألبان في شوارع بروكسل:

نفذت فرقة مكافحة الدعارة في بلجيكا معززة بقوات الشرطة والدرك الوطنيين حملة مداهمة واسعة النطاق شملت مختلف أوساط الدعارة في الأحياء الشعبية في العاصمة بروكسل وضبط خلال ساعتين من الزمن مالا يقل عن ١٨ فتاة قاصر من أصل ألباني لا تتعدى أعمارهن الخمسة عشر عاماً يمتهن الرذيلة على قارعة الطريق، وأكد القاضي أريك فندرسبت الذي قاد تلك الحملة على أنها جاءت بناءً على معلومات تم التثبت من صحتها ميدانياً بأن شبكات دعارة الأطفال الوافدين من كوسوفو وألبانيا قد ركزت نشاطها بشكل أساسي على بروكسل وأن الأطفال القاصرين المغرر بهم يرمون في سوق دعارة وحشية ورخيصة تعرض مستقبلهم وحرياتهم إلى الهلاك، وعلمت الشرق الأوسط من دوائر مكافحة الدعارة في بلجيكا التي سلطت أخيراً أضواء اهتمامها على تجار الرقيق الأبيض واعتقلت أعداداً لا يستهان بها من الأشخاص الذين يمتهنون القوادة، أن جميع هؤلاء من منطقة البلقان وبالتحديد من ألبانيا وشرحت تلك الدوائر أن الطريقة التقليدية للزج بالقاصرات في الدعارة هو اغتصابهن بوحشية ومن قبل أطراف عدة علاوة على ممارسة العنف والتهديد عليهن حتى يتقبلن الواقع المرير، وتفسر بعض المصادر قرار السلطات البلجيكية إعلان الحرب على دعارة الأطفال الألبان بشكاوى نقابة نساء الهوى المعترف بهن رسمياً واللاتي يدفعن الضرائب ويخضعن للرقابة الصحية أسبوعياً بعد أن تراجع الطلب عليهن من دخول أولئك القاصرات إلى سوق الدعارة في بلجيكا وكسر الأسعار فيها،

إذ إن سعر الخلوة بقاصرة ألبانية يتراوح عمرها ما بين (١٤ و ١٥ سنة) ما بين (٦٠ و ٨٠) دولاراً[١٧].

٩٢ شخصاً انتحلوا صفة ضابط في مصر خلال ستة أشهر:

أرجع تقرير أصدره المركز العربي لاستقلال القضاء والمحاماة ظاهرة انتحال صفة ضابط شرطة في العاصمة المصرية إلى رفض عدد كبير من الضباط إبراز وثائق الهوية الشخصية عند ممارسة وظائفهم، فقد أدى ذلك إلى ظهور ٤٧ حالة انتحال صفة ضابط شرطة خلال الستة أشهر الماضية وارتكب منها الجناة عدة جرائم قتل اختطاف واغتصاب وسرقة، ورصد تقرير المركز الذي حمل عنوان: (ظاهرة انتحال صفة ضابط الشرطة) والاعتداء على حقوق وحريات المواطنين، أسباب انتشار الظاهرة منددا بخطورتها لما تمثله من تهديد بالغ الأثر على حقوق المواطنين في الحياة والحريات الشخصية، وكشف التقرير عن ضبط (٩٢) شخصاً ما بين مسجل خطر، وعاطل، وطالب، وعامل، قد انتحلوا صفة ضابط شرطة في الفترة المذكورة، وبلغت نسبة العاطلين من الجناة (٥٠٪) من الجناة أفراداً يعملون في جهاز الشرطة كمساعد شرطة وأمين شرطة، وألقى التقرير الضوء على نوعية الجرائم المرتكبة بعد انتحال صفات ضابط الشرطة، حيث تبين أن جرائم القتل مثلت (٦،٣٪) بينما كانت نسبة جرائم السرقة (٦٦٪) وأشار التقرير أن الجناة انتحلوا معظم وظائف رجال الشرطة ابتداءً من المخبر السري مروراً بضابط الشرطة وضابط المباحث الجنائية وانتهاءً بلواء أمن الدولة[١٨].

مدرس يغتصب تلميذته أثناء الحصة:

هذا الحادث الذي أشعل ثورة قرية صغيرة في البحيرة بمصر كفيل بهز أي مجتمع وإحداث صدمة نفسية واجتماعية داخله، الجاني مدرس شاب يربي النشء ويعلم الأطفال، والضحية طفلة بريئة (أ.ح) حكت ما تعرضت له ببراءة أشعلت نار الغضب داخل القرية وحركت الأهالي للهجوم على المدرسة والاصطدام بالأمن، المكان داخل المدرسة، داخل الفصل، أمام التلاميذ، الزمن الحصة الثانية، الجريمة اغتصاب وهتك عرض، واعتداء جنسي، الأحراز: مريلة المدرسة المبللة بآثار الجريمة، النيابة من فرط دهشتها وصدمتها طلبت التأكد من عقلية المتهم، وثبت لها طبياً سلامة قواه العقلية، ونحن من فرط دهشتنا وصدمتنا نتساءل: كيف حدث ذلك؟! ما الذي أصاب المجتمع المصري؟ وهل ما زلنا مصرين على التعامل مع الأمراض الجنسية والجرائم الجنسية بإخفاء الرؤوس في الرمال، النيابة تعتبرها قضية خطيرة تهدد بإحجام الأهالي عن إرسال أبنائهم إلى المدارس وخاصة أن هناك ١٢ جريمة مشابهة وقعت في منطقة واحدة، المدرس اعترف بتفاصيل عملية الاعتداء الجنسي على الطفلة في التحقيق الإداري بالمدرسة وفي محضر الشرطة وأمام النيابة، الضحية عمرها (٦) سنوات أصيبت بالانهيار والفزع والجاني مرتبه ٩١ جنيهاً ينام في المدرسة لأنه يحتاج إلى ١٥٠ جنيهاً شهرياً للسفر إلى بلدته[١٨].

حفل جنسي جماعي:

من المؤكد أن هذه الظاهرة معروفة في أوروبا وهناك هواة من المنحرفين مارسوها في مصر وإن كان هذا نادراً والمؤكد كذلك أن تلك هي المرة الأولى التي يتم فيها تسجيل هذه الظاهرة في ملف رسمي حررت الشرطة وتحقق فيه نيابة النزهة ومن المؤكد أيضاً أن مدبر هذه الجريمة شاذ غريب عن مجتمعنا، ليس فقط لأنه أجبر زوجته على أن تمارس هذا بالقوة ولكن أيضاً عندما ألقى القبض عليه استاء للغاية وقال إنني مندهش، لماذا يتدخل بوليس الآداب في هذا الموضوع، هذه حرية كفلها القانون، الزوجة عمرها ٣٥ عاماً جذابة مغرية يمكن أن تحرك أي زوج دون أن تخلع ملابسها، ورغم هذا وصل بلاغها الغريب إلى اللواء سامي إسماعيل مدير إدرارة شرطة الآداب وكانت أقوالها في قمة الإثارة زوجي عمره ٤٥ سنة مضيف جوي يحرضني على الفسق والفجور، كيف؟ قال إنه دأب على اصطياد عدة رجال يدعوهم إلى ما يسميه (بالسكس جروب) أو مجموعة الجنس ويجبرني على أن أمارس الجنس معهم أمام عينيه[٢٠].

صور جنسية فاضحة لأطفال قاصرين:

داهمت إحدى فرق شرطة الأخلاق التابعة لقوات الأمن البلجيكية منزل مسؤول أوروبي كبير في ضاحية أيكل الراقية في بروكسل واكتشفت في بيته صوراً جنسية فاضحة لأطفال قاصرين تتراوح أعمارهم ما بين خمس وست سنوات، ووجه القضاء البلجيكي إلى المسؤول الكبير في المفوضية

الأوروبية الذي يشغل حالياً منصب مدير دائرة التربية وتدريب الشباب في نفس الجهاز التنفيذي الجماعي الأوروبي تهمة تداول مواد مخلة بالأخلاق وذات علاقة بالشذوذ الجنسي على الأطفال القاصرين، وأفادت الجهات القضائية أن عملية المداهمة تمت بناءً على شكوى تلقتها قوات الأمن من إحدى مستعملي شبكة الإنترنت الذي يستقبل في بريده الإلكتروني وبشكل دوري صوراً محظورة للأطفال في حالة فاضحة ومخلة بالأخلاق العامة متهماً العنوان المرسل إليه بأنه يروج للجنس مع الأطفال القاصرين، كما كشفت الجهات القضائية أن المسؤول الأوروبي الكبير (فرنسي الجنسية) متزوج ويبلغ من العمر ٦٢ عاماً ويقطن مع أسرته في بلجيكا منذ ١٥ سنة، وفيما تواصل مفوضية بروكسل التعتيم الرسمي على الخبر فإن المصادر القريبة من النيابة العامة البلجيكية تؤكد أن الفرقة المختصة بمكافحة الجرائم بواسطة الكمبيوتر قد فتشت منزل المسؤول القيادي الأوروبي في الوقت الذي كان هو في مكتبه بمقر المفوضية الأوروبية في مبنى البرلمان، واكتشفت بداخل كمبيوتر المتهم بعد الحصول على موافقة الزوجة أكثر من ٨٠ صورة جنسية مضغوطة مخزنة في ملف يحمل اسم (العمر دون ٦ سنوات) واتصلت الشرطة بالمسؤول الأوروبي الذي حاول التهرب بين دوائر المفوضية ومجلس وزراء الاتحاد الأوروبي الذي لايبعد عن مقر المفوضية إلا ٤٠٠ متر تاركاً التوصيات عند سكرتارية مكتبه بأنه منشغل باجتماع وزاري أوروبي، ولا يمكن الاتصال به منتظراً نهاية الدوام ليذهب بنفسه مباشرة إلى وزارة الداخلية وطلب من المسؤولين عدم فضح أمره؛ لأنه في آخر

حياته المهنية، ولم يبقَ لتقاعده وإحالته إلى المعاش إلا أشهر معدودة إلى جانب أنه رب أسرة ومن عائلة فرنسية عريقة ومعروفة، وعلم أيضاً أن الصور التي تم طبعها من كمبيوتر المسؤول الأوروبي قد تضمنت مشاهد فاضحة لأطفال من الجنسين (ذكوراً وإناثاً) في وضعيات جنسية مكشوفة وأن غالبيتهم آسيويون من تايلندا والفلبين، وعلمت الشرق الأوسط في بروكسل أن قاضي التحقيق البلجيكي الذي أخذ سن ومركز المسؤول الأوروبي الكبير بعين الاعتبار، قرر إطلاق سراحه بشروط أهمها عدم التعاطي مستقبلاً مع شبكة الإنترنت وعدم التردد على مقاهي الإنترنت إلى جانب متابعة جلسات طبيب نفسي لتخليصه من الشذوذ الجنسي باتجاه الأطفال فضلاً عن التعاون مع العدالة فيما يتعلق بتلك المسائل(١٩).

الكشف عن شبكة تستغل جنسياً صبية الكشافة البريطانية لثلاثين عاماً:

رفع الحظر الإعلامي عن شبكة استغلال جنسي للصغار في بريطانيا استمرت في اعتداءاتها على الكشافين الصغار على مدى ثلاثين عاماً، فقد كشفت شرطة الأسكتلنديارد عن أن عدد ضحايا هذه الشبكة ٣٠٠ صبي من أعضاء منظمات الكشافة على مدى العقود الثلاثة الماضية وتعتقد دوائر الشرطة البريطانية أن شبكات الاستغلال الجنسي كانت تعمل منذ بداية الستينيات وأن بعض الذين تعرضوا للاعتداء لم يكن عمره يتعدى الثامنة فيما عشر ضابط الأسكتلنديارد في حملة مداهماتهم فيما عرف بعملية ويندهام على مكتبة تحتوي على مواد خلاعية منها ١٤٠٠٠ صورة و ٣٥٠ شريط فيديو، وذكر بيان صادر عن شرطة الأسكتلنديارد تسلمت الشرق

الأوسط نسخة منه أن الخطر المفروض على نشر أخبار المتهمين الأربعة قد رفع بعد اعترافهم وإدانتهم في محكمة الجنايات المركزية بلندن، حيث من المقرر صدور الحكم عليهم من محكمة سنار سبروك الجنائية في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨م وكانت عملية ويندهام بدأت تحت إشراف ضابط وحدة مكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال التابعة لفرقة القسم المختص بمكافحة الجريمة (ناشيونال كرايم سكواد) في شهر أغسطس (آب) ١٩٩٧م وتقول المصادر المقربة من هيئة الأسكتلنديارد إن الكم الهائل من الصور الخلاعية يعود إلى ٢٥ طفلاً من الصعب تعقب آثارهم بعد نحو ثلاثة عقود، وتشير مصادر الأسكتلنديارد أن المتهمين الأربعة كانوا ضمن المشرفين على منظمة (بادن بول) الكشفية والتي أنشقت عن حركة الكشافة البريطانية في بداية الستينيات وتضم في عضويتها نحو ألفي كشاف من الصغار وتدير مئة مخيم كشفي، وتقول المصادر أن هناك عشر أشخاص آخرين مازالوا رهن التحري بينهم مدرسون وأخصائيون اجتماعيون .

وفيما شارك ضباط من خمس مديريات أمن في عملية (ويندهام) فإن أجهزة الشرطة في كل من فرنسا وهولندا وبلجيكا تجري حالياً تحريات مماثلة بعد كشف عمليات اعتداء جنسي على الأطفال البريطانيين خلال مشاركتهم في مخيمات كشفية في تلك البلدان، وقال مفتش الشرطة ستيف كويك من فرقة مكافحة الجريمة المنظمة التابعة لأسكتلنديارد إن ضحايا من الأطفال تعرضوا لاعتداءات جنسية متواصلة خلال عدد من السنين وأضاف أن الجناة استغلوا نفوذهم وثقة هؤلاء الصغار فيهم فقاموا

بالاعتداء عليهم، والمعروف أن بريطانيا تشن منذ عدة سنوات حرباً على الصور والأفلام الخلاعية عن الأطفال على شبكة الإنترنت وفي العام الماضي سحبت اللجنة الوطنية لمراقبة الشبكة أكثر من ألفي صورة من الإنترنت وقررت بأنها لم تستطع التصدي (إلا الجانب صغير جداً من المشكلة) وبحسب اللجنة فإن ٦٪ فقط من الصور الخلاعية للأطفال في المملكة المتحدة مصدرها بريطانيا، في حين أن ٦٣٪ منها مصدرها مستخدمون أمريكيون و ١٩٪ من اليابانيين الأمر الذي يجعل التعاون العملي بين قوات الشرطة ضرورياً لمكافحة هذه الظاهرة[٢٠].

راعي كنيسة يغتصب طفلاً:

قضت محكمة في ولاية تكساس الأمريكية بتعويض صبي تعرض للاغتصاب من قبل راعي كنيسة لطائفة (المورمون) بمبلغ ٤ ملايين دولار وهو أكبر بمليون دولار من المبلغ الذي طالب به محامي الدفاع عن الصبي الذي يبلغ الآن ١٣ عاماً من عمره، وقالت المحكمة في قرارها إن كل الدلائل تثبت أن الكنيسة الكائنة في شمال مدينة (هيوستن) أهملت واجبها في حماية الصبي الذي امتنعت عن كشف اسمه بهدف حمايته، لكن المحكمة أمرت بنشر اسم المعتدي ويدعي (جون بلوم) وهو في السبعين من عمره، وأضافت بأن بلوم وهو أب لستة أبناء بالغين يقضي حالياً الحكم بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً بعد إدانته بالجريمة التي جرت في عام ١٩٩٣م وكان الصبي يومها في الثامنة من عمره وكشفت مصادر هيئة المحلفين أن الهدف

من زيادة مبلغ التعويض هو إرسال رسالة واضحة إلى الكنيسة بضرورة الحرص الشديد في انتقاء مسؤوليها بعد التأكد من أن بلوم اعتدى على أربعة صبيان على الأقل في الفترة من عام ١٩٨٢م حتى اعتقاله في عام ١٩٩٤م، وقال كلاي دوجاس محامي الدفاع عن الصبي إن أحد كبار المسؤولين في الكنيسة حذر بلوم من أنه تحت مراقبة الشرطة بعد يومين فقط من تقدم أم الصبي بشكواها، وأن ذلك التحذير مكن بلوم من التخلص من مجموعة من الصور العارية لضحاياه كان يحتفظ بها في مكتبه[٢١].

جدّة تغتصب صبياً في الثالثة عشر من عمره:

أصدرت إحدى محاكم مدينة نيويورك حكماً بالسجن خمس سنوات على جدة في الخامسة والثلاثين من عمرها اعترفت باغتصاب صبي في الثالثة عشر من عمره، واعترفت (كارمن فالنتين) بأنها أقامت علاقة جنسية مع الصبي ابتداءً من منتصف عام ١٩٩٦م حتى شهر يناير (كانون الثاني) الماضي، وأنها حملت بطفل منه وضعته في شهر مايو (آيار) الماضي وكانت الشرطة قد اعتقلت فالنتين بعد أن قال الصبي لأحد أصدقائه بأنه على علاقة مع امرأة أكبر منه بكثير، وقد اعترفت المرأة بذلك بعد أن وجهت إليها التهمة رسمياً وأبلغت المحكمة أنها تعرفت على الصبي عن طريق ابنتها المراهقة غير المتزوجة، وتقول الشرطة: إن لهذه الابنة هي الأخرى ابناً لم يكمل السنة الأولى من عمره بعد[٢٢].

انتشار دعارة الرومانيين في باريس:

أكدت مصلحة الأمن ومكافحة الجريمة التابعة لمحافظة باريس انتشار ظاهرة دعارة الأطفال الرومانيين الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٩ و١٤) سنة ولم يعد يقتصر بروزها على غابة بولني بباريس التي عرفت بدعارة النساء، بل امتدت إلى أماكن أخرى من العاصمة الفرنسية وحسب تقرير مصلحة الأمن بأن أعمار الزبائن الكثيرين الذين يترددون على غابة بولني لممارسة شذوذهم مع الأطفال ما بين (٤٠ و٦٠) عاماً ومعظمهم ينتمون إلى شريحة اجتماعية غنية لا تهمها الأسعار التي تطلبها المافيا تتوسط بينهم وبين الأطفال الرومانيين، ويذكر أنه بالرغم من اعتقال عدة أطفال في وقت سابق مازالت الغابة المذكورة تعرف إقبال الزبائن الأثرياء على الأطفال الصغار بوجه خاص، وتقول (فيرونيك) وهي إحدى المؤسسات اللواتي يبعن أجسادهن في غابة بولني إن الطفل (ستيفان) البالغ من العمر (٩سنوات) لم يعتقل مرة واحدة بالرغم من وجوده في المكان المذكور منذ عدة شهور، الأمر الذي يؤكد تهاون أو تواطؤ رجال الشرطة، وإلا كيف تفسر عودة الأطفال إلى نشاطهم أثر اعتقالهم بقليل، حتى على حد قولها لإحدى الصحف الشعبية الرائجة في فرنسا وتأكيد لصحة الفرضية قالت المدرسة أليزا (بيساك فيناي) التي فقدت منصبها بسبب فضحها المدير الذي اعتدى جنسياً على أحد التلاميذ إن الناس على علم بمثل هذه النشاطات التي تروج على نطاق واسع في فرنسا منذ عدة سنوات ولم تفاجأ شخصياً حينما عرفت أن أطفالاً في سن الزهور يمارسون الدعارة على مرأى ومسمع الجميع[٢٣].

* إنه من المؤلم جداً أن تسمع أو تقرأ عن اختطاف الأطفال وفعل الفاحشة بهم وتعذيبهم أو استغلالهم في مواقع للدعارة (إناثاً وذكوراً) وهم يمثلون مستقبل المجتمعات ورقيها، خاصة ونحن قريبين جداً من استقبالنا لطور جديد من التقدم العالمي في مختلف القضايا، ولا سيما أن هموم العالم وصلت إلى اختراع التكنولوجيا بأبعادها المتنوعة وتطوير استخداماتها في الحقول العلمية المختلفة.

ما هو موقف الشريعة الإسلامية:

إن طفل اليوم بمثابة الحاضر والمستقبل لأساس هذه الأمة فإن لم تكن تنشئته سليمة سوف يتوه ويتعطل وإذا لم تكن بنيته جيدة سوف يسقط، وأن لم تكن لديه مناعة قوية ضد التيارات الواهية سوف يتعرض للمرض ويستشري في جميع أعضائه وأعضاء أسرته ومجتمعه وهنا يكمن الخوف والقلق الذي يجاور مجتمعات اليوم، فقد عرف النفسانيون في الكثير من أبحاثهم ضرورة الاهتمام بالطفل وتوجيهه ومتابعة أعماله ومراقبته حتى يصل إلى مرحلة من النضج التي يمكن الاعتماد عليه في تسهيل مهامه وعدم تعطيل إنتاجه وإنتاج الآخرين من مجتمعه.

إن مجتمعاً يطبق العقوبة على الجاني وبقوة هو من المجتمعات التي ترعى أبناءها، وكم هو جميل جداً أن نرى هذا في المجتمع الإسلامي، إذ نرى أن الإسلام فرض عقوبات صارمة على الجريمة بأنواعها وجاء القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية بتوضيح كل المسائل لتنوير المجتمع في أفعاله، كما أن

السنة النبوية المتمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة أكدت على هذا بالتفصيل، وشرح علماء الدين الأخذ بتطبيق الشرع حتى أن حكومة المملكة العربية السعودية من أولى الدول التي قامت بتطبيق التشريع الإسلامي، وفرض العقوبات من واقع ما جاء في الدستور الإسلامي الخالد، لذا نجد أن هذا المبدأ خفف كثيراً من الجريمة وحد منها، وقد وجدت أن أضع دليلاً على هذا التأكيد كما نشرته الصحافة المحلية في المملكة، إلا أنه من المؤسف أن نجد في المجتمعات الأخرى المدرس الذي يغتصب تلميذته أثناء الحصة الدراسية، أي مدرس هذا الذي يقوم بهذا العمل لطفلة وهو ينتمي لشريحة مسلمة وبلد مسلم يؤمن بالرسالة الخالدة، بل هو مكان للعلم والفضيلة، وأي مجتمع تقام فيه حفلات جماعية لممارسة البغاء الجنسي بطلب من الزوج لزوجته لزملائه أنها جرائم من نوع خاص لم نسمع بها أو نقرأ عنها إلا في بعض المجتمعات الساقطة خلقياً واجتماعياً في أوروبا وأمريكا وبعض دول جنوب شرق آسيا أو بعض دول أمريكا الجنوبية، إن ما أشرنا إليه من أحداث يمثل جانباً للسقوط الذي يجب أن نقرأ عنه لنتعظ.

ثالثاً: انتحار وشذوذ وشعوذة:

وماذا عن أندية الجريمة المنظمة وحالات الانتحار التي انتشرت وأعمال التهريب والشذوذ والشعوذة والدجل، لعل لنا وقفة مع هذا الجانب أيضاً من أنواع الجريمة:

أ- عصابات لتهريب البشر:

لم تفلح الإجراءات الحدودية الصارمة وأجهزة الرقابة الإلكترونية في الحد من نشاطات عصابات تهريب البشر من آسيا وأفريقيا إلى بلدان الاتحاد الأوروبي وإلى ألمانيا على وجه الخصوص، وأشار وزير الداخلية الألماني (مانفرد كانتر) في معرض قراءاته لآخر تقرير أعدته شرطة الحدود أخيراً إلى أن عصابات تهريب البشر تزداد نشاطاً وعنفاً واستطاع رجال الشرطة الألمان حسب تقرير كانتر وخلال الأشهر التسعة الأولى من عام ١٩٩٨م إلقاء القبض على ٨٣٣٣ أجنبياً حاولت عصابات التهريب نقلهم إلى ألمانيا عبر الحدود الشرقية والجنوبية، ويشير هذا الرقم إلى ارتفاع معدل هذه المحاولات بحوالي ٢٥٪ مقارنة مع العام الماضي إذ استطاع رجال الشرطة الألمان إحباط محاولات تسلل ٨٢٨٨ أجنبياً إلى ألمانيا خلال عام ١٩٩٧م بأكمله، وكان هذا الرقم لا يتجاوز ٧٣٦٤ عام ١٩٩٦م وهناك قناعة تامة لدى الوزارة بأن عدد المحاولات المحبطة لا يشكل سوى قمة جبل الجليد؛ لأن تقديرات خبراء الشرطة تشير إلى أضعاف هذا الرقم من محاولات التسلل الناجمة.

وبلغة الأرقام فقد ارتفع عدد محاولات التسلل في الأشهر التسعة الأولى عام ١٩٩٨م محاولة بالمقارنة مع ١٧٠٠ محاولة تمت طوال عام ١٩٩٧م، علماً أن رجال الشرطة استطاعوا أحياناً ضبط شاحنات تهريب تحشر أكثر من عشرين متسللاً في مساحة لا تتجاوز أربعة أمتار مربعة والمهم في تطور نشاط هذه العصابات حسب تقدير الوزير كانتر هو أنها تكتسب بالتدريج

صفة (الاحتراف) كما تمتلك عصابات تهريب البشر بنية تنظيمية متينة، إضافة إلى شبكة من عيون الرصد أسوة ببني عصابات الجريمة المنظمة الأخرى، والأدهى من ذلك هو أن العصابات دأبت منذ فترة بعيدة عن استخدام الأجهزة الإلكترونية المضادة لأجهزة الشرطة الرادارية، كما لم تكن نادرة حوادث الكشف عن امتدادات لهذه العصابات بين رجال شرطة الحدود في البلدان الشرقية المجاورة، وكشف كانتر عن أن حوالي ٦٥٪ من حوادث التسلل والمطاردات تتم على الحدود الشرقية مع بلجيكا وبولندا، وازداد عدد الحوادث عام ١٩٩٨م بحوالي ٣٠٪ على هذه الحدود التي يفصلها نهراً الدايشة والنايسة عن الأراضي الألمانية، وأصدرت وزارة الداخلية في الفترة الماضية إجراءات رادعة لشركات وأصحاب التاكسيات الذين يساعدون في نقل الأجانب من المناطق الحدودية إلى المدن الكبيرة، كما شجعت الحكومة سكان المناطق الحدودية على تشكيل مبادرات وطنية لمراقبة الحدود والتبليغ عن حالات التسلل لقاء مكافآت كبيرة، وعملت وزارة الداخلية أيضاً على زيادة عدد شرطة الحدود والدوريات على الحدود رغم دخول اتفاقية شنجن حيز التنفيذ منذ أكثر من سنتين(٢٤).

ب- أول دار لضحايا (الإرهاب) المغتصبات في الجزائر:

افتتحت بالجزائر أول دار للنساء اللاتي اغتصبهن الإرهابيون في منطقة أبو إسماعيل على الساحل الغربي للجزائر العاصمة، كما أعلنت الإذاعة الحكومية.

وأضافت الإذاعة أن الدار افتتحتها وزيرة العائلة والتضامن ربيعة مشرنن والوزيرة المنتدبة للثقافة زهية بنت عروس، ولم يحدد المصدر عدد نزيلات الدار موضحاً أنهن من جميع أنحاء البلاد، وقد عهد إلى الأطباء برعايتهن صحياً ونفسياً، واعتبرت الوزيرة مشرنن في تصريح للإذاعة أن العناية بهؤلاء النسوة الضحايا الأبرياء الطاهرات عهد أخذته الحكومة على نفسها ووفت به وأوضحت ابن عروس من جانبها أن أجهزتها ستقدم لهذه الدار والأخرى التي سيتم فتحها المكتبات وغيرها من الوسائل الثقافية والترفيهية، وقد تعرضت أكثر من ألفي امرأة للاغتصاب من قبل الجماعات المسلحة في الجزائر خلال السنوات الخمس الماضية، كما ذكرت صحيفة (الخبر) في أغسطس (آب) ١٩٩٨م نقلاً عن مصدر قريب من وزارة الداخلية، وأوضحت الصحيفة أنه عدد حالات الاغتصاب الـ ٢٠٨٤ المسجلة توجد ٣١٩ امرأة مخطوفة لا يعرف حتى الآن مصيرهن، وعلاوة على ذلك توجد المئات من حالات الاغتصاب التي لم يبلغ عنها (خوفاً من العار) وقد أشارت الصحافة والتليفزيون الوطني إلى وجود فتيات تبرأت منهن أسرهن بعد أن تعرضن للاغتصاب وأحياناً مجرد الخطف وهن يعشن حالياً في مراكز إيواء، وعرض التلفزيون أخيراً تحقيقاً مصوراً عن فتاة شابة تمكنت من الفرار من مجموعة مسلحة اختطفتها وقامت باغتصابها إلا أن والدها رفض عودتها إلى المنزل رغم توسلات والدتها وهي تعيش الآن في دار أحد حراس البلديات مع أسرته استناداً إلى التحقيق وتعامل الجماعات المسلحة هؤلاء النساء على أنهن سبايا، وأمام خطورة حجم هذه الظاهرة قررت السلطات

اعتبار المغتصبات من ضحايا الإرهاب، مما يتيح لهن الحصول على تعويضات وعلى رعاية طبية ونفسية، وإضافة إلى ذلك أصدر المجلس الإسلامي الأعلى في أبريل (نيسان) فتوى بأن هؤلاء النسوة ضحايا أبرياء وأجاز لهن الإجهاض إذا حملن من الإرهابيين، والإجهاض محظور تماماً في الجزائر إلا في حالة الضرورة القصوى، كما ينص قانون صحي صادر عام ١٩٨٥م يجيز إجهاض المرأة التي حملت سفاحاً نتيجة تعرضها للاغتصاب من غريب أو من محرم عندما يشكل ذلك خطراً على توازن الأم النفسي أو العقلي[٢٥].

جـ - ٢٣٠ حالة انتحار في خمسة أعوام بدبي:

كشفت دراسة أعدها قسم الطب الشرعي بشرطة دبي أن نسبة حالات الانتحار خلال فترة خمس سنوات من ١٩٩٢ ، ١٩٩٧م بلغت ٩١٥ لكل مائة ألف نسمة من السكان، وأوضحت الدراسة بأن إجمالي عدد حالات الانتحار خلال الخمس سنوات الماضية وصل إلى ٢٣٠ حالة من بين ٢٢٢٤ حالة وفاة وقعت في دبي بشكل عام وشكل الوافدون من جنسيات مختلفة نسبة ٩٢٪ من عدد هذه الحالات مع زيادة كبيرة للوافدين من شبه القارة الهندية، وذكر د. عباس قرنفل استشاري الطب الشرعي بشرطة دبي أن هذا المعدل يقل عن معدلات الانتحار في بعض الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا، وأوضح أن الذكور يشكلون نسبة ٨١٪ من عدد المنتحرين مع زيادة في أعداد غير المسلمين خاصة بالنسبة للنساء، مما يؤكد أهمية الوازع الديني في الحماية من الانتحار، وتشكل الفئة

العمرية الشابة بين سن ٢١ ، ٣٠ عاماً في عدد المنتحرين وتليها الفئة العمرية من ٣١ و٤٠ عاماً مع زيادة كبيرة في عدد النساء الأقل من عشرين عاماً، وأضاف أن أكثر الطرق شيوعاً للانتحار كانت الشنق ولا توجد فروق ذات دلالة بين المواطنين والأفراد من شبه القارة الهندية في تفضيل هذه الطريقة، في حين أن القفز من مكان مرتفع كانت الطريقة الأكثر شيوعاً بين الأفراد من جنسيات أخرى وكان تناول العقاقير أو المواد السامة من أكثر الطرق شيوعاً لدى النساء المنتحرات[٢٦].

د ـ طقوس للخرافة والشعوذة:

إنه سيناريو الجهل الذي أدمناه فتحولت أفكارنا إلى أوهام وإيماننا إلى عبث وحفلاتنا إلى (زار) وقد كانت كلاً من عبير وهدى قاتلتي أمهما في حفلة زار من نوع خاص جداً عندما تمت جريمة القتل التي حطمت كل معيار إسلامي، لم تكن هناك دفوف ولم تكن هناك كوديه تناجي الأرواح ولم تكن هناك رائحة بخور، لكن كانت هناك فتاتان ترقصان على نغمات الجهل وحسب رواية الأب فإنهما كانتا تلقيان العفش من البلكونة تكسران كل شيء وعبير تضربني وهدى تدفعني للهروب من المكان عندما عاد الأب بعدما استغاث بالجيران كانت حالة الهدوء قد عادت من جديد ولكن السيناريو اختلف، كل شيء في غير مكانه، كل شيء غير طبيعي الأم عارية، والدماء متناثرة والبنتان غارقتان أيضاً في الدم، تقولان لقد اهتدينا، هما انصرفا وسوف نأخذ ماما كي نحميها، لكن الزار ما لبث أن عاد من

جديد فبعد دقائق تقريباً ربع الساعة عادت الزغاريد والصراخ وبدأت وقائع احتفال جديد داخل الحمام، فشل الأب وابنه في أن يعطلاه، يقول الأب: عندما حاولت فتح الباب قالت عبير: لو فعلت سوف أقطع ذراع هدى، هذه هي الوقائع التي استمر تصاعدها الدرامي من مجرد التهديد بقطع ذراع الأخت إلى التنفيذ الفعلي بقتل الأم تلك الحالة التي لم يكن يتوقع الأب أن تصل إلى تلك الذروة عندما لاحظ منذ ثلاثة أشهر حالة التغيير التي ألمت بابنتيه تتحدثان بلغة غريبة تسمعان شرائط القرآن، تتشاجران معنا، ورغم أن الأمر يستدعي الذهاب إلى الطبيب، إلا أن الأب ذهب بهن الى الدجالين، ومن هنا اقتنع الجميع بأن عبير لبسها عفريت اسمه (محمد) بينما لبس هدى عفريت اسمه (سالم) ولكن المشكلة أن رئيس نيابة المعادي قال كلاماً في نفس الاتجاه الميتافيزقي: لقد كانتا أثناء أخذ الأقوال في حالة هياج شديدة وصراخ وزغاريد ورغم أنني أخذت أقوال ابنتيهما على حده، إلا أنهما قالتا نفس الكلام وكأنهما تتحدثان بلسان واحد، وأضاف سألتهما عن حادثة القتل فقالتا: من الذي قال إن أمنا ماتت، نحن خلصناها من الجن، ما دام الجميع مقتنع بأن الحالة (عفاريت) بدأ في السياق أن تصرفات هدى وعبير منطقية فالجميع دخل حالة التعامع مع مبررات وهمية للحادثة البشعة التي يمكن القول إنها من فرط فظاعتها أدت إلى هروب الكل، الأب والأخ والجيران وجميع من سمعوا الخبر، إلى قصة الجن، ومن هنا ليس غريباً أن تمتنع الفتاتان عن الطعام فإذا سألتهما مندوبة روز اليوسف (لماذا لا تأكلان؟!) تجيب عبير.. من قال كده.. أنا إمبارح بس واكله فرختين

بحالهم لوحدي، ويمضي الخط إلى نهايته، فتقول الفتاة المسكينة وهي تشير إلى أحد الجنود: هذا (محمد) أخي.. كان في سراييفو.. منهم لله الكفرة الذين يقومون بقتل المسلمين هناك.. وقد حاولنا أن نغيِّر مجرى الحديث.. فسألناها عن طريقة تصفيف شعرها!! فقالت: هو عايز كده.. مين؟.. محمد اللي جواي.. زوجي من الجن.. هو بيحب شعري كده.. وقصة عبير وهدى وأمهما ليست الأولى التي يتم فيها قتل إنسان بسبب تخاريف الجان.. ففي (المنيا) شكى رجل من زيادة بكاء ابنته (شيماء) لأحد المشعوذين فأعطاه كوباً به ماء طلب منه أن تشربه، فإذا لم تتوقف عليه بضربها لأن الجان لبسوا جسدها.. وأما مكان الجان فبداخل رأسها.. ولم يكذب الأب وهو فلاح بسيط الخبرة.. بكت فأعطاها الكوب فلم تتوقف.. فأحضر قطعة خشبية وأخذ يضربها فوق رأسها الصغير ولم تحتمل بالطبع. فماتت.. والملاحظة أن إمبراطورية الخرافة في مصر تقترب جداً من الأماكن التي يعجز عندها الناس خاصة في حالة البحث عن طفل.. ففي إحدى قرى محافظة القليوبية ذهبت نبيلة زوجة عوض إلى شخص يقال إنه شيخ مبروك بحثاً عن أمل في ولي عهد .. وبعد تحديد الموعد المختار الذي قد يتأخر إلى شهور لشدة الإقبال على المشعوذين الذين صارت لهم سكرتارية ومواعيد.. جلس الزوجان مع المشعوذ وسط البخور المتصاعد وعرضا المشكلة فكتب لهما روشتة العلاج المجنونة.. الاستحمام بخلاص جنين مجهض حديثاً!!! وقال: لن تنجبا إلا بهذه الطريقة.. إلخ من الروايات[٢٧].

هـ . ضحايا رقيق النساء يتحولن غالباً إلى مجرمات:

كان موضوع (نساء بلا حقوق) والناس الأجنبيات بين تجارة النساء والعنف الأسرى في صلب المناقشات التي دعت لها وزارة العائلة الألمانية في مؤتمرها السنوي في فرانكفورت، وقدمت الباحثة الاجتماعية (الفيرانيسنر) من معهد الأبحاث النسائية في فرانكفورت دراسة تفصيلية عن أحوال النساء اللاتي يجري تهريبهن عنوة إلى ألمانيا وإجبارهن على ممارسة البغاء وأشارت نيسنر إلى أن أولئك النساء يدرن في حلقة مفرغة ويجدن أنفسهن في النهاية سواء أردن ذلك أم لا مجبرات على مواصلة الحياة غير الشرعية وضمن حلقات الإجرام الأخرى، إذ يتعرضن في البداية إلى خديعة من قبل تجار النساء والمخدرات بذريعة مساعدتهن على تحصيل الإقامة الشرعية في ألمانيا ويتم لاحقاً إجبارهن على ممارسة البغاء في البيوت المشبهوة محرومات من الحقوق كافة ويقعن في نهاية المطاف بأيدي رجال الشرطة، ولا تنتهي مآسي النساء عند هذا الحد إذ إن إجراءات الشرطة المحددة بسحب الإقامة المؤقتة والسجن والتسفير القسري لا تترك أمامهن المجال لمواصلة الحياة إلا عن طريق مواصلة الجريمة.

ثم إن النساء اللاتي يمررن بهذه التجربة سرعان ما يقعن من جديد بأيادي تجار النساء ليدرن في دوامة الاضطهاد من جديد، ويتعذر على المنظمات الإنسانية التي تشجع بعض هؤلاء النسوة على الإفلات من قبضة العصابات ومساعدة الضحايا بالشكل المطلوب في ظل هذه الإجراءات، لأن

الضحايا يخشين إجراءات الشرطة قدر ما يخشين (حساب) تجار الرقيق، وانتقدت (الفيرانيسز) تلكؤ ولاية (هيسن) عن بعض الولايات الألمانية الأخرى في تنظيم إجراءات حماية الهاربات من قبضة تجار الرقيق، إذ سبق لولاية الراين الشمالي ويستفاليات أن أصدرت قرارا بمنح الإقامة للنساء المضطهدات جنسياً أسوة بطالبات حق اللجوء السياسي، من ناحيتها طالبت مونيكا بوسمان من دائرة إرشاد المهاجرات بسن قانون لحماية النساء أسوة بقوانين حماية الشهود من انتقام عصابات الإجرام المنظمة، وقالت بوسمان إن غالبية النسوة المضطهدات يرفضن الاعتراف على أفراد وقيادات عصابات تهريب النساء خوفاً من التعرض للقتل، ولا يمكن توفير الحماية إلا من خلال برنامج لحماية الشهود شبيه ببرنامج (الشرطة الفيدرالية) في الولايات المتحدة، والأسوء من ذلك ينظر بوسمان هو أن يقوم رجال التحقيق بترحيل الضحية (الشاهدة) مباشرة إلى بلدها بسبب رفضها الاعتراف على مضطهديها إذ يعرض هذا الإجرام حياتها للخطر سواء شهدت ضد رجال العصابات أم لم تشهد واتفاق حضور المؤتمر الذي دام يومين على حقيقتين الأولى أن، تايلند، والفلبين، وأفريقيا، لم تعد مصادر تجارة الرقيق الأساسية إلى أوروبا كما كان الحال قبل ١٩٨٩م لأن بلدان أوروبا الشرقية أصبحت المصدر الرئيسي للدعارة القسرية إلى ألمانيا والحقيقة الثانية هي أن أعداد النساء المسترقات يرتفع باطراد رغم أنه لا يشكل سوى قمة جبل جليد إذ ارتفع عدد النساء المحررات من قبضة تجارة الدعارة من ١٠٤٥ بين ١٩٩٤، ١٩٩٦م إلى ١٥٨١ بين ١٩٩٦، ١٩٩٨م وارتفع في الوقت نفسه عدد تجار

الرقيق المعتقلين من ٩٠٤، ١١٥٤ وتشكل النسوة نسبة ٢٠٪ من تجار الرقيق المقبوض عليهن خلال السنتين الماضيتين، وتشير دراسة الفيرانيسز إلى أن معظم أولئك النسوة كن في الواقع ضحايا رقيق النساء تحولن بهذا الشكل أو ذاك إلى مجرمات[٢٨].

و- الزواج المثلي للشاذين جنسياً:

تستجمع حكومة ليونيل جوسبان الاشتراكية قواها وأنصارها في البرلمان الفرنسي بإعادة طرح مشروع (ميثاق التضامن المدني) على البرلمان حول حقوق الشركاء من اللواطيين، والسحاقيين في العيش معاً والتزاوج المثلي بعد أن مُني المشروع بهزيمة شنيعة من قبل المعارضة اليمينية في البرلمان التي نجحت في رده رغم أن اليمينيين يشكلون الأقلية في الجمعية الوطنية وبرر نوال ممار أحد أبرز نواب الخضر والأغلبية اليسارية في الجمعية أن المشروع مني بهزيمة نكراء أمام الأقلية اليمينية بسبب الحضور الضئيل والمخجل لنواب الأغلبية في أول مجابهة جمعتهم لطرح مشروع الميثاق المدني للتضامن قبل مناقشته في نهاية شهر أكتوبر ١٩٩٨م (أنه يوم جمعة اليسار الأسود). ومن باب تخفيف وطأة الهزيمة تدخل جان فيليب كامباديليس النائب الاشتراكي وأحد الأوفياء لخط الرئيس الراحل ميتران مؤكداً أن عدم الأكتراث والثقة الزائدة في النفس حتى الغرور عوامل أسهمت في تراخي نواب الأغلبية اليسارية في الوقت الذي جندت فيه المعارضة اليمنية كل قواها لإسقاط المشروع، من جهته قال كلود كواسفن نائب رئيس حركة (الديمقراطية

الليبرالية) إن هزيمة اليسار تعد بداية نهاية فترة الإبهار والخداع الاشتراكيين وعزز هذا الرأي باتريك ديفيد جيان المحامي والنائب اليميني الممثل لحزب التجمع من أجل الجمهورية الذي في تقديره يعود غياب نواب الأغلبية اليسارية إلى عدم اقتناع تام بمشروع (الميثاق المدني للتضامن) في ظل تراجع ثقة الفرنسيين في الحكومة اليسارية بوجه عام بعد عام ونصف العام من الحكم، والمعروف أن الضجة التي أثيرت في الجمعية الوطنية والمرشحة للتطور في الأيام القليلة المقبلة لا يستند أصحابها من الطرفين المتصارعين إلى دراسات وإحصائيات موثقة تثبت مدى شرعية وحاجة المجتمع الفرنسي إلى الميثاق المذكور باستثناء استطلاع وحيد قام به مكتب الاستطلاعات العمومية العام الماضي وكشف أن ١١٪ من السحاقيات و ٧٪ من اللواطيين يعيشون زيجات مثلية منذ مدة طويلة، الأمر الذي يؤكد في نظر مؤيدي وأنصار الميثاق أن الظاهرة حقيقية اجتماعية قائمة، وفي سياق السجال القائم تحرك بعض الأطباء الباحثين والمتخصصين في الأمراض النفسية والعصبية لإبداء آرائهم ومن هؤلاء (سيرج باكشين) الذي قال إن الأطفال الذين يعيشون في كنف آباء وأمهات من نفس الجنس يصابون بأمراض نفسية خطيرة نتيجة الخلل العاطفي الناتج عن غياب الأم أو الأب، أما المحللة الاجتماعية إفلين سوليرو فقالت إن العلاقة البيولوجية تعزز صحة الرابط الاجتماعي الطبيعي الذي يضمن حياة نفسية متوازنة للأطفال(٢٩).

ز. نسبة ضخمة من الطلبة مدمنو سجائر في بريطانيا:

كشفت دراسة أجرتها هيئة التربية الصحية البريطانية ونشرت في ٢٢/١٠/١٩٩٨م أن نسبة ضخمة من طلبة المدارس بين سن ١١ و ١٥ مدمنون على التدخين وجاء فيها أن ٤٦٪ من المراهقين الذين يدخنون باستمرار يولعون أولى سجائرهم في الصباح خلال ساعة من استيقاظهم، وأن معظم هؤلاء يبدون عوارض الإدمان على التدخين كالمدخنين الراشدين وعبر ٤٩٪ منهم عن عجزهم عن ترك التدخين حتى ليوم واحد، وقالت سارة كريستي المتحدثة باسم هيئة التربية الصحية البريطانية لـ (الشرق الأوسط) إن سبب إقبال الأطفال على التدخين قد يعود إلى إدمان أهاليهم مما يجعل التدخين عادة مقبولة، وأشارت إلى أن ما يثير الاهتمام فيما كشفته الدراسة أن الأنواع الأكثر شعبية بين السجائر هي تلك التي تحظى بحملات إعلانية كبيرة رغم أن الإعلان عن السجائر محظور في المناطق المحيطة بالمدارس، وعلقت كايتي آستون مديرة حملة مكافحة السرطان في هيئة التربية الصحية البريطانية على دور الإعلام في تزايد نسبة التدخين عند الأطفال قائلة: الواقع أن كثيراً من الأطفال يجمعون قسائم السجائر أو يرتدون ملابس عليها ماركات شركات التبغ مما يؤكد الحاجة إلى منع إعلانات التبغ بكل أشكالها)[٣٠].

حـ. أحوال وأحداث[٣١].

(١) في القليوبية أبلغ عامل مسلم عن زواج أخته من شاب مسيحي وإنجابهما طفلاً وبضبطهما اعترفا بأنهما تزوجا عرفياً واستخرجا شهادة ميلاد للطفل.

(٢) عثر عامل من العريش على طفل حديث الولادة داخل لفافة من القماش أسفل العمارة التي يسكنها.

(٣) اعتدى صاحب مزرعة دواجن مسيحي بقرية كنانة بالقليوبية على فتاة مسلمة بعد أن وعدها بالزواج، أبلغ والدها الشرطة وتحرر عن الواقعة المحضر رقم ٣٨٠٨ إداري.

(٤) هرب متهم في قضية مخدرات يدعى أحمد إبراهيم من حراسته أمام مجمع المحاكم بشبرا الخيمة، المتهم الهارب كانت تنتظره سيارة هونداي خضراء أمام المحكمة وحرر محضراً بالواقعة وجاري التحقيق فيها.

(٥) تُوفي مجند شرطة بعد أن أطلق النار على نفسه من سلاحه الميري، المجند كان يعاني من حالة اكتئاب نفسي شديدة.

(٦) في ملهى ليلي بالعباسية تم ضبط راقصة تمارس الرقص الشرقي بقصد ارتكاب أعمال منافية للآداب.

(٧) ميكانيكي مصاب بطلقات نارية في يديه وصدره هرب من المستشفى

الذي كان يعالج فيه سبب هروبه خوفه من المسؤولية الجنائية لأنه أصاب نفسه أثناء إطلاقه الرصاص احتفالاً بعرس صديقه.

(٨) تشاجر تسعة أشخاص في بركة السبع بالمنوفية بسبب التنافس على تشغيل العمال، الغريب أن الأشخاص التسعة أُصيبوا جميعاً بارتجاج في المخ.

(٩) تم قطع خط النفط الذي يستخدم في نقل الزيت الخام من البئر التابعة لشركة بدر الدين للبترول سبب القطع سرقة مواسير الخط بطول كيلو متر.

(١٠) مهندس بأوقاف الفيوم اعتاد مطالبة مقاولي مساجد الفيوم بنسبة من أرباحهم والتي تقدر بمليون جنيه، اللواء عز الدين الأحمدي أمر بعمل كمين للمهندس وضبط أثناء حصوله على ثلاثين ألف جنيه على أنها رشوة لتخليص أذونات صرف الشيكات الخاصة بأحد المقاولين.

(١١) في الشرقية تم ضبط حسن محمد حسين أثناء ترويجه للعملات المزيفة.

(١٢) في شمال سيناء تم كسر شقة عضو مجلس الشعب (سلمان الزملوط) وبعثرة محتوياتها، وقام الفاعل بترك رسالة يَسبُّ فيها صاحب الشقة.

(١٣) في ميناء دمياط تم ضبط ٢١٦ كرتونة ويسكي بداخل كونتينر وارد لحساب شركة قطاع خاص مكتوب عليها بيانات عصير برتقال قُدرت الرسوم الجمركية بأربعة ملايين وستمائة ألف جنيه.

(١٤) تم إعدام ١٧ طناً و٣٣٤ كيلو شيكولاتة وردت إلى إحدى الموانئ المصرية من إنجلترا لحساب شركة قطاع خاص.

(١٥) ١٧٩٠٠ كيلو سكر معبأة في ٣٥٨ جوالاً ضُبطت بداخل كبائن أفراد طاقم إحدى السفن المصرية، وكانت هذه الكمية من السكر معدة للتهريب، ربان الباخرة سدد ٢٨٠٠٠ ألف جنيه رسوماً جمركية وتمت مصادرة المضبوطات.

(١٦) قامت شرطة موانئ شمال سيناء بالقبض على أربعة مواطنين مصريين منهم ميكانيكي وعامل بلاط أثناء تسللهم إلى إسرائيل.

(١٧) تم ضبط ٩٤٩ جهاز فيديو في ميناء القاهرة الجوي واردة من الخارج باسم مستشار أول سفارة أفريقية بالقاهرة.. وكان مستشار السفارة يحاول تهريبها إلى مصر دون دفع الرسوم.

** كنا نسمع ونقرأ عن ظاهرة تهريب المخدرات والحشيش وأنواع المسكرات، واليوم يطل علينا نوع آخر، التهريب للبشر، فقد نشطت العصابات، وقوى المافيا إلى التفكير في إيجاد نوع من التجارة بدلاً من الرقيق إلى تجارة تهريب البشر، من أطفال ونساء من أجل عرضهم واستخدامهم في

ممارسة البغاء في دور الدعارة المشبوهة، في كل مكان في العالم، وخاصة بعض دول أوروبا التي يأتي إليها الآلاف من الأطفال والنساء من أفريقيا وجنوب شرق آسيا ووسط وجنوب أمريكا الجنوبية، وأوروبا الشرقية، وبعضهم يشكل من هذه الفئات أندية منظمة لممارسة الفاحشة عن طريق من يتولى كفالتهم، ثم من يدفع من أجل المتعة المؤقتة التي تشكل خطراً على الصحة للجانبين فتتعرى بذلك كل القيم الإنسانية.

وهناك ما نسمع به من ضحايا الإرهاب من النساء اللاتي يتم اختطافهن ثم اغتصابهن بحجة السبي من قبل من يدعي الإسلام وهم أبعد عن الإسلام وتطبيقاته وهو ما يحدث في الجزائر، وكوسوفو بألبانيا وغيرها من الأماكن والمناطق التي تتعرض لمثل هذه الحركات الإجرامية، وكم من حالات الانتحارات التي تحدث يومياً في مختلف دول العالم نتيجة الأعمال الإجرامية والتهديدات التي يتلقاها بعض الأفراد لمجرد الابتزاز وخاصة النساء، وكم من مشعوذ دجال يفتح أبواب الخرافة لضعيفي النفوس وبالذات النساء، فيتم سلب الكثير من الأموال، والاعتداء الجنسي بحجة العلاج، ومن العجيب أن بعض الأشخاص في بعض الدول الأوروبية ينادون بفتح مشاريع لزواج الشاذين جنسياً، أي زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة وهو الأمر الذي لا تجيزه الديانات ونفاه الدين الإسلامي لكونه يتعارض مع الواقع، ومع متطلبات الحياة البشرية، إذ إن الخالق سبحانه وتعالى أباح الزواج بين الرجل والمرأة وبه تنصلح حياة البشر ويتم الإنجاب ويتكاثر النسل الآدمي، إنهم

٥- جريدة المسائية، الرياض، العدد (٥٠٣٩) في ١١/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢١/٦/١٤١٩هـ (١٨) صفحة (١).

٦- الشرق الأوسط، لندن، العدد (٧٢٧٠) في ٢٤/١٠/١٩٩٨م الموافق ٤/٧/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢).

٧- الشرق الأوسط، لندن، العدد (٧٢٧١) في ٢٥/١٠/١٩٩٨م الموافق ٥/٧/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢).

٨- مجلة الجديدة (الشرق الأوسط)، لندن، العدد (٦٤٢) في ١٤/١٠/١٩٩٨م صفحة (٦٠، ٦١).

٩- الشرق الأوسط، لندن، العدد (٧٢٣٧) في ٢١/٩/١٩٩٨م الموافق ١/٦/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢).

١٠- الشرق الأوسط، لندن، العدد (٧٢٥٥) في ٩/١٠/١٩٩٨م الموافق ١٩/٦/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢).

١١- جريدة عكاظ، جدة، في ١٧/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢٧/٦/١٤١٩هـ الصفحة (٢).

١٢- الشرق الأوسط، لندن العدد (٣٩٧٢) في ٢٣/٧/١٩٩٨م الموافق ٢٧/٦/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢).

١٣- الشرق الأوسط، لندن، العدد (٧٢٦٥) في ٢٤/١٠/١٩٩٨م الموافق ٤/٧/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢)

١٤- الشرق الأوسط، لندن، العدد (٧٢٦٥) في ١٩/١٠/١٤١٩م الموافق ٢/٦/١٤١٩هـ (٢١) الصفحة (٢).

١٥- الشرق الأوسط، لندن، نفس المرجع.

١٦- الشرق الأوسط، لندن، نفس المرجع.

١٧- روز اليوسف، القاهرة، (٣٥١٣) في ٩/١٠/١٩٩٥م صفحة (٤٦).

١٨- روز اليوسف، القاهرة، (٢٥٢٣) في ١٨/١٢/١٩٩٥م (٧١).

١٩- الشرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٥) في٢٢/٦/١٤١٩هـ الموافق ٢/٦/١٤١٩هـ (٢١).

٢٠- الشرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٤) في ١٨/١٠/١٩٩٨هـ، الموافق ٢٧/٥/١٤١٩هـ (٢١).

٢١- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٤) في ١٨/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢٨/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٢- الشرط الأوسط. لندن (٧٢٤٥) في ٢٩/٩/١٩٩٨م الموافق ٩/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٣- الشـــرط الأوسط. لندن، (٧٢٤٦) في ٣٠/٩/١٩٩٨م الموافق ١٠/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٤- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٧١) في ٢٥/١٠/١٩٩٨م الموافق ٥/٧/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٥- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٥) في ١٩/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢٩/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٦- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٩) في ٢٣/١٠/١٩٩٨م الموافق ٣/٧/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٧- روز اليوسف. القاهرة، (٣٤٥٨) في ١٩/٩/١٩٩٨م الصفحة (٧٦).

٢٨- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٥١) في ٥/١٠/١٩٩٨م الموافق ١٥/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٢٩- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٥٨) في ١٢/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢٢/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٣٠- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٩) في ٢٣/١٠/١٩٩٨م الموافق ٣/٧/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٣١- مجلة روز اليوسف. القاهرة، (٣٥٠٢) في ٢٤/٧/١٩٩٥م الصفحة (٧٨).

٣٢- الشـــرق الأوسط. لندن، (٧٩٥٨) في ١٢/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢٢/٦/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

٣٣- الشـــرق الأوسط، لندن، (٧٢٦٩) في ٢٣/١٠/١٩٩٨م الموافق ٢/٧/١٤١٩هـ (٢١) ص٢.

الفصل الرابع

جـــدل وجـــهـل

أولاً: من يدري..؟ ومن لا يدري..؟

ثانياً: تطاول الجهل والاستبداد.

ثالثاً: التنمية والبطالة.

جدل وجهل!!

أولاً: من يدري؟ ومن لا يدري؟:

قد ينطبق تماماً على ما يمكن أن يؤديه (الموظف) في مؤسسة ما تُعنى بالإنتاج لغيرها من المؤسسات التعليمية الكبرى، كالجامعات مثلا، ولنفترض جدلاً أن ذلك مهم بالنسبة للشريحة العاملة في القيادات الإدارية، وأعني أيضاً (الموظف العادي) ناهيك عن أن هذا الموظف في المؤسسات التي نطلق عليها (الحكومة) أي التي تتبع الدولة، وبنفس الأهمية في الإدارات (الحكومية) إلا أن درجة الاختلاف هنا في:

الإنتاجية والتطوير والتخطيط للمدى البعيد أو القصير، وتقدير دور مرحلة التقييم للعمل والعامل، وهذه الاختلافات تتجه نحوها علامات استفهام كبيرة، ذلك أن درجة الموظف في المؤسسة الخاصة تختلف عنها في المؤسسات العامة (أي التي تتبع الدولة) ولكن قد نسأل ما هي تلك الدرجة من الاختلاف؟.

والإجابة تكاد تكون واضحة وسهلة وهي تتمثل في:

- الإنتاج.
- التفكير للجديد.
- الانضباط في الأداء وفي التوقيت للعمل.

– المتابعة ... إلخ.

– يحدث هذا بمميزات في القطاع الأهلي (الخاص) ولا يحدث مطلقاً في القطاع العام (الحكومي) والسبب أننا لو درسنا الموضوع بسهولة نصل إلى النتيجة عن طريق ما ذكرناه سابقاً في تلك الخطوات.

أما في الجامعات فيتولى القيادة للمهام الإدارية موظفون بدرجة (الدكتوراه) أو (الماجستير)... إلخ، بمختلف تخصصاتهم، ويفترض أن تكون لتوجهاتهم العالية تحقيق:

– الإنتاج والتطوير والتغيير حسب حاجة السوق.

– وضع خطة لإدارته في الكلية التي يقودها أو المركز أو المعهد... إلخ.

– دراسة أوضاع العاملين معه.

– الإعداد لدراسات علمية تطبيقية عن واقع ومتطلبات وحاجات العصر للمؤسسة التابعة له.

– المتابعة لأعمال الأقسام والمسؤولين عنها.

– المتابعة لأعمال الطلبة... إلخ.

– التفكير للأعمال البحثية، والمؤتمرات والندوات... إلخ.

إلا أننا من خلال التجربة والملاحظات المكتوبة أو المرئية وجدنا الآتي:

١– بعض القياديين كعمداء الكليات ورؤساء الأقسام جاء تعيينهم بما لا

تنطبق عليهم اللائحة المنظمة لشؤون منسوبي الجامعات، ومن في حكمهم، فالنظام يقول: (يُعيَّن رئيس القسم من أعضاء هيئة التدريس المتميزين بالكفاءات العلمية والإدارية بقرار من مدير الجامعة بناءً على ترشيح عميد الكلية أو المعهد .. إلخ)، والحدث شيء والقرار شيء آخر، لأن التطبيق أصبح غير مميزاً بدليل أن معظم الكليات والمعاهد لا جديد فيها، وهذا ينطبق تماماً على الخيارات المطلوبة لمنصب (العميد) أو (الوكيل) .. إلخ، وفي العالم العربي اتجاه نحو الاهتمام إما:

- بالشخصية الهزيلة التي تقول (نعم) لكل قرار.

- أو بالشخصية المقربة لصاحب القرار، وكلاهما يمثلان القاعدة نفسها، والحقيقة نحن هنا لا تهمنا (أمثال) هذه القرارات الضعيفة، ولكننا ننتظر أحداث ونتائج القرار فيما بعد، وسؤال منطقي يدور في الذهن، وهو: لماذا لا تدرس جهات الاختصاص أو القرار أهمية التطوير في هذه الكلية؟ أو متى؟ وإلى أي مدى يمكن أن يتحقق هذا؟.

إن الكثير من الأعمال بهذه الشاكلة تدلنا على أنه لا تغيير ولا تحديث ولن نصل إلى إنتاج، ولن يكون هناك فعالية لتزويد سوق العمل بما يحتاج إليه، والسبب وراء هذا التدهور تداعي (المناصب) والمحافظ عليها كاستجابة لمصلحة شخصية لا غير، وبه تضيع أسس التنمية والتطوير التي تسعى إلى تحقيقها الجهات العليا في الدولة.

ثانياً: تطاول الجهل والاستبداد:

غريب أمر هذا الزمان، حيث نجد أن المتعلم أو العالم وهو المؤهل بعيداً عن الاحترام والتقدير، بينما نجد أن للجاهل مميزات أقل ما يقال عنها إنها تخدمه للوظيفة أو المنصب، أو حتى رؤية حاله، ولعل الصورة منتشرة عن هذه الحالة في مختلف المجتمعات من القديم حتى الحديث، ولا إخال بأن هذا السبق سوف يكون حتى في القرن الحادي والعشرين، يقول (مارتن بلمر)(٢) أستاذ الدراسات الاجتماعية المتقاعد من كلية الآداب بجامعة (نيو أورليانز) «تحدث بعض الغرابة أحياناً من بعض الأشخاص من ذوي المناصب العليا عندما يتجاهلون من هم أعلى منهم قدرة وتأهيلاً، وعندما درسنا الموضوع في خيار القيم وجدنا أن هناك فئة تجهل ماذا تفعل!! ولكنها تستبد برأيها رغم الخطأ.».

وكمثال على هذه النوعية أو قريبة منها نقرأ معاً هذا الموضوع: (٣).

يبدأ (عبدالرحمن الكواكبي) تمهيده بالقول: أقول وأنا مسلم (عربي) مضطر للاكتتام، وهذا يمكن أن يعد مجموعة جرائم خطيرة في نظر الحكم القائم، أقول جريمة تحد، وأنا (مسلم غربي) جريمتنا انتماء ومضطر للاكتتام، جريمة إشارة إلى الواقع القامع، ولكن المؤلف اغتنم فرصة وجوده في (مصر) وفسحة الحرية النسبية التي تنعم بها على عهد (العباس الثاني) الناشر لواء الأمن على أكناف ملكه، مما أتاح له إمكانية التصريح عما يجول بخاطره في مشكلات بلاده.

وهو بعد أن يعرض آراء الباحثين في سبب الانحطاط يتوصل إلى النتيجة الآتية: تمحص عندي أن أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية، ويبسط بعض مباحث كتابه والتغييرات التي طرأت عليها، والمشاق التي تكبدها في سبيل إنجاز الكتاب، ثم يبين أغراضه منه، إنما أردت بيان طبائع الاستبداد وما يفعل، وتشخيص مصارع الاستعباد وما يقضيه ويمضيه على ذويه، ولي هناك مقصد آخر وهو التنبيه لمورد الداء الدفين، عسى أن يعرف الذين قضوا نحبهم أنهم هم المتسببون لما حل بهم، فلا يعتبون على الأغيار ولا على الأقدار، إنما يعتبون على الجهل، وفقد الهمم، والتواكل، وعسى الذين فيهم بقية رمق من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات، والكواكبي هنا إذ يهاجم الاستبداد، لا ينفي مسؤولية من يقع عليهم، بل يوضح أن المقهور كثيراً ما يكون دعماً لقاهره، فالمستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى الآية الكريمة (**كما تكونوا يولى عليكم**) فلو لم تكن علاقات الناس الاجتماعية فاسدة لما سادها الاستبداد الذي لا يتمكن من الناس إلا في ظل الجهل والتعادي، إن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة، ولكن هذه المسؤولية نسبية، وذلك لأن الاستبداد يحفر في عقول العوام لإقناعهم بالباطل، وهنا يأتي دور العلماء الراشدين المرشدين الذين يجهدون في توعية الناس وفي حثهم على طلب الحرية.

ثم يبين الكواكبي منهجه في تأليف الكتاب، وقد تخيرت في الإنشاء أسلوب الاقتضاب وهو الأسلوب السهل المفيد محاولاً الابتعاد عن الألغاز، لأن هدفه أن تصل أفكاره إلى أكبر عدد ممكن من مواطنيه ليتشكل ائتلاف يتعاون على دك حصون الاستبداد وفضح مساوئه، وفي مقدمة الكتاب يذكر المؤلف بعض مصادره العربية والإسلامية والأوروبية التي تناولت هذه المسألة، ثم ينتقل إلى تعريف علم السياسة بأنه إدارة الشؤون المشتركة بمقتضى الحكمة، أما الاستبداد فهو التصرف في الشؤون المشتركة بمقتضى الهوى، ومن البين أن الفرق شاسع بين العبارتين ففي مقابل (الإدارة) هناك (تصرف) وفي مقابل (الحكمة) هناك (الهوى) الإدارة فعل يتم بموجب مصلحة الأمة، أما التصرف فهو فعل مزاجي يتم انطلاقاً من شهوات المستبد ورغباته، بعيداً عن أي منطق أو تفكير يصب في مصلحة المجتمع وبذلك يضع (الكواكبي) التصرف و(الهوى) خارج دائرة السياسة، فبحثه إذاً سياسي وآفة السياسة (الاستبداد) أما المقال الأول ما هو الاستبداد فيبدأ بتحديد معنى الاستبداد لغة واصطلاحاً، فالاستبداد لغة هو (غرور المرء برأيه، والأنفه عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة، وهو اصطلاحاً (تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعه) ولم يكتفِ بذلك، بل نراه يعرف الاستبداد بالوصف فيقول: إنه صفة للحكومة المطلقة العنان، فحيث يغيب القانون تتحول العلاقة إلى تابع ومتبوع، وقامع ومقموع، ومفقر ومُفقر، بسبب انعدام العقاب الذي يردع الجور.

ثم يبين أشكال الحكومة المستبدة، فمنها حكومة الفرد المطلق، وحكومة الفرد المنتخب غير المسؤول، أو الجماعة المنتخبة غير المسؤولة والحكومة الدستورية التي تفرق بين السلطات التشريعية والتنفيذية والمراقبة، فشكل السلطة لا ينفي عنها صفة الاستبداد ما لم يحتوِ على مضمون مراقبة الأمة لجعل ذلك الشكل ذا مضمون فعلي قابل للتنفيذ، وذلك لا يتم إلا إذا كان المنفذون مسؤولين أمام المشرعين والمشرعون مسؤولون أمام الأمة، ويرى أن أشد مراتب الاستبداد هي الحكومة المطلقة فهو يقيس الاستبداد بمقياس التضمن والشمول ويحصره في أكبر عدد ممكن من الصفات ليقلل عدد الذين ينطبق عليهم المفهوم ليزداد معرفة بصفات الاستبداد الجوهرية، ثم يوضع معنى الاستبداد لديه، ويراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة لأنها أعظم مظاهر أضراره، أما ما عداه فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الإضافة، وذلك لأن الاستبداد يسيطر على شؤون الحياة جميعها، ولا تعتمد في حكمها على قاعدة دستورية، وعموماً فهو يرى أن الحكومة لابد أن تستبد ما دامت غير مراقبة وما دامت قادرة على تأصيل استبدادها من خلال جهل الأمة وامتلاكها الجنود المنظمة، لذلك فإن أي حكومة مهما يكون ظاهرها العدل ستنقلب إلى مستبدة متى غفل الشعب عن مراقبتها، بعد ذلك ينطلق (الكواكبي) إلى مناقشة علاقات الاستبداد انطلاقاً من تعريفه إياه، ففي الاستبداد والدين يلاحظ أن بعض العلماء يرون أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني ولكنه لا يوافقهم في ذلك، بل يعتقد أن البدع هي التي شوهت الأديان، وما ذلك إلا بسبب الاستبداد.

إن الاستبداد يحرف الدين عن طريق مدعي العلم الذين يحرصون على مصلحة المستبد مستغلين هيئة الدين في قلوب الناس ومتظاهرين بالتمسك به في حين أن الأديان براء من كل ما ينسب إليها من الاستبداد وخاصة الإسلام الذي جاء هادماً الشرك ومحكماً لقواعد الحرية السياسية فأسس التوحيد ونزع كل سلطة تغلبية تتحكم في النفوس أو في الأجسام، بل إن الإسلام قد وضع شريعة حكمة إجمالية صالحة لكل زمان وقوم ومكان، ولا مجال لرمي الإسلام بتأييد الاستبداد؛ لأنه ليس فيها نفوذ ديني مطلقاً في غير مسائل إقامة شعائر الدين ومنها القواعد العامة التشريعية التي تصلح إطاراً عاماً لكل أشكال الحكومات العادلة، ويناقش (الكواكبي) مسألة الاستبداد والعلم في مقاله الثالث، فيرى أن أقبح أنواع الاستبداد هو تطاول الجهل على العلم، ويبين فيه موقف المستبد من العلم والعلماء فالمستبد لا يخشى علوم اللغة، ولا يخاف من علوم الدين القصيدية، المتعلقة بالآخرة وبعلاقة الإنسان بربه، وإنما يخاف من علوم الحياة، والفلسفة العقلية، وحقوق الأمم، ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس، وتوسع العقول، وتعرف الإنسان ما هي حقوقه؟! وكم هو مغبون فيها، وكيف الطلب؟ وكيف النوال؟ وكيف الحفظ؟ لذلك يخاف المستبد من العلماء الراشدين المرشدين، لا من العلماء الذين حشوا رؤوسهم بمحفوظات كثيرة كأنها مكتبات مقفلة، ولا من المنافقين الذين يسهل شراؤهم وتوظيفهم في دولة الاستبداد ليعززوا الجهل، إن بين الاستبداد والعلم حرباً دائمة وطرداً

مستمراً، وليس من مصلحة المستبد أن تتنور الرعية، لذلك يعمل الاستبداد على محاربة العلم الذي لا يهدم الاستبداد إلا به، فيسعى العلماء إلى تنوير العقول، ويسعى المستبد إلى تجهيل الناس معتمداً على العوام، لأن العوام هم قوة المستبد وقوته، يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الجهل الذي يكتنفهم، وفي حين يبذل العلماء جهدهم في بث العلم، لا ينفك المستبد يطاردهم وينكل بهم، أما التخلص من الاستبداد فلا يكون بغير العودة إلى منابع ديننا الحنيف، ونحن نعلم أن الإسلام هو أول دين حض على العلم، وبين أهميته، من خلال أمره بالقراءة أمراً مكرراً، والحاصل أنه ما انتشر نور العلم في أمة قط إلا وتكسرت فيها قيود الأسر، وساء مصير المستبدين، لذلك يحاول المستبد أن ينشر الجهل حتى ينقلب الناس إلى مستبدين صغار في كنف المستبد الأكبر، يستعيضون عن المجد باصطناع التمجد.

ويفرق الكواكبي بين المجد والتمجد، فيرى أن المجد هو إحراز الحب والاحترام في قلوب الناس، ولا ينال إلابيذل المال أو العلم أو النفس في سبيل الجماعة، والاستبداد يغالب المجد لقيم التمجد الذي هو خاصة من خصائص الإدارات المستبدة، وهو التقرب من المستبد بالتزلف والمراءاة والنفاق ويحاول المستبد الإكثار من المتمجدين وتوسيع دائرتهم، لأنه فرد عاجز لا حول له ولا قوة بغيرهم، وحاجته إلى عصابة تحميه، تدفعه كي يستوزر أسافل الناس الذين تغريهم مظاهر التمجد والمفاخرة، ويستعين بالذين ينهمكون في إظهار العظمة واسترهاب الناس، وكلما اشتد ظلم المستبد احتاج إلى عدد

أكبر من الأعوان ليساعدوه على سياسة الطغيان والفساد، فهل تنتظر الأمة من هؤلاء المتمجدين أن يخلصوها من الاستبداد، يجيب الكواكبي: إن الأمة ليس لها من يحك جلدها غير ظفرها، ولا يقودها إلا العقلاء بالتنوير والإهداء والثبات، ويؤكد أن الاستبداد مرض، والمستبد إنسان مريض لا يستطيع الخروج بنفسه من أزمته، وإنما الذي يخلصه من مصابه هي الجماهير التي تدرك حدود الداء، وتعرف أعراضه، وتشعر بثقل وطأته وفساد تصرفاته التي تمتد بأذيتها لتشمل القاهرين والمقهورين، وتنزع عنهم آدميتهم.

وفي ظل الاستبداد والمال يحاول (الكواكبي) أن يبحث في نسب الاستبداد الذي لو كان رجلاً لقال: أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر وأختى المسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي وحياتي فالمال المال المال، ويعرف المال بأنه قيمة الأعمال، ولا يجتمع في أيدي الأغنياء إلا بالغلبة والخداع، ويبيح التمول لأجل قضاء الحاجات، ضمن ثلاثة شروط هي:

أن يحصل المال بوجه مشروع حلال، ولا يكون فيه تضييق على الآخرين، ولا يتجاوز قدر الحاجة بكثير، وذلك لأنه يرى أن الاحتكار والتمول المفرط وسلب الأراضي المشاع تساعد على إيجاد نوع من الاستبداد المالي الذي يمهد الطريق للاستبداد السياسي، وهنا تتضح استفادة المؤلف من أفكار (روسو) و(منتسكيو) و(الفييري) فضلاً عن معتقداته الإسلامية، فالعدالة المطلقة تقتضي أن يؤخذ قسم من مال الأغنياء ويرد إلى الفقراء،

بحيث يحصل التعديل ولا يموت النشاط للعمل، لذلك فرضت الشريعة الإسلامية الزكاة على الأغنياء، ويرجع (الكواكبي) أعمال البشر في تحصيل المال إلى ثلاثة أصول :

- استحضار المواد الأصلية.
- تهيئة المواد للانتفاع بها.
- توزيعها على الناس.

وهي أصول تسمى : الزراعة والصناعة والتجارة، وكل ما لا يتصل بهذه الأصول فهو وسيلة ظالمة لتحصيل المال بغير حق، ثم يشير إلى أن الاحتكار يدعم الاستبداد، لذلك يعمل المخلصون على محاربته، ويحرص المستبد على تعزيزه، إن إحدى وظائف الحكومة الأساسية هي أن لا تسمح بالتفاوت الفاحش بين الناس في الدخول، بينما يجعل الاستبداد الإنسان غير أمين على ثمرات تعبه، لأنه يقوي الجشع والاحتكار، ويدعم القيم القائمة على اللصوصية، ليحفظ لنفسه غفلة الناس عن ممارساته، وفضلاً عن إيجاد التفاوت الاقتصادي بين الناس، فإن الاستبداد يشجع الاكتناز ليدعم الخلاف بين الناس ويجعلهم يتصارعون لينشغلوا عنه بإحراز المال وصرفه في إفساد أخلاق الناس بالفجور ومظاهر التعاظم، تعويضاً عن السفالة الحقيقية، ويخلص المؤلف إلى نتيجة أن الذل يرسخ في الأمم التي يكثر أغنياؤها المتبطلون، أما عن علاقة الاستبداد بالأخلاق فيري (الكواكبي) أن للأخلاق

دوراً مهماً في حياة الناس وتأثيراً كبيراً في الميادين الأخرى، فبالأخلاق تتحدد علاقة الإنسان بنفسه، وبعائلته، وبقومه، وبالإنسانية، ولا يغيب عن الأذهان ما يلمح في ثنايا أفكار (الكواكبي) من ربط الأخلاق بالعمل، فبحسب ما تكون أخلاق الفرد تكون أفعاله، ومن هنا يرى ارتباط الاستبداد بتدني الأخلاق، ما يمكن معه استلاب الآخرين واستغلالهم، والاستبداد لا يكتفي بأعمال الخير، بل إنه يتصرف في أكثر الأميال الطبيعية والأخلاق الحسنة فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها، ليقيم بدلاً منها الأخلاق السيئة، ويكفي أن تفسد أخلاق الناس حتى ترى السياسة الاستبدادية تسود، فيشيع الكذب والنفاق، ويعين الاستبداد الأشرار إجراء في نفوسهم آمنين من كل مؤاخذة، مما يجعل فقدان الثقة بالنفس وبالآخرين ينتشر في الأمة فتتشتت الأسرة وتكبر صراعاتها الداخلية، ويمسي الفرد معرضاً لسلب ماله وعرضه وكرامته، ولا يلقى في حياته سوى بعض الملذات البهيمية وهو يأمل بموت قريب.

إن ما ذكره (الكواكبي) منذ قرن كأننا نعيش الكثير منه في الحاضر بعد قرن، وأعتقد أن غيرنا سوف يعيشه أيضاً في القرون المقبلة، فالاستبداد بكل صوره لن يفارق الأمم في مختلف جنسياتهم، لأنها طبيعة الإنسان، كما أن صور العلم والأخلاق والفضيلة ستوجد في كل الأمم، لأنها طبيعة الإنسان، غير أن الوازع الديني عندما نتمسك به يذهب أكثر الخلل، وما أشد أن نكون فيه لا عنه.

ثالثاً: التنمية والبطالة:

يتحدث الناس عن البطالة في بعض الأمم ابتداءً من الأمم المتقدمة حتى الأمم المتخلفة أو ما يسمى بدول العالم الثالث، رغم أن بعضاً منها بدأ يجتهد للوصول إلى الإنتاج، وفي سباق مع الابتكار والاختراع، والحقيقة أن أي أمة بدون أفكار مواطنيها لن تتقدم، وأن أي أمة لا تساعد أبناءها على القراءة والتفكير لن يكون لها أي قائمة، والمملكة العربية السعودية بقيادتها الحكيمة تواصل تقدمها الفكري والتعليمي والاقتصادي والزراعي والصناعي بما تخطط له للمستقبل، ولا نقول هذا من باب المجاملات أو التجمل، وإنما لأن الواقع يتصدر في الأفعال لا الأقوال، ولأن ما تبذله الدولة يفوق التصور من تدعيم، مادي وتأسيس معنوي لكل المشاريع، ولجميع مظاهر التنمية، إلا أن هناك بعض الخلل الواضح من بعض فئات المجتمع وفي الأكثر تعبيراً نحو هذا الشأن، يقول الدكتور (عبدالواحد الحميد)(1).

الاقتصاد السعودي مهدد بالبطالة، والبطالة لا تعني وجود أناس بدون عمل، ولا تعني أيضاً وجود أناس يعملون بإنتاجية منخفضة، فهم لا يضيفون شيئاً إلى الإنتاج الكلي بالرغم من أنهم موظفون يتسلمون أجوراً ومرتبات مع نهاية كل شهر كغيرهم من الموظفين، هذه هي البطالة المقنّعة، وقد رزئت بها المجتمعات التي سيطرت عليها القطاعات الحكومية، فالحكومات تنظر إلى العمل ليس من جانبه الاقتصادي فقط، وإنما من جانبه الاجتماعي؛ لأنها ملزمة بتوفير فرص العمل لمواطنيها حتى لو اعتبرت الأمر

مجرد مساعدة اجتماعية كالضمان الاجتماعي غير المرتبط بأي إنتاجية، وفي غياب برامج اجتماعية كافية لمساعدة المواطن المتعطل عن العمل بما يحفظ كرامته، فإن العمل الحكومي يتحول إلى ما يشبه المعونة الاجتماعية الضرورية، غير أن العواقب طويلة المدى من الناحية الاقتصادية وخيمة جداً؛ لأن المواطن يتعود على نمطية العمل غير المنتج، فإذا ما خرج إلى القطاع الخاص لسبب أو لآخر فشل في التأقلم مع متطلبات ذلك القطاع الذي يقوم على الربحية ولا يستطيع أن يستمر بدونها، وفي المملكة يوجد قطاع خاص واسع يمكنه استيعاب الملايين، حتى لو تخلصت البلاد غداً من كل العمالة الوافدة التي تعمل في القطاع السعودي الخاص وفتحت أبوابه للسعوديين دون قيد أو شرط فإن هذا القطاع من الضخامة بحيث لن يستطيع السعوديون سد النقص العددي الذي سيطرأ بغض النظر عن إنتاجيتهم!!

هذا يعني أن البطالة التي لدينا هي نوع غريب حقاً، فنحن نتحدث عن البطالة في الوقت الذي تشير كل الحقائق إلى أن فرص العمل التي لدينا هي بلا حدود، إنها أقرب ما تكون إلى ما يعرف بالبطالة الهيكلية (أي عدم توافق فرص العمل المتاحة مع نوعية المهارات التي يملكها الناس الباحثون عن العمل) فإذا كنا محتاجين إلى من يدير الآلات المعقدة ولا يوجد لدينا من المتعطلين سوى أولئك الذين يحملون شهادات جامعية في علم النفس والاجتماع والسياسة والتاريخ وغيرها من العلوم النظرية فإن وجود وظائف فنية شاغرة ومشغولة بالعمالة الأجنبية لن يغير من إحصائيات البطالة،

والخلاصة هي أننا بحاجة (للمرة الألف) إلى إعادة النظر في التخصصات الموجودة في بعض جامعاتنا، فقد أصبحت عبئاً على التنمية، كما أننا بحاجة إلى إعادة تدريب الشباب الذين لم تعد تخصصاتهم مطلوبة، فليس من الحكمة أن نضيع المزيد من الوقت والتباكي إلى الأبد على بؤس المتعطلين، وقد جاءت تصريحات خادم الحرمين الشريفين في الجلسة الأخيرة لمجلس الوزراء لتضع النقاط على الحروف حول أهمية تدريب الشباب السعودي وإعادة التأهيل، بالإضافة إلى إعادة النظر بالتخصصات الجامعية غير المطلوبة، هي الخطوات الأولى للقضاء على البطالة وتخفيف أعداد العمالة الوافدة التي تمثل ضغطاً اقتصادياً واجتماعياً على البلاد.

أرجو أن يفهم من خلال هذا بأن هذه مجرد قراءات سبق أن نشرت في الصحف والمجلات .. إلخ، ولأهميتها أردت أن أضع بعض السطور كتحليل جزئي، غير إحصائي لبيان الفائدة، والسلبيات من الإيجابيات، وأكرر مرة أخرى بأن بلادنا بخير، ونحن في نعمة محسودين عليها، وأن حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز تعمل من أجل مصلحة المواطن والمجتمع.

الهوامش والمراجع (الفصل الرابع)

١- محمد أحمد القنيبط. أكاديميات. مجلة اليمامة. الرياض. (١٥٢٤) في ٢٦/١٠/١٩٩٨م، ٢٦/٦/١٤٢٩هـ، ص ٩٢، ٩٣.

٢- Martin Belmar (1995) Emotional Reactions to People Leaders JournalOf Personality and Social Psychology. N.Y. 76. P 426.

٣- محمد جمال طحان. الماهيات والبدائل. كما قدمها الكواكبي في كتابه (الطبائع) لندن. الشرق الأوسط (٧٢٤٩) ٣/١٠/١٩٩٨م، ١٣/٦/١٤١٩هـ، ص ٢٨.

٤- عبدالواحد الحميد. على وجه التحديد. الرياض ٧/١٠/١٩٩٨م ١٧/٦/١٤١٩هـ ص ١٣.

الفصل الخامس

تنمية المرأة.. أم تفكك الأسرة..!

أولاً: أمية المرأة.. هل هي عقبة...؟

ثانياً: إهمال الأسرة.

ثالثاً: القهر والاضطهاد (أين الإنسانية)..؟.

تنمية المرأة أم تفكك الأسرة!!

خلق الله سبحانه وتعالى (المرأة) لتجاور (الرجل) وترافقه وتعمل معه، وهذه هي سنة الإسلام، حيث جعل للمرأة حقوقاً لها وعليها كما الرجل، قال تعالى: ﴿**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**﴾[3] وهناك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الكثيرة التي تدلنا على تكريم الإسلام للمرأة، إلا أن ما جاء به الإسلام شيء، وما يتم تطبيق بعضه شيء آخر، ولا أريد أن أخوض في هذه الحقائق الواضحة، غير أنني أود أن أقول بأننا في عصر الفضاء، والقنوات الفضائية وشبكات المعلومات، ومع هذا لا تزال المرأة تعاني من الاضطهاد الفكري والجسدي في مختلف الأمم والشعوب، ذلك أن الإسلام وضع للمرأة حدوداً صانتها من كل جوانب التجني عليها، وقد عملت بعض الحكومات العربية والإسلامية في تطبيق الشرع ومنه الحدود، وكمثال (المملكة العربية السعودية) إلا أن حماية الدولة شيء وتنفيذها للدستور القرآني العظيم وما يأتي من بعض الأسر شيء من السلوكيات الخاطئة تجاه المرأة، صحيح أنه ثبت بأن (الاختلاط) بين المرأة والرجل أدى إلى انتشار الفساد في بعض البلدان المتقدمة والمتأخرة وبمزيد من الإحقاق، كما قرأنا عنه بأن المرأة في أوروبا وأمريكا وغيرها من الدول بدأت تنادي بالعودة إلى (البيت) نتيجة المضايقات وأعمال الاغتصاب، والتحرش الجنسي، وغيرها

من الأمور الفاضحة التي تتعرض لها، إلا أن للمرأة دوراً مهماً في بناء وتحقيق أسس التنمية وتنشئة الأطفال، فالسعادة في البيت تجعل لوجود المرأة الصالحة والرجل الصالح ورعاية الأطفال والاهتمام بهم منذ ولادتهم يقع تحت كفالة المرأة أولاً، وتعليم الأطفال النظام والأخلاق واحترام الآخرين يبدأ بالتربية الفاضلة من المرأة.

وعلى ما يبدو أن الوضع أصبح على غير ما هو متوقع، وغدت للأطفال مظاهر من إهمال الأسرة، لا نقول بأنها مسؤولية المرأة وحدها، وإنما تكاد تكون مشتركة بين (الأب والأم) وطغت أعمال السوء تظهر في بعض الأسر بأطفالها نتيجة عدم المتابعة من قبل أعمدة الأسرة، وفقدان السيطرة التي كان من أسبابها إنشغال الوالدين بالماديات والسهرات مما جرّ على المجتمع كثيراً من السوء والتدني.

أولاً: أمية المرأة.. هل هي عقبة؟

بعض الإحصائيات التي جاءت مؤكدة عن منظمة (اليونسكو) تعطي (الإناث) أكبر نسبة من الأمية في العالم العربي وفي دول العالم الثالث على وجه التحديد، وهذه الأمية كما تشير البيانات هي من أسباب فشل الأسرة، وهي من أسباب تدني القيم، وهي من أسباب تعطل التنمية!! إلا أننا لو نظرنا في دول العالم الثالث (كما يقولون) نجدها حالياً في وضع الإناث بالمجتمع أحسن حالاً من السابق ذلك أن بعض الحكومات وضعت ضمن

ميزانيات التعليم نسبة منها لمكافحة الأمية للكبار والصغار وقامت بفتح وإنشاء المدارس وتزويدها بالمعلمات، حتى أن بعض الدول وخاصة دول الخليج العربي أصبحت المرأة هي التي تلاحق التعليم فتتعلم، وهذه من البوادر الاستراتيجية التي تحققت من تشجيع المسؤولين في بعض الدول لالتحاق المرأة، بالتعليم والحقيقة رغم هذا لا تزال الأمية مسيطرة على الدول العربية، ولا تزال بعض المجتمعات منها تعاني من عدم التركيز على تعليم المرأة، وفتح المزيد من مجالات التعليم لصالحها، والأمية في ذاتها عقبة، تقول السيدة (سوزان مبارك) في المؤتمر الدولي لمحو أمية المرأة وتحديات القرن الحادي والعشرين والذي عُقد في (القاهرة) إن مصر تمثل نموذجاً حياً ونمطاً فريداً في محاولة الخروج من دائرة الماضي بكل معاناته، والتطلع إلى المستقبل بكل طموحاته، وليس يخفى عليكم أننا واجهنا كماً هائلاً من المشكلات في العقود الأخيرة من هذا القرن، ونحن نواجه شبكة معقدة من التحديات المزمنة التي تتداخل فيها العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية نتيجة تراكم المشكلات وتعاقب الأزمات، ولكننا ندرك دائماً أن التعليم هو المدخل الحقيقي لحياة العصر، وأن المعرفة هي سبيلنا في القرن الحادي والعشرين، وواجهتنا في ذلك مشكلة المشاكل والعقبة التاريخية في بلادنا، وأعني بها مسألة الأمية التي بلغت معدلات عالية مع نسبة مرتفعة بين النساء بوجه خاص، وهو أمر فرض علينا أسلوب المواجهة ودفعنا إلى ضرورة اتخاذ السبل كافة واللجوء إلى كافة الوسائل لمواجهته[٤].

ولعل ما جاء في كلمة السيدة (سوزان مبارك) يمثل حقيقة واضحة

للجميع، إلا أننا نشير إلى ضرورة الاهتمام بمحاربة الأمية، ووضع البرامج التي تدعمها الميزانيات الخاصة، وإلا قريباً جداً ستواجهنا أمية من نوع آخر؟ نستطيع اللحاق بها، وحتى أمية عدم المعرفة بالجديد من استخدامات التقنية في كل المجالات والتخصصات المتداولة، ولا أريد الدخول في الأرقام والنسب المئوية الصادرة من منظمة (اليونسكو) لأنني لا أؤمن بالمبالغات التي أقرأها أحياناً بين بعض السطور التي أتابعها دوماً.

ثانياً: إهمال الأسرة:

أظهرت دراسة حديثة قامت بها جمعية أطباء الأطفال اللبنانيين أن (٥٥,٢٪) من مجمل الحوادث الطفولية الأكثر شيوعاً في لبنان تعود أسبابها إلى سوء مراقبة الأهل لأطفالهم، بينما تصل نسبة الحوادث القدرية إلى (٢٤,٤٪)، وتضمنت الدراسة أقساماً عدة وردت في إحداها مكان حصولها فتبين أنها تقع ضمن العائلة بنسبة (٥٤,٣٪) تتطلب (٣٠,٧٪) منها إدخالاً سريعاً إلى المستشفى، يموت منها أطفال بنسبة (٧,٤٪)، وأدرجت الدراسة في المرحلة الأولى الحوادث التي تأتي عن حالات التسمم وتبين أن (٥٤,٨٪) من المواد التي تتسبب في تسمم الصغار يضعها اللبنانيون تحت (المجلى) حيث تغسل الصحون، و(٣٠,٧٪) يضعونها في أماكن مرتفعة مقابل (٨,١٪) يقفلون عليها، أما المواد القابلة للاحتراق فيحتفظ بها اللبنانيون بنسبة (٧٠,٧٪) في البيوت و(١٤,٢٪) يضعونها في الأماكن الخاصة بغسيل الصحون و(٢٤,٣٪) في عبوات خاصة، وعن

مدى الإهمال الذي يمارسه بعض الأهالي في الاحتفاظ بالدواء تبين أن مدى الإهمال الذي يمارسه بعض الأهالي في الاحتفاظ بالدواء تبين أن (١١,١٪) يضعون الأدوية في درج الخزانة قرب السرير و(٦١,٦٪) يبعدونها عن متناول الأطفال في أماكن مرتفعة و(١٦,٤٪) فقط يقفلون عليها، وفيما يختص بحالات الاختناق أظهرت الدراسة التي أُجريت على (١٥٦٤٠) طفلاً وطفلة أن الطعام يأتي في طليعة أسباب حوادث الاختناق، وشملت الدراسة الحوادث التي تتسبب بحالات الاحتراق لدى الأطفال وتبين أن (١٦,٨٪) تحصل بسبب ترك الطفل وحيداً في الحمام لانشغال الأهل بالرد على مكالمة هاتفية مثلاً، و(٢٢,٦) من استعمال المياه الساخنة بالخطأ عوضاً عن الباردة، أما حوادث السقوط من المرتفعات فسببها الأول حسب ما ورد في الدراسة يعود بنسبة (٥٨,٢٪) إلى السقوط من النوافذ، وبنسبة (٥٣,٧٪) إلى السلم، و(٤٥,٨) تسلق الطفل لمكان مرتفع[٥].

والواقع أن هناك عشرات الدراسات عن إهمال الأسرة وإغفال الأسرة لدورها في المجتمع إلا أنني قرأت هذه الدراسة كمثال من أمثلة كثيرة، ولعل خطورة الموقف هنا أن القيم منذ الطفولة سوف تسقط، وعنها تقل صلاحية بعض المجتمعات إذا ما استمرت على هذه النوعية من الحوادث ومن سوء التربية، ذلك أن متابعة ومراقبة وتوجيه الأطفال من الحاجات الضرورية لبناء مجتمع آمن وسليم.

ثالثاً: قهر واضطهاد (أين الإنسانية)؟!

تقول الدكتورة (هناء المطلق):

من بين الأطفال الكثيرين طفل مختلف يحيرك اختلافه ويجبرك سلوكه على أن تتصرف معه بحماقة أحياناً، فهو مثل (حنان) عنيد كثير الأسئلة لا ترضيه الإجابات المعدة مسبقاً والتي أرضت إخوانه من قبل، وموازين العدل لديه واضحة ونقية ولا يقبل إلا الصدق والإخلاص في تطبيقها، لذا فهو يحتج عالياً على أي تجاوز بطريقة تفاجئ أهله الذين لم يتعودوا على مناقشة مسلماتهم قبل أن يرزقهم الله بهذا الطفل الصعب كما تقول أم (حنان)، فسلوك (حنان) خارج مقدرة أهلها على فهمه وفق مرجعيتهم التي عادة ما تكون سلوك أخوتها الآخرين، لذا فهي تكرهها وكثيراً ما تقسو عليها، يرى علم النفس أن بعض الأطفال يحمل منذ صغره وعياً مميزاً وحساسية خاصة، تأتيه من عوالم عجيبة وأبعاد يستعصي على علم النفس التقليدي فهمها، لذا يطلق عليها علم النفس الحديث مفهوم (النفس) الروحي، لكي لا يخلط بالمفاهيم النفسية فقط، فهذا الطفل ولد بشفافية روحية عالية وإبداعه وحساسية نظرته إلى الحياة هي التي تجعله لا يقبل كثيراً من المواقف التي قد يقبلها إخوته، الأمر الذي يدخله في مشاكل نفسية كثيرة نتيجة مصادماته مع البيئة، فهو كما قلت مثالي يكره الكذب والنفاق، فكثيراً ما تصدم (حنان) حين تجد أن أهلها ومدرساتها لا يطبقون تعاليم الدين والأخلاق التي يدعون لها، والمشكلة أنها نظراً لتكرار هذه المواقف صارت تنسحب

عنهم ولا تشارك الآخرين فاعلياتهم، بل تنظر إليهم بنقد واستخفاف، فميولها التحليلية وشفافيتها في العلاقة بالأشياء وبالناس تجعلها غير قادرة على مشاركة الآخرين (كذبهم ونفاقهم) كما تسميه، وهذا ما يجعلها غير مقبولة من قبل أهلها رغم ذكائها وجمالها، فعادة لا يرحب الأهل بالطفل الصعب كما تطلق (أم حنان) على ابنتها، وكثيراً ما تقارنها بأخواتها وتقسو على الطفلة في محاولة لكبت أسئلتها وتحويل مسارات شخصيتها، الأمر الذي جعل الطفلة تكره نفسها ووالديها، وتشعر بالاضطهاد الدائم وبأن الحياة لم تنصفها.

علم النفس ينظر لهذا الاختلاف على أنه قدر ليس للطفل يد فيه، وقد خلقنا الله مختلفين ولكل رزقه، فلكل روح مساحتها ولكل روح فضاءاتها التي لا تستطيع أن تسبح إلا بها وإلا فمصيرها المرض النفسي وهذا غالباً ما يحدث لأمثال (حنان) والتي عادة ما يرى الناس وعورة تضاريس روحها غافلين عما تحمله هذه التضاريس من قدرات عجيبة، فهذا النوع من الأطفال موهوبون مبتكرون فعلاً وأذكياء وقادرون على التفوق حين يجدون من يفهمهم، ولكنهم مثل البضاعة الثمينة القابلة للكسر، أي حين لا تسمح لهم الحياة بتحقيق ما في أرواحهم من إبداع، وهذا للأسف كثيراً ما يحدث، ينضب إبداعهم مع الزمن ويتركهم معرضين للكسر فقط حساسين قلقين مكسورين، وهذا على ما يبدو لي قد حدث لـ (حنان) فهي منذ نعومة أظفارها تكافح ضد التيار، وبدلاً من أن تمضي يومها في محاولة تحقيق

طاقتها الكامنة، تقضي (حنان) كل يومها في محاولة إبقاء رأسها فوق الموج حتى لا يخنقها الاختلاف، فمنذ الخامسة من عمرها صارت تخاف النوم لوحدها وتفزع من الظلام الذي تراه مليئاً بالرؤوس المقطوعة والأيدي التي تلاحق رقبتها بالخنق، كبرت (حنان) وكبرت معها ومخاوفها حتى جاءتني بها أمها إلى العيادة وهي في الثانية عشرة من عمرها، طفلة تعاني من الأفعال القهرية وتكره المدرسة مع أنها متفوقة وليس لديها صديقات، تقص شعرها قصيراً جداً، وتحني كتفيها لكي تخفي معالم أنوثتها، وتلبس ملابس واسعة، أما لماذا لا أريد أن أكبر؟ وما هو أسوأ ما في حياة الكبار في نظرك؟ ما هو؟ يعني مثلاً، لا أريد أن أصير امرأة ماكرة، النساء ماكرات، والرجال مستبدون، كل النساء ماكرات، كلهن؟.

نعم كلهن، خالاتي وعماتي وأمي كلهن منافقات كاذبات، وأبي متسلط لا يهمه إلا نفسه، لا أريد أن أكبر ولا أريد أن أتزوج رجلاً مثل أبي، ولا أن أصير ماكرة ضعيفة مكسورة الجناح مثل أمي، هذا هو حال (حنان)، فمن المسؤول عن غرس هذه الفكرة عن النساء والرجال في رأسها؟ ولا يزال لدي الكثير عن حالة الطفلة، فحالتها فعلاً خطيرة... إلخ.؟[٦].

وكما أشارت وحللت الدكتورة (هناء) هنا عن هذا الواقع المأساوي سوف تتركز الصورة لدى الطفل في الذاكرة حتى الكبر، ويرى ما يراه من كذب ودجل ونفاق، ينبع من أسرته، ذلك أن الطفل يدرك ما حوليه إذا كان في نفس صورة (حنان) التي تتمتع بنسبة عالية من الذكاء وبقدرة واضحة

على فهم الموقف، وتجعل من هذا الموقف إما سقوطاً إجبارياً لمفهوم (القيم) من ناحية مخالفة، أو أن يكون لتصرفات هذا الطفل انعكاسات تجعل من حياته قريباً من اللاقبول للمجتمع الذي يعيشه.

إن التحليل النفسي لما ورد من الكاتبة عن هذا الحدث سوف يزخر بتناقضات عجيبة في مجتمع هو في حد ذاته بدأ يتسع لنوعيات من الحياة المتناقضة، ومن أجل ذلك، وقبل أن تتسع الهوّة بين التربية السليمة، وغيرها في بيت واحد يجب أن نضع بعض الأساس الإعلامي، سواءً كان مرئياً أو مقروءاً أو مسموعاً، لإفادة حتى الأميين من الأجيال القديمة والجديدة.

ولنقرأ هذه القصة القصيرة لنتعرف على ما جاء فيها:

لعامين كاملين تولى قطيع من الكلاب تربية الطفل (فانيا) وإطعامه في منطقة (ريوتوفا) إحدى ضواحي (موسكو) حتى صار (فانيا) يتصرف مثل الذين قاموا بتربيته، يمشي زاحفاً على يديه ويبحث عن الطعام بين المهملات ومخلفات مطاعم المدينة، قصة غريبة روتها صحيفة (ترو) الروسية أدت إلى سرعة تحرك محافظ (ريوتوفا) للتحري بنفسه، وكان ذهول المحافظ كبيراً عندما وجد نفسه أمام طفل بائس غطت الأوساخ شعر رأسه وحولت وجهه إلى اللون الرمادي، ورغم صعوبة الموقف إنسانياً، إلا أن عملية انتشاله من بين قطيع الكلاب المتوحشة كان أصعب، وعبثاً حاول رجال الإنقاذ الاقتراب من الطفل الذي اعتبرته الكلاب واحداً منها، فخطوة واحدة تجاهه كانت تقابل بزئير مفترس وعدوانية شديدة من الكلاب التي قررت

عدم التخلي عن الطفل مهما كان الثمن، ورغم قيام الشرطة ورجال العناية الاجتماعية بثلاث محاولات لسحب الطفل إلى خارج حدود القطيع إلا أن الكلاب في كل مرة كانت تلتف حوله، ثم تسحبه لتهرب به بعيداً عن الملاحقين، ومع هذه المقاومة الشرسة قرر رجال الشرطة استدراج الكلاب للفخ، حيث وضعوا كميات من الطعام في ممر المطعم، وما أن دخلت الكلاب حتى تم إغلاق بابه الخلفي بإحاكم، ولم تنتبه الكلاب إلى الخديعة إلا بعد أن أخذ الطفل الذي فقد ذويه بالصراخ، وعبثاً حاولت الكلاب تقديم المساعدة للطفل الذي أخذ ينبح بكل ما لديه من قوة، وسط رجال الأمن، وظل الطفل (فانيا) يعاني من السأم طوال شهرين كاملين إلى أن اعتاد على الأيدي الرحيمة التي أحاطت به في دار الأطفال، حيث خضع للفحوصات الطبية، ولكن الغريب في الأمر أنه ظل يردد (أن الكلاب أفضل من الناس) فهي كانت تحبني وتدافع عني، وقد يكون لدى الطفل (فانيا) من الدوافع ما يكفي لتكوين هذا الرأي، فوالدته تخلت عنه لعشيقها الذي سرعان ما جعل الشقة التي كان يسكن فيها (فانيا) إلى مرتع للخمر والممارسات الإباحية، ولم يكن أمام (فانيا) أي خيار من أجل الانضمام للكلاب المشردة التي كانت تجوب المنطقة[٧].

إن القصة التي عرضناها هنا عن هذا الطفل تمثل عشرات القصص السابقة التي كنا ننظر إليها بغرابة، وهذا ما حدث قديماً، فكيف بحكاية تعيدنا قروناً نحو تجديد العهد بقصة أو رواية أخرى، نجد فيها عدم

الاهتمام، والاضطهاد لطفل لازال في طور المهد وهو في أشد الحاجة إلى الرعاية الآدمية، وحيث إن السؤال هنا يأتي بخلاف ما هو معهود عن هذا الوضع، وخاصة في الوقت الحاضر وهو، لماذا لم تأكل الكلاب الطفل (فانيا)؟!! خاصة أن الكلاب كما تعودنا في فهمنا ومعاصرتنا لها لن ترحم طفلاً صغيراً (وآدمي) لأنها تمثل جزءاً من الحيوانات الشرسة، والطفل جسم غريب عنها، إن مصدر الغرابة في أن تكون هذه الظاهرة لدى (كلاب التربية) أي الكلاب التي لقيت تدريباً وتقريباً من الأسرة فجعلتها مستأنسة، وهذه من الظواهر الموجودة في بعض الدول الأوروبية، وسواء كان هذا أم كانت القصة مبالغ فيها، إلا أن هذه الأمثال تكاد تكون موجودة، غير أن الذي يهمنا هو ضياع الأبوة، وفقدان النواحي الإنسانية في زمن فهمت الكلاب معنى (الآدمية)!!

وما أجمل أن نتلمس ما جاء به (عبدالله با جبير) حول رغبات الإنسان في قوله:

أعتقدت دائماً أن الحرمان الإرادي هو الطريق الصحيح للسعادة، والحرمان الإرادي معناه أن تحرم نفسك من أشياء تحبها بإرادتك، حتى توقف نهم النفس والجسد إلى المزيد، فالإنسان يعيش ويموت وهو يظن أو يعتقد أن عليه أن يضيف إلى عالمه المزيد والمزيد من الأشياء، والمخترعات الحديثة تتدفق باستمرار وتضيق الحصار على الإنسان حتى يضع يده في جيبه ويشتري.. ويشتري، فإذا كان عنده سيارة واحدة اشترى ثانية، وإذا كانت سيارته

صغيرة اشترى سيارة أكبر، وإذا كان عنده تلفزيون واحد اشترى ثانياً، وإذا كان عنده ساعة اشترى خمس ساعات، وإذا كانت معدته تملؤها قطعة لحم صغيرة أكل كيلو لحم أو أكثر.. وإذا .. وإذا.. وإذا، وهكذا تتحكم رغبات الإنسان في حياته، ونزواته تتحكم في عقله، ومع ذلك فإنه لا يحقق السعادة، ومن المهم جداً أن يبدأ التدريب إلى الحرمان الإرادي مبكراً، أي في سن الطفولة والشباب، وعلى الأب والأم معاً أن يقولا للطفل (لا) لأنه إذا بدأ بإشباع رغباته كلها لم يتوقف عن طلب المزيد، أكثر من هذا أن الوصول إلى الملذات الحسية يدمر النفس والجسد معاً، ولا يترك مكاناً للنشاطات الروحية والمتع الثقافية الرفيعة، إذا سيطرت رغبات الإنسان على حياته، فقد حياته، لأنه لم يعد في إمكانه توجيه هذه الحياة وإدارتها إدارة صحيحة، ليس مطلوباً بالطبع أن يحرم الإنسان نفسه إلى درجة التعذيب، ولا أن يقسو على نفسه إلى درجة الإفراط، ولكن ثبت علمياً وإحصائياً أن العباقرة جميعاً بدأوا حياتهم في جو من الحرمان المفروض، وهكذا كان يملأون نفوسهم بالمعرفة، وليس بالكباب، وبالثقافة، وليس بالدجاج فتعلموا وعلموا الحرمان، أنها مدرسة الأرواح السامية والنفوس الجميلة[٨].

إن (باجبير) وضع بعض القيم التي كان ينبغي على الإنسان أن يفكر فيها، وكان إنسان الأمس ضعيفاً أمام متطلبات الحياة العصرية، ذلك لأن الحياة ليست في التلهي بعمليات الشراء والشراء للجديد من الملذات الحسية وبصورها المتعددة، بل التغيير في أصناف هذه الملذات حتى لو كانت في

غير الحاجة، إن هذا الانطباع يؤكد أن للأسرة وخاصة المرأة أن تحاسب ذاتها إيماناً في البقاء على المذات التي لا تؤدي إلى التغيير في القيم، فهناك الآلاف من البشر ممن يستحقون العطف والصدقات، والنظرة الحانية، بعيداً عن الكبرياء والشفقة.

إن التأكيد على تحقيق الرغبات الذاتية حتى لو لم نحتاج إليها باتت وللأسف منتشرة، فما أحوج الانتماء إلى الملذات الفكرية ذات الفائدة، لأنها هي التي ستبقى مع هذا الفرد كإنسان ما دام هو حيٌ يرزق.

وأرى أن الدكتور هاشم عبده هاشم المدير العام ورئيس تحرير جريدة (عكاظ) السعودية يضع هنا فاصلاً بين السعادة البالغة وما يدور في الأسر من خلل خطير نتيجة التصرفات الغربية، وهو يقول:

* أشعر بسعادة بالغة.. وسرور لا حدود له.. ولا نهاية له، وأنا أتملى.. حياة أسرة هادئة.. وسعيدة، تقوم الأم بواجبها الكامل.. تجاه زوجها.. وأطفالها.. ومنزلها، ويقوم الزوج بكامل مسؤولياته تجاه الجميع، ويؤدي الأبناء واجباتهم على أكمل وجه.. تجاه والديهم.. ونحو بعضهم البعض.. ومن أجل مستقبلهم أيضاً.

* لكن بعض التصرفات الغريبة قد تطرأ حتى على سلوك هذه الأسرة (الوادعة) المستقرة، حيث يدب الإهمال.. وتتراخى العلاقات الإنسانية.. ويرتفع صوت من هنا.. وآخر من هناك.. ويبرز سلوك غير مألوف.. وتسأل عن السبب فيما حدث وتجد بعد بحيث يسير أن

عناصر خارجية قد اقتحمت عالم الأسرة.. فوقعت الأم تحت تأثير ما ترى وتسمع.. وحاكى الأبناء قرناءهم في بعض سلوكهم.. وانصرف الزوج عن المنزل لغيره.

فإن العلاقات الإنسانية والتركيبة الأسرية يتعرضان لاهتزاز شديد.. وقد يحدث أخطر من ذلك فينشأ في الأسرة (اللص) ويبرز (الكذاب) ويظهر (المجرم) ويطفو إلى السطح (المتخلف) دراسياً وسلوكياً، وهكذا.. وهكذا.. ويحدث هذا عندما تتسرب إلى الأسرة بعض الأفكار.. أو يقتحم حياتها.. أو حياة بعض أفرادها شخص طارئ.. أو يجرفها تيار من التيارات.. أو تجتذبها الحاجة.. والفاقة.. والعوز.. نتيجة أنانية أحد الأطراف.. وضعف إحساسه بالمسؤولية.. تجاه هذا البناء الأسري المتماسك.. وينغمس في ملذاته.. أو يبالغ في إرضاء رغباته.. وتفاهاته.

* وعندما لا يوجد من يحذر من هذا السلوك فيعدله.. فإن (المأساة) تقع فوق رأس الجميع.. فهل ننتبه لحياتنا.. لمنازلنا.. لأسرنا[٩].

وكأني من خلال هذه الكلمات أختم هذا الفصل الذي يعبر عن جانب خطير في المجتمع نتيجة الانحراف نحو سلوكيات خاطئة تتبعها الأنانية وعدم الشعور بالمسؤولية، وإرضاءً للذاتية المدمرة في بعض الأحيان.

إن البناء الأسري والسعادة والمرأة والرجل والطفل سلسلة مترابطة عرفناها ولكن للأسف بدأت تطغى عليها حلقات مفككة أدت إلى إحداث تغيرات قاتلة أبعدت الود والعلم حتى التمسك بالوازع الديني.

الهوامس والمراجع (الفصل الخامس):

١- سورة الأنعام - الآية ٩٨.

٢- سورة الأعراف - الآية ١٩٠.

٣- سورة النجم - الآية ٤٥.

٤- سوزان مبارك. التعلم هو المدخل الحقيقي لحياة العصر والمعرفة، الأهرام، القاهرة، ١٦/٩/١٩٩٤م صفحة ٩.

٥- الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٤٤)، ٢٨/١٠/١٩٩٨م - (٢١) ص٢.

٦- هناء المطلق. أمان الخائفين، جريدة الجزيرة، الرياض، (٩٥٠٩)، ١١/١٠/١٩٩٨م - ٢١/٦/١٤١٩هـ ص٣٢.

٧- عكاظ، جدة، (١١٧٣٢) ٥/١٠/١٩٩٨م - ١٥/٦/١٤١٩هـ السنة (٤٠) ص ٣٢.

٨- عبدالله باجبير. مع قهوة الصباح، الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٥١) ١٥/١٠/١٩٩٨م - ١٥/٦/١٤١٩هـ الصفحة الأخيرة.

٩- هاشم عبده هاشم. إشراقة، عكاظ، جدة، ٦/١٠/١٩٩٨م، ١٦/٦/١٤١٩هـ.

الفصل السادس

أين الجهاد.. من الإرهاب والسطـو..؟

أولاً: لمواجهة الإرهاب!

ثانياً: قضايا وتراتيل.

ثالثاً: من أين لك هذا؟.

رابعاً: قراصنة الفكر.

أين الجهاد.. من الإرهاب والسطو..؟

قد تختلف بعض المعاني عن بعضها، وقد نختلف كأفراد في التعبير عن بعض الأمور، إلا أنه ينبغي أن نوضح حقيقة المعنى (للجهاد) عن (الإرهاب)، فالبعض يستعمل كلمة الجهاد مكان الإرهاب، والبعض يدعي بأن الإرهاب ما هو إلا صورة للجهاد، وشتان بين المعنى واللفظ هنا، وشتان بين الجهاد في واقعه، والإرهاب، وإن يكن فالإرهاب هو الاعتداء والتدمير والقتل في كل صوره التي حرمها الخالق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**﴾[4]، وما هذه الآيات إلا جزء يوضح أحكام الشرع في القتل العمد والقتل بغير مشروعية، وأن لكل من فعل هذا جزاء التعامل بالمثل.

لقد تعددت أصعدة القتل في العالم، وبات العالم العربي والإسلامي يشهد جزءاً من ذلك المصير الأسود الذي انتشر بأعمال تكررت في:

- صورة القتل المتنوعة.
- الاعتداءات السافرة.
- الاختلاس والسطو.

- الخطف.

- الانتحار... إلخ.

ومن الخطأ أن يرتكب البعض الخطأ، ويعالج قضاياه بالخطأ، وكما شهدنا للأعمال السيئة في الغزو والسلب منذ الجاهلية وعصر الإسلام، والعصور الأخرى، نجد أن التيار لهذا الوضع ازداد عن السابق، فدولة تعتدي على دولة أخرى، ومجرد مجموعات تغزو أماكن آمنة بأفرادها، ونقول عنها جهاد في سبيل الله، ودولة تضرب أخرى بالقنابل والكيمياويات ونعلل بأن هذا هو أقصى آيات الجهاد، والواقع أن الجهاد في سبيل الله بريء من هذه الخطايا والجرائم الظاهرة التي لا يمكن أن ندخلها في قاموس الجهاد، إنما أقرب وضع لتلك الصور الآثمة هو أنها صور من الإرهاب الذي ينبغي أن يحاسب عليه مرتكبوه.

أولاً: لمواجهة الإرهاب:

افتتحت منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) في القاهرة أعمال جمعيتها العامة السابعة والستين التي بحثت بشكل خاص في الآليات الجديدة لمواجهة الإرهاب والجريمة المنظمة، وسط نداءات إلى تعاون أوسع، وشدد وزير الداخلية المصري (حبيب العادلي) في كلمته الافتتاحية على ضرورة تحمل المجتمع الدولي مسؤولياته في مكافحة الإرهاب وقال: إن منظمة الإنتربول تمثل واحدة من أهم آليات التعاون الدولي في مكافحة

الجريمة وتعقب المجرمين، وهو دور تتزايد أهميته بعد أن أصبحت الجرائم، خاصة الإرهابية والمنظمة، تمثل تهديداً خطيراً لحقوق الإنسان ولمصالح الشعوب ولقيم المجتمع الديمقراطي ونظامه السياسي، وتأمل مصر في التوصل إلى اتفاق دولي للحد من حركة المشتبه فيهم وتحجيم مصادر تمويلهم ومنعهم من اللجوء إلى دول أخرى وتسليمهم إلى الدول التي تلاحقهم، وقال (ميغيل شامورو) مساعد رئيس إنتربول (ميغيل كندال) إن المشاركين في الجمعية العامة، وهم ممثلوا (١٤٣) بلداً من أصل (١٧٧) بلداً هم أعضاء المنظمة، سيبحثون الخطوط العريضة لمكافحة الإرهاب، لأن بعض الوسائل التي تعتمدها باتت قديمة وعلينا تحديثها، وسيجتمع ممثلوا الدول المشاركة و(١١) منظمة دولية لمناقشة تلك الخطوط العريضة في جلسة مغلقة، ورفض (شامورو) الإفصاح عن هذه الخطوط العريضة مشدداً في الوقت نفسه على أن التوصيات التي يتم تبنيها ليست ملزمة للدول الأعضاء، وقال (شامورو) أيضاً أن الجمعية ستبحث خطة استراتيجية لتفعيل (الإنتربول) وقال إن الخطة إذا تم تبنيها ستطبق في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٩م وقد تشمل زيادة عدد المحللين الذين يقومون بجمع وتحليل المعلومات عن الإرهابيين وتحديد أفضل الطرق لتعقبهم، كما تحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس المنظمة الدولية (توسينوري كانيموتو) مؤكداً على أهمية التعاون بين المؤسسات في الدول المختلفة لمواجهة الجريمة التي أخذت أشكالاً متعددة ومعقدة خلال الأعوام القليلة الماضية، وأشار (كانيموتو)

إلى أن الإنتربول في حاجة إلى ثلاثة عناصر ضرورية من أجل أداء رسالتها على أفضل وجه وهي الاستراتيجية والتمويل والقيادة، وأشار إلى أن المؤتمر الحالي سيتناول عدداً من القضايا التي تستهدف مواجهة الجريمة في العالم علاوة على التأكيد على كل المبادئ اللازمة لاحترام حقوق الإنسان، ودعا إلى التعاون الوثيق وتنسيق الجهود بين مختلف السلطات الجنائية في كل دول العالم من خلال وضع نظم اليكترونية تسمح بتبادل المعلومات، موضحاً في هذا الصدد أن الإنتربول قام حديثاً بإنشاء موقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) بوضع كل أنشطة المنظمة في العالم كله، وأشار (كانيموتو) إلى أن الإنتربول ما زال يواجه منذ الاجتماع الماضي للجمعية العمومية في (نيودلهي) تحديين استراتيجيين الأول يتعلق بتمويل المنظمة، والثاني باختيار أمين عام جديد لها، وتشمل المواضيع التي يبحثها اجتماع القاهرة سبل ملاحقة شبكات المتاجرة بالأطفال والمخدرات والقطع الأثرية وتبييض الأموال، كما ستبحث الجمعية العامة في قبول عضوية جزر القمر، ويشارك (٧٠٠) شخص في الاجتماع الذي يتزامن مع الذكرى (٧٥) لإنشاء المنظمة[٥].

إن الاجتماع الذي عقدته المنظمة الدولية لمواجهة الإرهاب يأتي للتأكيد على أهمية حقوق الإنسان، والحقيقة أن الإسلام كما وضحنا بأنه أول من نادى بهذه الحقوق حفاظاً على كرامة الإنسان، إلا أن الأرقام والكلمات المكتوبة لن تكون أكثر تأثيراً إلا إذا تم تطبيق أهدافها، وتمت ملاحظة

وتأديب من يقوم بأعمال الإرهاب، ولنتأمل ما ذكره الدكتور أحمد الربعي هنا:

حركة طالبان هي إحدى نماذج ضحايا الثقافة الشرعية المعزولة عن الحياة، فالحركة التي أسسها عدد من طلبة علوم الشريعة هم ضحايا العلم الشرعي الذي يطرح في عدد من الدول الإسلامية معزولاً عن الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وعلوم الاجتماع والإنسانيات فتكون النتيجة أن يتخرج الطالب ملماً بالعلوم الشرعية وجاهلاً بالحياة، فيقع في تناقض صارخ بين متطلبات الشريعة وتطورات العصر، وتكون النتيجة انتشار مفاهيم ضيقة معادية للعلوم والتكنولوجيا، ومفاهيم سياسية ضيقة لا تدرك طبيعة تعقد العلاقات الدولية وتشابك المصالح الاقتصادية وضرورة مراعاة تنويع الأديان والمعتقدات في العالم، هناك تشويش واضح في معنى (الجهاد) لدى هؤلاء فبعضهم يعتقد بأن مهمة المسلم في هذه الدنيا محاربة غير المسلمين وإهدار دمهم، بل يصل الأمر إلى تكفير المسلم ذاته وتحليل دمه وماله وعرضه، وهناك تشويش واضح لطبيعة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على المستوى العالمي. فتنتشر فكرة أن العالم كله لا شغل له سوى التآمر على المسلمين، ويتم تقسيم العالم بكل تعقيداته إلى شرق وغرب، وكفر وإيمان، بعيداً عن مفهوم تشابك المصالح، وارتباط العالم بعضه بعضاً وضرورة التعاون الدولي، ويتم تجاهل أسواق المال العالمية، وقضايا الإنتاج والاستهلاك، والقوانين الدولية فتكون النتيجة التقوقع على الذات وإنكار

الآخرين، العلوم الشرعية في الدول الإسلامية وطلابها يحتاجون إلى ثقافة سياسية وعلمية واقتصادية بأحوال الدنيا وبالتاريخ حتى يمكن ربط القواعد الشرعية بالمصالح المستجدة من أجل خير المسلمين.

أغلبية خريجي الشريعة والدعاة مخلصون لدينهم يريدون له الخير، لكن عدم معرفتهم بالدنيا وبتطورات العصر توقعهم في اجتهادات قد ترتد لغير صالح المسلمين، ولقد حان الوقت لتطوير مناهج العلوم الشرعية بالاهتمام بعلوم الدنيا وتطوراتها[٦].

لنا أن نتفق مع ما جاء في هذه الكلمة حول التناقض في حيثيات الجهاد، فالجهل المسيطر على العديد من الأفراد يجعل منهم فريسة للعالم، وبهذا ترتكب هذه الفئة الكثير من الأخطاء نتيجة انعزالها علماً وسياسةً واقتصاداً وتقنيةً، ويأتي من يفسر لهذه الشريحة الوقائع في غير مكانها، فتظل في حالها، من تأخر في زمن يجب فيه أن تزداد فيه المفاهيم نحو الصحيح، ويتناول الربعي في كلمة له قائلاً: البيان الذي أصدره (عمر عبدالرحمن) من سجنه في أمريكا والذي يدعو إلى نبذ العنف ليس بأهمية ردود الفعل عليه، وسواء صدر البيان عنه أم أنه بيان مزور، كما يقول البعض، إلا أن ردود فعل القيادات المتطرفة عليه تثير التساؤل، صدرت التصريحات من المتطرفين في (القاهرة ولندن) ومتطرفين آخرين في عواصم أخرى ملخصها بأن الشيخ لا يمكن أن يقول مثل هذا القول، وثارت ثائرتهم، لأن الشيخ (عبدالرحمن) يدعو إلى السلام، هؤلاء المتطرفون هم

بالضرورة جهلة بالإسلام وتعاليمه، فهذا الربط الضروري بين العنف والإسلام هو من فكر (الخوارج) القدامى والجدد، ولا يمت إلى جوهر الإسلام بصلة، وهذا الفهم الشاذ يدل على أن مفهوم الجهاد هو في أذهان هؤلاء شيء آخر غير الجهاد الذي ذكره الإسلام هؤلاء يقومون بقتل النفس التي حرم الله من أبرياء وضحايا في قرى (الجزائر) وسياح أجانب ومواطنين مصريين في القاهرة، ومئات من المسلمين في تفجيرات السفارات الأمريكية الأخيرة في (أفريقيا)، وأعمال أخرى في الرياض والخبر ويفتخرون بمثل هذه الجرائم التي لا يمكن أن يختلف عاقلان على أنها أقرب الطرق إلى عذاب جهنم، فليس هناك جريمة في الإسلام أكبر من قتل الأبرياء، وترويع الآمنين، وتعطيل مصالح العباد، وأنه ليس هناك علاقة من أي نوع بين دين التسامح والوسطية وبين هذا الغلو الغريب على الإسلام، ليتنا نقرأ تاريخ (الخوارج) في (الإسلام) لنرى التطابق بين ما كان يفعله خوارج الأمس، وخوارج اليوم تقديس للقتل الذي لا يدرك قيمة حياة الإنسان، ومن جهل بالدين، وتحديداً في مفهوم الجهاد، ليت طلبتنا في المدارس يقرؤون تاريخ الخوارج ليتعلموا درساً من الماضي ينفعهم في الحاضر، ليتهم يفعلون ذلك ليعلموا أن ما يحدث اليوم من قتل واستهتار وعنف هو من أعمال البربرية التي جاء الإسلام ليحاربها لا ليشجعها، وأن الدين بريء مما يفعل خوارج اليوم[٧].

إن المعضلة في فهم أصول الدين الإسلامي، الذي جاء ليكون مظهراً من مظاهر التسامح، وتأكيد الإخاء بين سائر الأطراف، والأديان، فالتطرف هو

ركيزة الجهل، واستعمال العنف، والتعذيب، والقهر هي من أعمال الشيطان، وقد شد إعجابي، بل تقدير الجميع، التركيز الذي جاء في كلمات وخطابات ونصائح صاحب السمو الملكي الأمير (عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود) ولي العهد. ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، أثناء زيارته التاريخية لكل من: (الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، والصين، وكوريا الجنوبية، وباكستان) ولقاءاته مع زعماء ومسؤولي هذه الدول، على أهمية الدين الإسلامي، ومحاربة الإرهاب بكل أنواعه، وأن الإسلام هو منبر الخير والسلام، وشأناً مهماً للإنسانية: وأن ما يحدث في العالم من قتل للأبرياء، هو هجوم حاقد على الأبرياء يمثل الإرهاب بكل شروره وآثامه.

ثانياً: قضايا وتراتيل:

يشتكي بعض الناس من بعض الأحداث كتعرض أصحاب الكفر والنكره كالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والقرآن الكريم، وكأن الشكوى في محلها، إلا أن الدعاية لها بالشكل المفرط أدى إلى التعريف، وزيادة عن المتسبب فهذا (سلمان رشدي) الهندي الأصل، الإنجليزي بالتجنس، وكما قال عنه (جون لو كاريه) إنه الجاهل المتفاخر، الشخص شبه متعلم، بأنه لا قيمة له، فقد ارتفعت أرصدته ذهباً، وعلت سمعته طرباً، والسبب في المعالجة غير السليمة للموقف، أننا فعلاً أصحاب دروس، ولكننا ضعاف في

النفوس، يقول الأديب الأستاذ (غسان الإمام)[٨] ارتفعت الأسعار فزادوا سعر رأسه من ٢ مليون دولار إلى ٢,٥ مليون دولار، الخميني أهدر دمه، لكن لم يقرأ روايته، خلفاء الخميني اتفقوا واختلفوا، اتفقوا على معصومية الفتوى فأدانوا المحكوم، واختلفوا على تنفيذ الوصية، مؤسسة (خورداد) الخيرية تلاحقه، ستكافئ من يقتله، رفسنجاني تهرب من قتله، أحاله على من أتى بعده، خاتمي اعتذر عن التنفيذ، خامنئي صامت حائر بين أهل الفتوى وأهل الحكومة، صاحب أغلى رأس يحمل أغنى قلم، سلمان رشدي روائي مغمور طلب الشهرة فورطته اليهودية العالمية هالها صعود الأصولية، فاستكتبته مؤسسات النشر اليهودية، كتب (تراتيل شيطانية) حشاها برموز وألغاز إيران لم تقرأها، لكنها أفتت بقتل صاحبها، ألسنة قرأتها فلم تفهمها، الأزهر أفتى بمحاكمة مؤلفها إن زندقه حكم بقتله، إن برأة أمر بإحراق كتبه، ما أقسى الاجتهاد عندما يختلف المجتهدون، سلمان رشدي لا معلق ولا مطلق، لا هو مولود فيرجى، ولا هو مفقود فينعى، إنا اختبأ فقد حريته، إن ظهر فقد حياته، أهل الجهاد يزندقونه، أهل الحكم يراوغونه، عالم تحكمة الفوضى، أين تبدأ الحرية؟ وأين تقف الحدود؟ من يحاكم أهل الكفر؟ النقاد؟ أهل الدين؟ أهل الحكم؟ أهل القضاء؟ أهل الشارع؟ أم أهل النخبة؟ أين يقف الإبداع؟ أين حدود المسموح؟ وأين حدود الممنوع؟، نشد سلمان رشدي الشهرة فجاءته من أهل الرفض، لا من أهل الأدب والنقد، أغراه المال، فجاءه من أهل النشر، لا من القراء وأهل الفكر، اعتبر

نفسه مناضلاً، فاعتبره الكتاب متغطرساً، جون لوكاريه، يعدُّه استعمارياً، نجيب محفوظ، ينشد له حرية الكلمة، الكتابة معاناة ومسؤولية سلمان رشدي كاتب واعٍ، درس الفلسفة الإسلامية، ونسي الإسلام، وتناسى مشاعر المسلمين، وعلى قدر وعيه تجب مساءلته، والإسلام دين متماسك، وبقدر تماسكه يأتي تسامحه، تثور السياسة على كتاب وتنسي (تراتيل شيطانية) تحفل بها كتب ومكتبات.

ولفترات طويلة من الأيام تعالت قضية رئيس أكبر دولة في العالم (بيل كلينتون) وعلاقته بالشابة اللعوب (مونيكا لوينسكي) وقامت الدنيا ولم تقعد نتيجة أسرار البيت الأبيض التي أصبحت أضحوكة هذا الزمن، أشرطة تسجيل، شهود عيان، ثمة ضحايا من البنات، والعالم كله يشاهد صور التسجيلات، ويقرأ أتفه العبارات، وكأن (كلينتون) الوحيد في العالم الذي قام بهذه اللعبة القذرة!! أما كان الحل لهذه الملفات من غير أن تشيع في العالم صورة وصوتاً وتفاهات!! إنها صورة لاهتزاز القيم، بل انحدارها، فلم يبق شيء، لقد كتب الأستاذ (سمير عطا) يقول[٩].

في الوقت الذي اقترع ممثلوا الشعب الأمريكي على محاكمة رئيس الدولة في قضية (مونيكا) المس لوينسكي في شريط الاستجواب، المرأة لوينسكي عندما سئل عنها المرة الأولى كانت المذكورة أعلاه تطلب مليون دولار لقاء الظهور في برنامج (أوبرا وينفري) وقد رفضت (وينفري) أن تدفع أجراً لأشهر امرأة في أمريكا منذ (اليانور روزفلت) و(مامي أيزنهاور)

وكانت المرأة الأمريكية في الماضي تطلب الشهرة على المستوى الوطني بأن تتفوق على (تشارلز لندنبرغ) في عبور المحيط بطائرة ذات محرك واحد، أو بأن تقود فريق التمريض في الحروب، أو تكون ذات جمال معين مثل (مارلين مونرو) أما الآن فبدلاً من عبور المحيط تعبر امرأة سمينة الرواق الشمالي في البيت الأبيض فيلمحها الرئيس فتؤدي أمامه مشهد أهل الغابات الزوائل فيسقط الرئيس في إغراء العصر الحجري وتسقط أمريكا معه.

يفيد تقرير القاضي المستقل المستر (ستار) بالتفصيل طبعاً أن المرأة (لوينسكي) هي التي تحرشت بالرئيس السريع العطب، أي وفقاً للمجلدات التاريخية التي وضعها المستر (ستار) فإن المسألة المؤلفة من فريقين تتألف من بادي ومتجاوب، ومع ذلك اختار الحزب الجمهوري أن يحاكم الفريق الثاني، وسوف يحاكم (كلنتون) بتهم أخرى، بينها أنه صرف من الخدمة بغير وجه حق، موظفي مكتب السفر في البيت الأبيض.. ياللهول.. واكلنتوناه.. كيف يجرؤ رئيس الولايات المتحدة على صرف القيمين على التذاكر؟ إن أمريكا بلد لا يصرف فيها أحد من وظيفته، ولا تضع الشركات عشرات الآلاف من الناس على الأبواب كل يوم، شركة (جيليت) وحدها صرفت قبل أربعة أيام أربعة آلاف موظف بداعي انهيار الأسواق في آسيا، ثم لماذا تنتخب أمريكا رئيساً إذا لم يكن في إمكانه تغيير موظفي السفر في البيت الأبيض، وإذا كان مثل هذا الصرف التعسفي ظلماً حقاً، فهل يحاكم عليه الرجل الذي سلم مفتاح الخزنة النووية وأسرار الكون؟ هل نحاكم رجلاً بمثل

هذه التهمة، ونحن نقدم إليه كل يوم ملفات وأسرار أخطر قضايا العالم، علينا أن نقتنع حقاً بأن هذه الديمقراطية!! ديمقراطية ملاحقة الرئيس واستجوابه، ثم محاكمته، من أجل عزلة بسبب ثلاث تهم، الأولى مخالفة قانونية مضى عليها أكثر من عقد، والثانية صرف موظفي (التيكتينغ) في البيت الأبيض، الثالثة بقعة المرأة (لوينسكي)، آه.. ليس ذلك فقط، يجب أن لا ننسى بأن (كلينتون) قد أجاب بـ(كلا) عندما سئل إن كانت له علاقة مع المس (لوينسكي) وا.. أمريكاه.. بدلاً من أن يدل المستر (ستار) على البقعة التي تركها على فستان أزرق منذ عامين، ترك المس لوينسكي تفعل ذلك، وهي تجهش بالبكاء، كم تعذبت الآنسة في حب الرئيس، ياللناكر الفظ، من أحل ذلك كله يحاكم صفوة القوم وممثلوا النقاء والطهارة على هذه الأرض، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وفي أيام تصبح مونيكا لوينسكي أشهر امرأة في الأرض بمجرد أن تعبر الرواق الشمالي، أو لعله الرواق الجنوبي، ويحاكم ضعيف الأروقة كجان، فيما تشق بطلة أمريكا طريقها إلى المجد والشهرة، سوف يحتار الحرس بعد اليوم لمن يعزفون النشيد الوطني.

ثالثاً: من أين لك هذا؟

يحكى أن أحدهم وهو معروف لدى سكان الحي كان شحاذاً، وبعد فترة من العمر، رآه صديق لنا في مكتب (عامر) للبيع والتأجير للأراضي، وبعد

سنوات، صادف وجود صديق لنا في رحلة إلى الخارج، فلقي الشحاذ، وهو متعالي الصدر والهمة، مع ركاب الدرجة الأولى، فاندهش الصديق إلا أنه بعد سنة أخرى أصبح اسمه لامعاً في المدينة، ولديه أكثر من متجر، وخمس سيارات وعدد من الخدم والسائقين.. إلخ، فسألني الصديق، هل تعلم من أين لهذا الشحاذ كل هذه الممتلكات؟! قلت: لا أعلم، ولكنها على ما أظن من الشحاذة!! أليست هذه العملية مربحة؟ قال: وهل هذا يأتي من هذه العملية وفي زمن قصير جداً؟. ولكي لا أطيل قفلت باب الشحاذ، وقلت له: وهل الشحاذ لوحده في هذه المهمة؟!

إن هذا يذكرنا بالعديد من أعمال النصب والاحتيال التي لا تبتعد عن الكبير أو الصغير، ولا تعرف في بلد أو مدينة، بل ليست لها مدينة محددة، إنما الذي أعرفه أن صحافتنا وإعلامنا في العالم العربي يسترق السمع للآخرين، ويكتب عن الآخرين في دول العالم المتقدم، ولا يستطيع أن يهمس لما يحدث عن أقرب مكان يعيش فيه، لأن مصيره سوف يكون مثل ذلك الشحاذ، عندما كان شحاذاً، ولنقرأ معاً هذه السطور:

«يذكر مراسلنا في (موسكو) سامي عمارة، أن (فلاديمير جيرونوفسكي) يساءل أمام القانون الروسي الآن في تملك أكثر من مائتي سيارة وعدد كبير من الشقق في العاصمة الروسية، أما الشقق والعمارات والحسابات المصرفية فأمر يعود إلى هذا (الزعيم) الروسي وحده، ففي أماكن المرء إذا كان يملك المال أن يمتلك كل شارع مكسيم غوركي، وإذا كان رئيس

الوزراء السابق السيد (تشيرنوميردن) يملك (٦) مليارات دولار في دولة لم تخرج من النظام الشيوعي إلا قبل عشر سنوات، لا يعود صعباً أو غريباً أن يمتلك السيد (فلاديمير) نصف مباني (موسكو)، المسألة هي أن يمتلك رجل فرد (٢٠٠) سيارة من أي نوع كان، وبما أن السيد (جيرونوفسكي) لم يكن يمتلك سوى سيارة (لادا) واحدة العام ١٩٩٠م عندما كان لا يزال محامياً لدار (مير) للنشر، فهذا يعني أنه اشترى سيارة كل شهر (تقريباً) خلال ثمان سنوات، وبالإضافة إلى أن هذا رقم مذهل، فهو رقم قياسي أيضاً، وإذا قيست أو قُورنت سيارات السيد فلاديمير بـ (٢٨٥٠) حذاء عثر عليها في خزائن السيدة (إيميلدا ماركوس) شيئاً يذكر أمام سيارات (فلاديمير) مع العلم أن كلاهما يدعي محبة الشعب (أي الروس في روسيا) وإخواننا في (الفلبين) ومع العلم أن ثمة فارقاً أساسياً بين هذين الوجهين الصبوحين وهو أن السيدة (ماركوس) تجترح العجائب أحياناً، فلاديمير لا يفعل.

فلاديمير يشاهد دائماً في الطريق إلى مساعدة فقراء العراق أو إلى مناصرة المحاصرين في (ليبيا)، وفي آخر صورة له في مسيرته الطويلة لم يكن وحيداً، بل كان معه حوالي عشرين متطوعاً باللباس الكاكي والقلنسوات الجميلة، وكل من لم يكن قلبه قد رق لآثار الحاصر، استطاع أن يقدر مدى ما يتعرض له الأبرياء، عندما رأى مشهد (جيرونوفسكي) ومعه بقية الفريق، أكثر من ٢٠٠ سيارة لفرد واحد في روسيا، كنا قد عرضنا على

جانبكم في حينه الكتاب الذي وضعه رئيس مجلس إدارة (مير) السابق عن محامي الشركة وخلاصته أن السيد (جيرونوفسكي) ليس ذلك المتهور أو غير المتوازن كما يحاول أن يصور نفسه، ولا هو ذلك المتطرف، وإنما هو رجل حاسوب حيسوب، يسعى إلى الثروة، وقد رأى أن تمثيل هذا الدور يؤمنها، ولذلك طرح نفسه في البداية على أنه عدو الإسلام الأول، ثم تحول إلى زائر دائم (للعراق) وقلبه طبعاً على أطفاله، ولعل الهدف من جمع كل هذه السيارات هو استخدامها في قافلة تحمل الأدوية والمساعدات.

لابد أن يتساءل الروس من أين لهذا الرجل فائض من المال يصرفه على ٢٠٠ سيارة؟ وأين يضعها؟ وكم تكلفه من تأمين؟ في بلد يصعب على الملايين فيه العثور على رغيف، وهل يكفي أن يتصور السيد (فلاديمير) دائماً وقد فك ربطة عنقه، لكي يقتنع الروس أن حضرته ثوري لا يهمه سوى الفقراء ومصلحة الشعب الروسي، بالإضافة طبعاً إلى الشعبين (الليبي والعراقي).

إن بلداناً مثل (سويسرا) و(النمسا) لم تمنح هذا الرجل تأشيرة دخول حتى للمعالجة الطبية، وقد فعلت ذلك آنذاك بسبب تصريحاته عن شعوب العالم الثالث بالذات، وبسبب مواقفه العنصرية وليست بسبب كلامه عن (سويسرا) وإذا ثبت غداً أنه يقتني أكثر من ٢٠٠ سيارة، لابد أن نعيد النظر في الأصدقاء، أو على الأقل في مساندتهم لنا، ولا شك أن السبب الرئيسي وراء حب هذا الروسي للسيارات هو بلا شك كرهه للجمال التي

قال إننا سوف نركبها لكي نركع أمامه، أذلاء طالبين الصفح»[١٠] ولنفس الغرض تقول هذه المعلومات التي صاغها الأستاذ عبدالرحمن الراشد محللاً الموقف:

٧٥٠ مليون دولار هي الأموال التي أقرت عائلة (أباتشا) أن رئيس نيجيريا الراحل قد أودعها في حسابه الشخصي، الأموال أعيدت للخزانة في دولة تستجدى المنظمات الدولية من أجل الحصول على قروض بخمسين مليون دولار فما دون، ويعتقد أيضاً مستشار الرئيس الراحل هو الآخر سرق أكثر من مليار دولار، وإن كان قد أقر حتى الآن بأن في حسابه ربع مليار دولار فقط، ففقر (نيجيريا) المكتظة بالسكان (مئة مليون نسمة) تقريباً، لم يقنع قيادتها السياسية بالزهد في الحسابات المالية الكبيرة، في حين أننا نرى أن الدول العربية الغنية تلاحق سياسيها على مليون دولار وأقل منذ لك، ثروة (أباتشا) ومستشاره نموذج لخطورة الفساد الذي يمثل المعطل الأول للتنمية في دول العالم الثالث التي توجه معظم هجومها على البنوك العالمية والهيمنة الاقتصادية الخارجية محتمية بغطاء الوطنية من الكشف عن حقيقة مصدر المشكلة أنها من داخل البيت نفسه، وسبق قصة أباتشا ما قيل عن رئيسة وزراء (باكستان) السابقة (بنازير بوتو) من أنها وزوجها (عاصف) سرقا مليارات الدولارات حتى أصبحت (باكستان) تواجه خطر إفلاس حقيقي، وما كان لنا أن نصدق مثل هذه الإشاعات من الحكومة الحالية، لأنها على خلاف مع (بنازير بوتو) لولا أن البنوك الغربية وافقت

على تقديم معلومات مذهلة عن حسابات رئيسة الوزراء التي تفاخر بأنها عادت إلى بلدها تاركةً رغد العيش حاملة شهادة رفيعة من جامعة (أكسفورد) من أجل خدمة مواطنيها.

وحالة النهب التي تعم العالم الثالث، إلا من رحم ربي، هي كما قالت الأمم المتحدة أنها المعطل الوحيد للتنمية ومخرب الاقتصاد الرئيسي، وهي بطبيعة الحال تعكس الخلل الكبير في النظام السياسي لهذه الدول التي تعطل فيه وسائل الرقابة وتصبح الصلاحيات في يد واحدة، ويتسابق المسؤولون على تفريغ خزائن الشعب باسم خدمتهم، وسبعمائة وخمسون مليون دولار لم تعط الرئيس أباتشا عمراً طويلاً، حيث يقال إنه مات على فراش الزوجة الجديدة بعد تعاطيه حبة فياجرا سببت له أزمة قلبية توفي على أثرها، طمعه في السلطة يماثل جشعه في السرقات، فقد وثب على السلطة بالقوة بعد تقويض النظام المنتخب وتولى مع مستشاره الأمني باضطهاد، وفي بعض الحالات تصفية كل الرموز الشرعية التي كانت تمثل النيجريين، أن أحداً لا يتوقع من زعماء العالم الثالث أن يكونوا مثل عمر بن عبدالعزيز الذي كانت له شمعتان، واحدة من ماله والثانية من بيت مال المسلمين، يستخدم الأولى عند قضاء حوائجه الخاصة، فالنزاهة التامة في العمل السياسي مثالية لا ينتظرها أحد، أما عمليات النهب فجرائم لا يمكن أن يسكت عليها أحد، فحماية المال العام هي مسؤولية المؤتمنين على السلطة التي أصبحت مثل البنوك تغري اللصوص بالقفز عليها للإثراء السريع[١١].

رابعاً: قراصنة الفكر:

لا أستبعد التشبيه لمن يسرق قرشاً أو فلساً أو يقتل الأبرياء، كالذي يسطو على أفكار الناس، فقد أصبحت السرقات الثقافية والعلمية في العالم العربي أوسع انتشاراً، ولا تعرف الحقوق أو الواجبات، فهناك سطو على كتب مؤلفوها أمواتاً وأحياء، وهناك سرقة البحوث، وهناك سرقة الأفكار، تبدأ من بعض المتسلقين باسم الصحافة والأدب والتأليف، وتنتهي إلى بوابة الجامعات والكليات، والمعاهد، حتى بعض المؤلفات نجدها مترجمة من لغات متنوعة، بلا إذن ولا انتماء لأصحابها ومن أصحابها.

فكم من صاحب فكر ومنهج له العديد من الكتب والأبحاث لا يحصد ثمناً لها، وإنما يفاجأ بانتماء بعضها (انتحالاً) إلى فلان أو علان، وكم أصحاب دور النشر والمطابع يعيدون طباعة كتب المشاهير، والكتب الرابحة في الأسواق دون علم المولف، وبلا إذن من أي جهة مسؤولة!! والنية من ذلك الكسب الحرام، وكمن باحث أوتلميذ يسطو على (علم) منشور، ويضع اسمه عليه، دون الإشارة أو التوثيق، وأنا أقصد هنا الملفات الكبيرة، وليست الصفحات القليلة، التي قد تكون بعذر النسيان أو الطباعة وعدم المراجعة الدقيقة من قبل البعض.

إن السطو على الفكر من أهم أعمال الإخلال بالقيم، ولهذا تم تنظيم العديد من اللقاءات والمؤتمرات بصدد وضع حد لهذه الألاعيب في مختلف

دول العالم، وصدرت القوانين، إلا أننا لم نسمع كثيراً عن الإجراءات، وتنفيذ ما صدر منها لاحترام حقوق الملكية الأدبية، التي يتجاهلها بعض صناع القرار الإعلامي، ولا يعبأ بها لامنتحلون، وقد ذكر خلدون الشمعة عن السطو والانتحال قائلاً[١٢].

هل من قبيل المبالغة القول لدى معالجة ظاهرة السطو والاقتباس والانتحال في الثقافة العربية ونحن نقترب من نهاية الألفية الثانية بعد الميلاد أن هذه الثقافة قد أنتجت بتأثير من إعلامها المكبل بانحيازات مسبقة لا يصعب على القارئ اللبيب أن يفهم إشاراتها ورموزها نموذجاً ثقافياً منفوخ الأوداج هو (اللص الظريف) الذي ما زال يمارس هواياته منذ أكثر من خمسة أجيال، من المعروف أن غياب القوانين التي تحمي حقوق الملكية الأدبية والفنية كان قد أسهم في إضفاء نوع من الغموض على السرقات العلنية التي ترتكب في رابعة النهار، وفي هذا المقال سأحاول استكشاف أبعاد الدور الذي لعبته وتلعبه بعض مؤسسات الإعلام العربي في حماية بعض اللصوص والظرفاء في الثقافة العربية، وإسباغ مكانة متميزة عليهم في عصر قوانين حماية الملكية الأدبية والفنية التي امتدت سطوتها إلى العالم العربي بتأثير منظمات الأمم المتحدة.

ما حدود السطو والقرصنة والانتحال؟ وما هي الفروق الإصطلاحية بينها؟ وكيف تنظر القوانين الخاصة بحقوق النشر إلى هذه الحدود في الوقت الراهن؟ هذه الأسئلة التي يمكن اعتبارها من النوع السجالي في داخل العالم

العربي، مازالت مطروحة على بساط البحث على الرغم من المواعيد التي حددتها منظمة (اليونسكو) لتطبيق قوانين حقول الملكية الأدبية والفنية على الرغم من موافقة المشرفين على شؤون النشر والإعلام على اعتماد هذه القوانين، والحال أن عمليات الانتحال هذه كانت تسبق في أحيان كثيرة، من حيث تاريخ وقوعها، المرحلة الإعلامية، أي مرحلة النشر، فانتحال الأطروحات الجامعية، حيث يسطو باحث جامعي على أطروحة غير مطبوعة لباحث جامعي آخر، لم يعد استثناء نادر الوقوع، ولكن اللافت للنظر أن غياب قوانين العقوبات التي تستجيب على نحو ملائم لحوادث سطو من هذا النوع، قد أضاف بعداً جديداً لمشكلة الملكية الأدبية، كما أن هناك مشكلة أخرى تتفرع من مشكلة الانتحال، وأعني بها ما يدعي بالاقتباس الذي أدرجه الباحثون العرب قديماً في عداد السرقات الأدبية، وأحد الأمثلة على هذه السرقات (الرسالة الحاتمية) التي ألفها أبو علي الحاتمي الناقد العربي وأدرج فيها نماذج عديدة من الاقتباسات التي بلغت حد التطابق في الألفاظ بين شعر المتنبي الحكمي وبين فلسفة أرسطو، ومن المفارقات أن (زكي مبارك) الذي اكتشف أعمال الحاتمي في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) يعلق على محاولته الالتفاف على موضوع اقتباسات المتنبي، بقوله:

وقد رأيت بعد الاطلاع على هذه الرسالة الحاتمية أن صاحبنا نال من المتنبي باللطف ما لم ينله بالعنف، فقد أخذ يسرد كلمات أرسطو طاليس

ثم يعقبها بشعر المتنبي فاستطاع بذلك أن يفضح المتنبي فضيحة شنعاء، وإذا كان الجدل هنا يدور حول شعر استمد أقطاره من حكم فلسفية، فما حكمنا على الاقتباس الصريح الذي لا لف فيه ولا دوران، ونعني به الأخذ الحرفي عن مصدر غربي بواسطة الترجمة، بعد مضي ألف عام تقريباً على تأليف الرسالة الحاتمية، وما هو موقع هذا النوع من الاقتباس من قوانين الملكية الأدبية والفنية المعاصرة؟ والأهم من هذا وذاك السؤال التالي، هل لهذه القوانين أنياب في العالم العربي؟ أم أنها مازالت نموراً من ورق عاجزة عن العض أو القضم؟ وإذا كانت حقوق الملكية الأدبية والفنية غير مطبقة في المنطقة العربية عموماً على الرغم من تصريحات بعض صُناع القرار في العالم العربي التي تؤكد عكس ذلك فإن ذلك يعود إلى ضآلة المردود المادي للكتاب العربي الذي لا يطبع منه أكثر من ألفين إلى ثلاثة آلاف نسخة، توزع خلال سنوات، لا أسابيع ولا شهور، خلال عصر النهضة كما أطلق على بدايات هذا القرن، كان من الممكن إيجاد أسباب ومسوغات تبرر حالة الاقتباس الصريح هذه، ونعني بها مرحلة في سبيل التاج (وبول وفرجيني) التي أعاد مصطفى لطفي المنفلوطي من خلالها صياغة أعمال روائية ترجمت ترجمة شفهية غير مدونة، ولكن كيف يمكن الاستمرار في تجاهل أخلاقيات الاقتباس؟ إذ صح التعبير أن استقرت أصول التأليف والبحث العلمي في الثقافة العربية وبعد أن أصبحت قوانين الملكية الأدبية والفنية ذات طابع عالمي شامل لا يتقصر على ثقافة قومية دون أخرى، هذه الأسئلة أطرحها في

هذا السياق بالأخص منطلقاً من اعتبارين، الأول: يتعلق بالثقافة العربية ومكانتها في عصر سيطرة الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي، سيطرة لا مثيل لها في أي عصر من العصور، فمن المحقق أن عملية الإنتاج الثقافي الوطني أو القومي سمه ما شئت لا يمكن أن تنهض على أساس من الانتحال والادعاء والكذب الصريح، وأما الاعتبار الثاني فيتصل بمعرفتنا بثقافات الآخرين، ونعني بذلك ما أطلق عليه اسم (علم الاستغراب) أي دراسة الغرب من قبل باحثين عرب، كما يحاول الدكتور (حسن حنفي) أن يفعل، هل يمكن تمييز الأنا من الآخر؟ إذا كان نصيب الأنا في الثقافة العربية قائماً على الاقتباس حيناً وعلى السطو في أحيان أخرى قبل أكثر من عقدين، تُوفي (أحمد الصاوي محمد) الكاتب المصري المعروف مخلفاً وراءه عشرات الكتب المطبوعة طباعة مسرفة في الأناقة، وإذا نظرنا إلى هذا الكم الهائل من الكتب رتأثيره في الثقافة العربية أصبح السؤال البديهي الذي ينبغي طرحه هو، ما نصيب الانتحال المهذب أو قل الاقتباس الذكي الذي لا يخلو من الطرفة، ما نصيبه من أعمال هذا الكاتب ذوي الأفق الموسوعي، المشكلة هي أعمالاً عظيمة تنتمي إلى الأدب الفرنسي ترجمت ترجمة اقتباسية ونشرت في كتب ذات ألق وتألق بصفتها من تأليف أحمد الصاوي محمد، وإذا كان هناك من يرغب في الدفاع عن هذا اللون من القرصنة اللطيفة بقوله: إن المؤلف المذكور أشار في داخل كتبه إلى أسماء مؤلفيها الأصليين، فإن تفحصها قمين بالكشف عن عملية انتحال شديدة الخطورة، فالأغلفة

الجميلة والمصقولة التي كانت كتب الصاوي تتميز بها لا تحمل سوى توقيعه، وبعبارة أخرى فإن ما فعله الصاوي دون أن يردعه جهاز إعلامي يتصيد الفضائح أو قانون نافذ للملكية الأدبية هو انتحال لصفة المؤلف، والأدهى من ذلك أن هذه الكتب الملفقة ولا أقول المترجمة مسروقة برمتها عن أعمال تحتل مكانة عظيمة في الأدب الفرنسي الحديث، ومع ذلك فإن أصحابها لا يظفرون من أحمد الصاوي محمد إلا بإشارة عابرة من الداخل لا تسهم البتة في تعميق الوعي الثقافي العربي للثقافات المعاصرة وفق منهج واضح المعالم، كما قد يلوح لمن يحاول التماس المحاذير لمعلية الانتحال هذه، والحال أن أحمد الصاوي محمد لم يوفر أحداً من الفرنسيين، لا بلزاك ولا ستاندال ولا فيكتور هيجو، لقد نشر أعمال هؤلاء الكتاب ممهورة باسمه وكأنه مؤلفها الوحيد، لا ينازعه ملكيتها أحد، وبوفاة الصاوي خلت الساحة لتلامذة نجباء لا يقلون عنه شأواً في الإسهام بدور مدروس في عملية تشويه الثقافة العربية بدعوى الحرص الشديد عليها، ولعل أحد هؤلاء التلايمذ المولعين بلعب دور الأستذة، كاتب وإعلامي عربي معروف صاحب أكثر من مئة كتاب وكتاب قبل أن يصدر كتابه الشهير، الذين هبطوا من السماء الذي انتحل فيه كتاباً لمؤلف نمساوي معروف، وكان الكاتب العراقي الراحل (ذو النون أيوب) ترجم ذلك الكتاب عندما اكتشفه لدى إقامته في (فيينا)، وقد قامت مجلة (الآداب) بنشر الترجمة على حلقات وذلك تحت عنوان (عربات الآلهة) عنوان الكتاب الأصلي، أما لماذا انتحل الكاتب

الهمام كتاباً لا يمكن أن يؤلفه سوى عالم متمكن من العلوم، فمسألة ربما يفسرها قيام بعض الأجهزة الإعلامية بحمايته والتستر عليه، وهناك كتاب آخر انتحله الكاتب نفسه وطبعت منه، شأنه في ذلك شأن كتاب (عربات الآلهة) الآنف الذكر، عشرات الطبعات، هذا الكتاب من تأليف الكاتب الأمريكي (مايكل هارت) ويدور حول أعظم مئة شخصية في التاريخ، وكان فضل المنتحل على المؤلف أنه تجنب الإشارة إلى اسمه أو عنوانه كما ورد في الأصل الإنجليزي مجرداً بعض فصوله من التفاصيل!! والأغرب من ذلك أن الكاتب الهمام زعم في مقدمة الكتاب أنه استأذن (مايكل هارت شخصياً) بالاستحواذ على الكتاب، وأنه أذن له بذلك، غير أن هذا الادعاء يفنده تجنب الإشارة من قريب أو من بعيد إلى اسم الكتاب أو عنوانه، وإذا فرضنا جدلاً أن ما يدعيه منتحله في المقدمة من أنه استأذن فأذن له، فلماذا اسم (مايكل هارت) المؤلف الأصلي على الغلاف؟ وكيف استقام لإعلامي عربي من وزنه، أن يضرب بعرض الحائط بجميع اعتبارات حقوق الملكية الأدبية دفعة واحدة؟ الجواب عن هذه الأسئلة هو أن صاحب عملية الانتحال الآنفة الذكر له باعه الطويل في التخفي وراء عموده الصحفي، فضلاً عما يتمتع به من نفوذ في أوساط إعلامية معينة، تسهم في حمايته من دفع الثمن المادي أو المعنوي المترتب على نشاطاته ذات العلاقة بالقرصنة والقنص، وهناك أخيراً مفارقة تتصل بالكتاب فقد صدرت طبعة جديدة من مؤلف (مايكل هارت) المنشور أعاد فيها النظر لبعض الشخصيات التي

تضمنها كتابه الذي استهدف استعراض ملامح من السيرة الذاتية لأكثر من خمسين رجلاً عظيماً، مثلوا مختلف مراحل التاريخ الإنساني كله، فكان أن أضاف اسم (جورباتشوف) على القائمة، فهل يصدر الكتاب العربي الهمام طبعة جديدة من مؤلفه، يضيف إليها اسم (يلتسن) أول رئيس جمهورية لروسيا تأكيداً منه على أنه أغنى الكتاب بمادة جديدة لم تكن متضمنه فيه؟ من الطبيعي أن الانتحال ليس مقصوراً على ثقافة دون ثقافة أخرى، فقد أميط اللثام مرة عن قيام كاتبه جائزة جائزة (جونكور) الفرنسية، قامت باقتباس عدد من النصوص الروائية التي نقلت مقاطع منها ثم أقدمت على دمجها ضمن سياق روائي واحد، غير أن القضاء كان لها بالمرصاد، أعود إلى كتاب (مايكل هارت) فأقول أن قضيته هي واحدة من القضايا التي ما زالت تقابل بالتجاهل الشديد في عالمنا العربي، ولذلك أسباب تحتاج إلى وقفة أخرى.

إن ما ذكره (خلدون الشمعة) قليل من كثير، ولكن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وحماية، وتأكيداً على هذا الأساس فأنيس منصور أو أحمد الصاوي لم يكونا الوحيدين في هذا العالم قد سرقا أو اقتبسا أو ترجما وادعيا الملكية لفكر الآخرين، بل هناك أعلام فاسدة أثرت على المجتمعات بسبب الجهل في اللغات، إلا أن السؤال الذي نفكر فيه للمستقبل هو من الذي يؤكد حماية الفكر من السطو في القرن القادم؟ ولكن أيضاً.. هل ستستمر هذه الإدانة في الزيادة أم يقر لها ما يتناسب من حلول؟ أم أن

التكنولوجيا المتطورة سيكون لها شأن؟ في الوصول إلى لصوص الفكر ومدعي الأدب والفن!!.

وبالرغم من أن السطور السابقة قد أخذت جانباً من الدقة في النقل لسائر الأطراف، إلا أن الحقيقة تظل غير معروفة فهناك اتهامات تقرأ عنها بين حين وآخر ضد شخصيات أدبية مرموقة، لها ذخيرة كبيرة من الإنتاج الفكري الجيد، والذي أدى إلى توسيع قاعدة الثقافة لدى الأمم والشعوب في كل مكان، فيموت شخص أديب أو عالم أو سياسي أو غيره تظهر علينا أحياناً بعض الفئات من شرائح غريبة تكيل التهم لهؤلاء، والسؤال هنا لماذا لم يواجهوا بهذه التهم في حياتهم؟!

إن في العملية شيء غامض، وإن حياة كبار الرواد من الأحداث والأحياء ذكرى عطرة يجب أن نحترمها، وأن نتحرى الدقة والأمانة في كل ما نكتب ونقول، والبرهان هو أن نقدم البرهان.

الهوامش والمراجع (الفصل السادس)

١- سورة الإسراء الآية: ٣٣.

٢- سورة الإسراء الآية: ٣١.

٣- سورة النساء الآية ٩٣.

٤- سورة البقرة الآية ١٧٩.

٥- الشرق الأوسط. لندن، (٧٢٦٩) ٢٣/١٠/١٩٩٨م ٤/٧/١٤١٩هـ ص٤.

٦- أحمد الربعي. الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٤٣) ٢٧/٩/١٩٩٨م ٧/٦/١٤١٩هـ ص٣.

٧- أحمد الربعي. الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٧٢) ٢٦/١٠/١٩٩٨م ٦/٧/١٤١٩هـ ص٣.
٨- غسان الإمام. أصداف ولآلئ الشرق الأوسط. لندن (٧٢٤٩) ٣/١٠/١٩٩٨م ١٣/٦/١٤١٩هـ ص١٢.
٩- سمير عطا الله. صباح الخير، الشرق الأوسط لندن (٧٢٥٨) ١٢/١٠/١٩٩٨م ٢٢/٦/١٤١٩هـ ص٢.
١٠- سمير عطالله صباح الخير، الشرق الأوسط، لندن (٧٢٥٥) ٩/١٠/١٩٩٨م ١٩/٦/١٤١٩هـ ص٢.
١١- عبدالرحمن الراشد، رؤية عربية، الشرق الأوسط، لندن (٧٢٨٨) ١١/١١/١٩٩٨م ٢٢/٧/١٤١٩هـ ص٢.
١٢- خلدون الشمعة، الرواق الرابع، الشرق الأوسط لندن، (٧٢٦٢) ١٦/١٠/١٩٩٨م، ١٦/٦/١٤١٩هـ.

الفصل السابع

قمم بلا ذمم!

أولاً: ملف الفضائح الأكاديمية.

ثانياً: هل هي أمراض جديدة..؟

ثالثاً: وصايا من التاريخ.

قمم بلا ذمم!!

يُعدُّ (المعلم) أو المدرس من أهم ركائز المجتمع فهو الأب، وهو الأخ، والمربي، والمرشد، والموجه لأبناء المجتمع، ذلك أن هذا المعلم كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى، في إعداد أطفال الغد، ومن استثمار هذا التفاعل تتبع في ذهن هؤلاء الأطفال التوجهات وحالات الاستعداد والتقبل لتقديم الخدمات المطلوبة، لبناء مجالات التنمية التي تعطي المجتمع الفرصة لتقدمه وازدهاره نحو الرقي.

إن (المدرس) موجود في مراحل التعليم العام، وخاصة منذ بناء عناصر الطفولة في فترة ما قبل المدرسة، وكان المعلم موجوداً في التعليم الجامعي ولكن بوظيفة أخرى تدعو إلى البحث العلمي، وتحقيق الابتكار والمعرفة، ولذلك تظل لهذه الشريحة قيمة كبيرة في المجتمع، إلا أننا نشعر حالياً بأن هناك تدنٍ في العملية التعليمية تبدأ من الأسرة التي يتواجد بها المعلم، ولا تنتهي، لأنها سلسلة تعيش في تكوين السلبيات والإيجابيات معاً.

ولننظر إلى العالم العربي، ونحن نقول، بتدني، العملية التعليمية التي أساسها الأسرة، والمعلم من الأسرة، أي يعني بأن الأسرة التي لا تهتم بالطفل منذ نشأته على سلوكيات إيجابية سوف تحصد فرداً لا يختلف في سلوكه عندما ينمو ويكبر ويتسلم مهامه الوظيفية، ومهما يكن فهو لا يحسن

التعامل مع الآخرين، ومن ثمَّ لن يحسن في تقديره للطفولة القادمة حتى لو كانت خريجة سلوكيات صائبة.

إن وضع (الفرد) في عالمنا العربي لا دور له في تحسين سلوكياته الذاتية لأنه نشأ بنفس المسلك الخاطئ، ولو وجد الناصح الأمين فلن يكون بالأغلبية بقدر ما سيكون للأقلية، ولهذا تعطلت القيم في المعلم، وفي أستاذ الجامعة، وفي الطبيب، وفي المهندس، وفي الموظف، وأعتقد أن التعميم بهذه الطريقة فيه رجاحة من تعميق الأثر غير المقبول، إلا أنني مع هذا لا أدعو للتعميم بقدر ما أراها قيماً تختص بشريحة معينة، قد تكون سبباً في ذلك السقوط.

فلو عرفنا عن (معلمين) هم أساساً غير صالحين للعملية التعليمية لوجدنا أن هناك خللاً ما، ولو قدر لهذه الفئة أن تخطئ فحساباتها ستكون بالجملة، من أمثلة ذلك: المعلم الذي يعامل طلابه بعنف وقسوة، والمعلم الذي يتلفظ بعبارات سوقية، والمعلم الذي ينام في الفصل، المعلم الذي يتأخر عن الحصة، والمعلم الذي لا يتابع أي جديد في مجال تخصصه، والمعلم الذي لا يستعمل الوسائل التعليمية التي تعينه، والمعلم الذي لا يفكر، ولا يساعد على التفكير في حسابات طلابه، والمعلم الذي يتقاضى الرشوة، وآخر يعتدي جنسياً على طلابه ويتحرش بهم.. إلخ، هذه والشيء نفسه ينطبق تقريباً على الطبيب، ولكن بقدر أقل، لأن الطبيب أوراقه سوف تكتشف بسرعة، يذكرني هذا بظاهرة الكتابة في الصحف، وكيف يكتب بعض هؤلاء من معلمين وأساتذة بالجامعات وأطباء وسيدات

وموظفين كبـار عن طريق من يكتب لهـم سطور هزيلة تجد من يجاملها من بعض المسؤولين في الصحف وينشرها في الصدارة.

أولاً: ملف الفضائح الأكاديمية:

إن اعتبار (المعلم) هو القمة في الأصالة والتربية والتاريخ، والتعلم شيء وارد، وما ذاك الطبيب إلا من تلك التربية، وما القاضي إلا من ذاك المنشأ، ولكن هذه حالات عسر لم تهضم وبقي لنا أن نوجد لها الحل قبل أن تستفحل، ولنقرأ معاً هذا الخبر الذي نشرته جريدة (الأهرام) المصرية ونقلته (المسائية) السعودية[١].

حبس أستاذ جامعي ضبط متلبساً بتقاضي رشوة من طالبة جامعية:

قررت غرفة المشورة بمحكمة جنوب القاهرة تجديد حبس أستاذ جامعي بإحدى الجامعات (٤٥) يوماً أخرى على ذمة التحقيقات، والذي تم ضبطه متلبساً بتقاضي مبلغ (٤٠٠٠) جنيه رشوة من طالبة جامعية مقابل إنجاحها في (٤) مواد رسبت فيها، ووجهت إليه النيابة الاتهام بالرشوة واستغلال النفوذ، صدر القرار برئاسة المستشار (أحمد دبوس) وعضوية القاضيين (أحدم إسماعيل دسوقي) و(طارق الحديني) بحضور (أحمد الجارحي) مدير نيابة جنوب القاهرة، وكان (مجدي غالي) رئيس نيابة عابدين قد تولى التحقيق في واقعة ضبط أستاذ جامعي بجامعة (حلوان) متلبساً بالصوت والصورة بأخذ مبلغ الرشوة مقابل قيامه بمساعدة طالبة في إحدى

الكليات بإنجاحها، وكشفت التحقيقات أن الأستاذ الجامعي أوهم الطالبة بأن مبلغ الرشوة سوف يأخذه زملاؤه في الكلية مقابل إنجاحها في مواد الرسوب، وعندما شكت الطالبة في مصداقية حديثة أبلغت المسؤولين بالرقابة الإدارية، وتم استئذان نيابة أمن الدولة العليا لتسجيل الحوار الذي يدور بينهما وتسليمه المبلغ المالي المتفق عليه بينهما، وألقي القبض عليه متلبساً بأخذ مبلغ الرشوة.

وفي العالم كله هناك حالات وإخفاقات، كأمثلة ازدادت في شكلها، وتنوعت في طرقها من مجتمع إلى آخر، فليست هذه الحالة للأستاذ الجامعي الوحيدة، بل قس على ذلك وأنت تسمع، وتقرأ، وتشاهد، ودعونا نقرأ ما جاء في مقالة للدكتور مصطفى عبدالغني بعنوان (فضيحة أكاديمية[٢]).

حين فتحنا الملف، ملف (فساد الجامعة) وشارك فيه معنا عدد هائل من الأساتذة، جاءنا من يقول إن ما يحدث ليس غير بقع صغيرة من الثوب الكبير، ولأن البقع سوداء فإن تأثيره، هكذا أضاف محدثي، تزيد من تشويه الثوب الناصع، وأن هذه البقع مهما شوهت من الثوب تظل مجرد بقع لا تؤثر في المساحة البيضاء، غير أن الذي يرصد حال الجامعة في السنوات الأخيرة يلاحظ أن هذه البقع السوداء، تلامست، امتدت إلى مساحات أكثر، كادت تتحول هي إلى الثوب لا أن تكون جزء منه، لقد امتد الفساد إلى حياتنا الأكاديمية، حدثت نفسي وأنا أقلب بين يدي هذا الملف الضخم الذي وجدته بين ملفات لم تفض بعد، مليئاً بأوراق رسمية

ووثائق ممهورة وأختام ضخمة، وتأشيرات من جهات عربية وغربية وصرخات من ظالمين ومظلومين معاً، وما يهمني أن أشدد عليه هنا أن هذا الملف لا يعكس، كما نرى ونسمع، سرقة بحث أو كتاب أو جهد علمي وحسب، فكلها محاولات تعودنا عليها، غير أن الجديد هذه المرة هو هذا التكرار المتعمد، وفي الوقت نفسه التكرار في تأكيد أن السرقة ليست غير فعل من الجانب الآخر، إن المتهم العربي، كما سنرى، يؤكد أن الأستاذ الغربي هو المتهم، كيف؟ لنرى نموذجاً آخر يعكس ما آل إليه الثوب الأكاديمي في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين منذ البداية نستطلع العنوان فنقرأ (مذكرة مرفوعة إلى السيد رئيس الجمهورية) ما الأمر؟ نكمل (في شأن المخالفة الجسيمة في ترقية الدكتورة.. الأستاذ المساعد في تخصص اللغة الإنجليزية بجامعة (الأزهر) رغم ثبوت سطوها على بحث أستاذ أجنبي واصطناعها أوراقاً للتدليس على الجامعة كي تجيز الترقية) أمامنا لجنة تقر في مذكرة مرفوعة إلى أعلى مسؤولية بأن البحث منقول من آخر أجنبي في حولية تصدر في (هولندا) وأن صاحب البحث ليس أستاذاً غفلاً، وإنما هو أستاذ مشهور بجامعة (امستردام) وصاحب نظرية سبق نشرها علمياً، الغريب في الأمر أن الباحثة المصرية ادعت أن الأستاذ الهولندي هو السارق، وراحت، بمنطوق اللجنة، تصطنع خطابين من مجلة (دنماركية) توقفت عن الصدور تبلغ فيه أن بحثها قبل للنشر، ولأن الباحثة كانت قد خدعت مجلس الجامعة ومجلس التأديب الذي عقد لهذا بإجراءات استمرت أكثر من عام،

وقد وصل البند الأخير من تعليق اللجنة إلى أن (أخطر ما في الأمر أن حكم مجلس التأديب لم يبرئ الدكتورة من جريمتها فحسب، بل وجه الاتهام إلى العالم الأوروبي بأنه هو الذي سرق البحث وأنه غيَّر الأسماء العربية إلى أسماء أجنبية ليموه سرقته، وأبدت اللجنة خشيتها من أن يتحرك العالم والمجلة الدولية، التي نشر فيها البحث، ليسائلا الأزهر حول هذا الاغتصاب، ورغم ما في هذا من اعتبارات استندت إليها اللجنة، فإن ثمة فصولاً كثيرة يدمى لها الفكر المستنير تعلقت بهذه الفضيحة، وسوف نشير إليها عرضاً على طريقة (الاسترجاع) قبل أن نواصل بقية الفصول المؤلمة لهذه الفضيحة.

كانت الدكتورة المتهمة قد ردت عل كل الاتهامات التي دفعت إليها بردود كثيرة وخطابات جاءت من جهات أجنبية ومجلات صدرت في مناطق أوروبية مما وصل إلى اللجنة الجامعية المنتدبة لترقيتها، وقد أرفق طي ذلك ملحق واستدراك من لجنة علمية (لا نريد ذكر أسماء أصحابها من الأساتذة الكبار) تقول فيها، وأقرأ وأعجب كما شئت أولا تعجب فقد عرفت هذا كثيراً، إن اللجنة العلمية، هكذا بالنص، تبين لها أن بحث الدكتورة موضع الاتهام (منقول بحذافيره من بحث آخر منشور في (حولية العلوم البرجماتية المسجلة الرابع عشر العدد الأول لعام ١٩٩٠م) وقد أشير هنا إلى أن المتقدمة هي التي نقلت البحث وهو ما يعدُّ سرقة صارخة لا ينبغي السكوت عنها، وما انتهى إليه هذا من رفض اللجنة أن توصي بترقيتها.. إلخ، في حين أن الملحق الذي اتهم فيه الباحثة كان بتاريخ

٥/ ١١/ ١٩٩٦م ولم نلبث في بحث قال إن جاء فيه أن المجلس قرر براءة الدكتورة، بشأن المخالفة التي نسبت إليها، وهذه التبرئة كانت بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٩٨م ولا نريد هنا أيضاً ذكر أسماء أصحابها من الأساتذة الكبار، اتهام هناك وبراءة هناك، وأستاذ مصري متهم بسرقة واضحة، يحول أستاذاً جامعياً، هو اسروق، إلى سارق، ثم تأتي اللجنة لتثبت الأمر الأول وتبرئ الباحثة المصرية!! والغريب أن الباحثة المكذورة رغم الاتهامات والشبهات، تتم ترقيتها إلى درجة أستاذ بل تشغل درجة رئيس قسم، أين؟ في جامعة الأزهر! وهنا تحدث تطورات تحول القضية إلى ناحية أخرى.

ووصل الأمر إلى الصحافة فكان لابد، تحت ضغط الرأي العام أن ترسل الكلية إلى الناشر الأجنبي (الذي هو أيضاً اتهم من قبل) إذا كان متأكداً من أن البحث الأجنبي لم يأخذ منهجية أخرى وكيفية التأكد من ذلك (خاصة أن الباحثة المصرية كانت قد اتهمت الكاتب الأجنبي في هذا الوقت بالسرقة منها!) وقد ردت المجلة الأجنبية، فقال الناشر (ونفضل هنا أن ننقل كلماته على هذا النحو): إن مخطوطة البحث، وهو مكتوب بالإنجليزية، وصلتنا في (أدوينس) بالدنمارك في أبريل ١٩٨٨م وقد أرسلنا هذه النسخة إلى المحكمين لتقويمها، ثم أرسلت بعد ذلك إلى الباحث الذي راجعها على ضوء ملاحظات المحكمين، وبعد إتمام المراجعة أرسلت المقالة في شكلها النهائي والموافق عليه إلى الناشرين لنشرها في العدد ١٤ من عام ١٩٩٠م لدورية البراجماتية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت للمقالة حقوق النشر لدينا، وأن ما

تتلقاه من المقالات في هذه الدورية يخضع لإجراءات شديدة من جهة التحكيم يتناسب مع سمعة وتأثير دورية دولية مثل (دورية البراجماتية) وهو ما يجعلنا نتساءل مع كل من عناصر هذه الفضيحة، وهل يمكن أن نصدق بعد ذلك أن الباحثة المصرية أرسلت بحثها قبل الكاتب الأجنبي؟ وهل هناك من يصدق حتى الآن أن بحثها نشر من قبل في دورية أجنبية رغم خطاباتها التي اتضح للجنة أنها غير سليمة بالفعل؟ وهل هناك جهة أخرى غير مجلة الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر ١٩٩٦م نشرت فيها، خاصة أن النشر يترتب عليه الترقية فيما بعد؟ وهل...؟ وقبل أن نستكمل الأسئلة الكثيرة فإن مفاجأة أخرى كانت تنتظرنا أو تنتظرك سيدي القارئ الكريم، فلتتمهل عندها بعذ ذلك.

المفاجأة أنه بعد اهتمام الصحافة بالأمر بادرت رئاسة جامعة الأزهر بإرسال خطاب إلى الأستاذ صاحب البحث الأصلي للتحقق من المرحلة الأخيرة في هذه القضية وسرعان ما جاء رد الباحث الأصلي، الذي نؤثر كذلك، أن نرفق رده الذي (جاء بالإنجليزية)، يقول الباحث الغربي بالحرف الواحد: رداً على الخطاب الذي وصلني من الدكتورة (....) أعلن أنني لم أتقابل قط مع السيدة الدكتورة، ولم أشترك في ندوة بالدنمارك كما أشير في الخطاب، إلا أن مجرد نظرة سريعة إلى كشف بأسماء المشتركين في الندوة يدل على ذلك كل المعلومات التي تتعلق بإثبات أصالة مقالتي (بتوثيق مقالتي) يمكن الاستدلال عليها من الصفحة الأولى من المقالة فهي تحدد:

أولاً: أن دورية البرجماتية تلقت أصل المقال ١٩٨٨م.

ثانياً: أن المقالة نفسها عبارة عن نسخة إنجليزية، بعد المراجعة، لبحث آخر كتبته بالأسبانية وكان قد ظهر عام ١٩٨٥م.

تنتهي الرسالة التي تفاجئنا فقد كنا في داخلنا، حتى الآن نتمنى أن يصل الأمر بباحث مصري إلى السطو على عالم أجنبي لما في ذلك من معانٍ مخزية أليمة، خاصة أن نص الرسالة بلغتها وتوقيع الباحث الأجنبي تؤكد هذا، كما أن كل الأوراق والأبحاث بالعربية والإنجليزية تحت أيدينا لمن يريد الاستزادة، لا التأكد، وهو ما يعود بنا إلى الأسئلة التي طرحناها آنفاً، أو فلنقل بعض الأسئلة التي تضيف مساحات شاسعة إلى الثوب الأبيض حتى ليصعب أن نعثر على مساحة بيضاء لولا إيماننا بالأستاذ المصري.

إن الأسئلة تتعدد ولا تتحدد عند براءة حياتنا الأكاديمية بأي حال أننا أمام أسئلة دامية كثيرة منها:

كيف تأتي لهذه الباحثة أن تقوم بكل هذه المخالفات بما فيها النقل الحرفي؟. وكيف انتهى الأمر في إحدى المراحل أن يقرر المجلس أن يقوم بتبرئتها بعد توجيه الاتهام لها؟. وما سر الإغفال الذي كاد يكون معتمداً لتقرير اللجنة العلمية الدائمة المكلفة بالتخصص للكشف عن نقل البحث من العالم الأجنبي؟. وكيف تسنى لمجلس التأديب أن يبرئ الباحثة، في حين راح يوجه الاتهام إلى العالم اللُّغوي الغربي.. إلخ؟. ولا تنتهي الأسئلة إلا لتبدأ الدهشة وهي تجرنا إلى أسئلة أخرى أهمها: ألم يحن الأوان لتنقية الثوب الأبيض الجامعي من مثل هذه البقع السوداء.

«سوبر» .. دكتور!!

.. وصلني «منشور» موقع بـ«مجموعة أعضاء هيئة التدريس – كلية الآداب – جامعة الكويت» ومؤرخ في نوفمبر ١٩٩٩م، ويوجه العديد من الانتقادات والاتهامات إلى أحد أساتذة الجامعة الكويتيين، المعلومات الواردة فيه طريفة جداً وتستحق النشر! يقول «المنشور»: إن الدكتور «........» رقى نفسه عندما كان رئيساً لقسم «..........» إلى درجة أستاذ مساعد قبل أكثر من عشرين عاماً، ثم كرر هذا التجاوز عندما أصبح عميداً للكلية ليرقي نفسه إلى درجة «أستاذ» بعشرة أبحاث كتبها لها دكاترة من جنسيات عربية هم الدكتورة «...........» والدكتور «......» ثم نشرت له زوجته – الدكتورة أيضاً – في مجلة علمية، وأقال أحد الأساتذة العرب من منصبه لأنه اعترض على «ترقية نفسه»، ثم قام بتعيين أستاذ آخر مكانه بعد أن رقاه إلى درجة «أستاذ مساعد»!! ثم.. يمضي المنشور في نشر طرائف هذا الدكتور الكويتي و«عمايله» فيقول إنه خريج إحدى الجامعات البريطانية، ومع ذلك، فهو لم يكتب بحثاً واحداً باللغة.. الإنجليزية، كما أنه لم يكتب – في تخصصه – أي بحث على الإطلاق، وفوق ذلك كله، فقد كان مطلعاً على كسل إجراءات ترقيته التي جرى العرف على أن تكون... سرية! يختتم المنشور سطوره بالطلب من مديرة الجامعة الدكتورة «فايزة الخرافي» بالتدخل وتحمل كافة المسؤولية العلمية والإدارية والأدبية للحفاظ على مسؤولية هذا الصرح الأكاديمي العريق، ويطالب باستصدار

قانون يمنع عمداء الكليات وكبار قيادي الجامعة من الترقية العلمية وهم في مناصبهم... تلك !! بالنسبة لي، فهذه الأمور «عادية جداً» واعتدت على متابعتها بشكل روتيني لا يمكن أن يحدث إلا في دولة كالكويت، فقبل حوالي خمس عشرة سنة، حصل ثلاثة كويتيين على شهادات دكتوراه – «أعرفهم شخصياً ويحتلون مراكز مهمة حالياً – من الولايات المتحدة دون أن تتكحل عيونهم برؤية جامعاتهم التي حصلوا منها على شهاداتهم العالية، فأحدهم كان يقيم في ولاية «ميريلاند»، وحصل على الدكتوراه – بالمراسلة – من جامعة تبعد عن شقته – فقط – ثلاثة آلاف ميل تقطعها الطائرة البوينغ في أربع ساعات، ونظراً لعدم وجود طائرة خاصة لديه تربض في مواقف السيارات أمام العمارة التي يسكنها، فمن المستحيل عليه أن يذهب بالسيارة إلى جامعته هذه – ولو مرة واحدة – في الأسبوع لعدم إمكانية ذلك.. عقلا!! ثم إن لغته الإنجليزية – وبعد خمس سنوات من الإقامة في الولايات المتحدة – من نوع ،، "I'am does"، و .."You is" ، و "Me are" وبمعنى آخر.. اللغة الإنجليزية التي كان يتحدثها الفنان «عبدالحسين عبدالرضا» في مسرحية.. «باي، باي، ... لندن»!!

هذه الواقعة ليست هي الأولى ولم تكن في مصر وحدها، بل انتشرت في العالم العربي، فهناك من يسرق بحوث الغير وينسبها لنفسه، أو يكتبها للآخرين أو يبيعها للطلبة والأساتذة، وهناك من يتعامل مع سرقة جهود الآخرين بالتحريف في دراساتهم وبيعها للطلبة في مقابل مادي، وهناك من

يضحك على بعض ذوي السلطة من الرؤساء والمدراء والعمداء والوكلاء، بعلم بعض الدراسات والبحوث ونشرها مقابل الوظيفة، وهناك من تكتب له الملاحظات عن بعض الرسائل عن طريق مرؤوسيه ويقوم هو بتقديمها عند المناقشة، وغيرها من الملاحظات التي لو أردنا العمل بمقتضى نشر الفضائح في الصحافة الصفراء لأصدرنا عشرات الكتب والمؤلفات المدعمة بالأدلة والبراهين، ولدينا إثبات هذا، إلا أننا لا نريد أن نزيد الناشئة القادمة سلوكاً خاطئاً وتعليماً يزيد من سوء تفكيرها، وفي هذا الخبر نطالع ما يلي:

المغرب: تأديب ٣٠ قاضياً بسبب مخالفات مهنية وأخلاقية:

أعلن (عمر عزيمان) وزير العدل المغربي أن المجلس الأعلى للقضاء اتخذ إجراءات تأديبية في حق (٣٠) قاضياً تم فصل تسعة منهم، كما برأ ذمة (٢٠) قاضياً، وقال (عزيمان) في مؤتمر صحفي عقده في (الرباط) إن هذه الإجراءات تراوحت بين العزل والإقصاء المؤقت والإنذار وخفض الرواتب اتخذت بسبب مخالفات مهنية وأخلاقية ارتكبها بعض القضاة، مثل تورطهم في حالات الارتشاء والتلاعب بأموال القاصرين وقيامهم بتصرفات وسلوكيات تمس بشرف القاضي وكرامته، وأوضح (عزيمان) أن هذه الإجراءات تهدف إلى ضمان استقلالية القضاء ومصداقيته إزاء المواطنين، وفي مؤازاة ذلك، أعلن (عزيمان) عن ترقية (١٦٥) قاضياً من أصل (٩٩٩) قاضياً مؤهلين للترقية إلى مراتب أعلى، كما تم تعيين (١٠٣) قضاة

في مسؤوليات مختلفة بالجهاز القضائي، ثلثهم يتولون مسؤوليات للمرة الأولى[٣].

ولعل ما ينطبق على المعلم وأستاذ الجامعة أيضاً يمكن أن يكون للقاضي الذي يفترض أن يُعدُّ مثالاً واقعياً للأمانة، والفصل بين الناس في خصوماتهم بالحق، لا بالرشوة وبمن يقدم أكثر، وقد أحسنت السلطات في المغرب عندما تناولت الموضوع بالتأديب والإعلان والتشهير بمن أساء إلى عنوان القضاء الذي ينبغي أن يتنزه عن كل الصفات السيئة، وكم نتمنى أن نسمع ونقرأ عن اتخاذ مثل هذه العقوبات في جميع الدول العربية، حتى لا تضيع هيئة العدالة وتسقط.

ثانياً: هل هي أمراض جديدة:

يتوقع الأمريكيون أن تشهد الولايات المتحدة انتخاب أول رئيس أسود لها في القرن الحادي والعشرين وأن تدخل حرباً كاملة مع دولة في الشرق الأوسط، وأن يتحسن مستوى الصحة ويعيش الكثير من الناس فوق المائة عام، ولكن في مقابل هذا التفاؤل فإن الكثيرين منهم يتوقعون تدمير الحضارة البشرية سواء بحرب نووية أو باصطدام نيزك أو جسم فضائي بالأرض، جاء ذلك في استطلاع أجرته صحيفة (يو. أس. إيه. توداي) الأمريكية حول توقعات الأمريكيين عن القرن الحادي والعشرين بالنسبة لمستويات المعيشة والأخلاق والجريمة والعلاقات الدولية، وتوقع ٥١٪ من

الأمريكيين أن تدخل الولايات المتحدة حرباً كاملة بحلول عام ٢٠٢٥ م ويتوقع ١٨٪ أن يكون ذلك في منطقة الشرق الأوسط، و١٧٪ مع الصين، و١٧٪ مع العراق، و١٠٪ مع روسيا، و٦٪ مع إيران، و٤٪ مع دول عربية، كما يتوقع ٧٠٪ من الأمريكيين أن يصبح تهديد الإرهاب أسوأ، وأبدى ٥٣٪ من عينة الاستطلاع تفاؤلاً بتحسن مستويات معيشة الأمريكي العادي في العام ٢٠٢٥م، إلا أن الأغلبية ترى أن الصعوبات ستزداد في تنشئة الأطفال، وفي تحمل تكاليف الرعاية الصحية والعثور والاحتفاظ بوظيفة جيدة، وقال ٦٩٪ إن الحياة ستصبح أفضل للأثرياء، بينما توقع ٥٩٪ أن يزداد الوضع سوءً للفقراء، ويتوقع ثلاثة من كل أربعة ظهور أمراض جديدة قاتلة بحلول عام ٢٠٢٥م، وإن كانت الأغلبية تتوقع إيجاد علاج لمرض (الأيدز)، ويتوقع اثنان من كل ٣ أمريكيين كارثة بيئية عالمية، بينما يرى ٥١٪ أن العالم قد يدمر في حرب نووية، بينما يقول ٣٨٪ إن الأرض قد تدمر في اصطدام جرم فضائي بها، ويتوقع واحد من كل أربعة أمريكيين بانه سيكون هناك اتصال بين البشر وسكان من كواكب أخرى بحلول عام ٢٠٢٥م ويتوقع ٧٨٪ أن تكون مخلوقات الكواكب الأخرى صديقة وليست عدائية، وتتباين مواقف الأمريكيين في هذا الاستطلاع الذي شمل ١٠٥٥ من البالغين حسب مناطقهم وأعمارهم فالذين تقل أعمارهم عن ٣٥ عاماً وتزيد عن ٦٤ عاماً أكثر تفاؤلاً من الذين في منتصف العمر، والمتشائمون بشكل عام والذين تصل نسبتهم إلى ٣٠٪ يرون مشاكل في

كل جبهة بدءاً من انهيار القيم إلى ازدياد النزاعات مع دول أخرى، ويتوقع ٦٦٪ من الأمريكيين أن تتحسن العلاقة الأثنية وإن كان ذلك يقل بين السود إلى ٦٠٪، في حين يتوقع ٣٣٪ من الأمريكيين أن السود سيصبحون الأغلبية في الولايات المتحدة، كما تنبأ التسوق أيضاً من المنزل، و٤٣٪ يتكهنون بأن المجتمعات التجارية ستلغيها شبكة الإنترنت(٤). وكثيراً ما كانت التوقعات هي مجرد توقعات، إلا أن الحقيقة تظهر بأن هناك بوادر في ظهور أمراض أخرى، كما حدث وظهر مرض الإيدز، ولكن أن تقوم باستطلاع عن طريق الباحثين والمتخصصين والمنجمين فلربما قدم لنا هذا الجانب صورة مغايرة لأمراض أخرى فعلية، ورغم ذلك نرجو أن لا تؤثر هذه الأمراض في مبادئنا وسلوكياتنا، يقول الأستاذ خالد القشطيني الكاتب والصحفي المعروف(٥).

« يظهر أن العلماء والأطباء لم يكتفوا بالسيطرة على أجسامنا وحياتنا وبيئتنا، بل أخذوا يسعون للسيطرة على عواطفنا وأفكارنا أيضاً، هذا موضوع خطير له أبعاده الاجتماعية والسياسية الرهيبة، هل سيأتي يوم تستطيع فيه الزوجة، بدلاً من الذهاب إلى الساحر للحصول على تعويذة تدسها تحت وسادة زوجها ليحبها تذهب بدلاً من ذلك إلى الدكتور فيعطيها حبة تضعها له في قهوته ليهيم في حبها، هل سيأتي يوم يقدم فيه حاكم مستبد على ضخ مادة في مياه الشرب ليجعل الناس يصدقون كلامه ووعوده؟ لقد انتجوا لنا قبل بضعة أشهر حبوب الفياغرا لتعطي العينين والفاترين جنسياً القدرة والرغبة الجنسية التي قلبت حياة كثير من الرجال

وكثير من العوائل إلى ما هو أحسن أحياناً وإلى ما هو أسوأ أحياناً أخرى، وبالطبع تركت الحكومات وشركات التأمين في حيرة أمام الفواتير الباهظة، بعد أشهر قليلة أعلنوا عن تسويق حبوب جديدة هي حبوب (الاكسنكال) لمعالجة السمنة ومنعها، ماذا سيكون أثر ذلك على العلاقات الزوجية، الأحوال النفسية والاجتماعية لكثير من الأفراد؟ أهم من هذا، ما هي الآثار الاقتصادية على توفر المواد الغذائية إذا أصبح بإمكان الناس أن يأكلوا ويأكلوا دون أن يواجهوا مشكلة السمنة؟ وفي هذه الأثناء توالت التقارير عن شتى المركبات الجديدة التي تجرى تجربتها لغرض زيادة الشهوة الجنسية عند المرأة، دأب الناس في أفريقيا لقرون طويلة على ختان النساء للحد من ذلك، ها هم العلماء الآن يحاولون قلب المعادلة والسير بالمرأة في اتجاه معاكس على اعتبار أن كل هذه المغريات المتوافرة في الأسواق ووسائل الإعلام غير كافية، ولكن خطرت للعلماء خاطرة أخرى، ما الفائدة من زيادة شهوة المرأة إذا كانت المرأة خجولة وتستحي؟ انطلقوا بهمة وعزم فأعلنوا في الأسبوع الماضي عن عقار جديد يزيل الخجل والحياء لا من نفسها فقط بل من نفس قرينها أيضاً، العقار الجديد المسوق باسم (السروكسات) مشتق من مادة (الباروكستين) التي تعمل على زيادة كمية (السيروترين) في الدماغ، ومن شأن هذه المادة أن تقوي الثقة بالنفس، وما نسميه بالشجاعة الأدبية، وإذا شئت فأضف وقل الشجاعة غير الأدبية أيضاً، يؤدي ذلك إلى إزالة مشاعر الخجل والقلق والتردد، أو كما تقول وزارة الصحة البريطانية التي أجازت العقار بأنه يؤدي

إلى معالجة (اختلال الهلع الفوبيا الاجتماعي والقلق الاجتماعي)، هذا موضوع يجرنا إلى نقطة خطيرة في تاريخ الإنسان، وهي العلاقة بين فزيولوجيا الإنسان (أي جسمه) وعواطفه وتفكيره، لقد دأب المفكرون عبر القرون على النظر إلى العواطف والأفكار في إطار الدين والفلسفة والبيئة، بيد أن العالمين (وليم جيمس) و(سي لانغ) نشرا في ١٨٨٤، ١٨٨٥م دراسات أكدت على العلاقة بين الجسم وبين المشاعر والأفكار، تابع العلماء هذا الاتجاه التجريبي الذي كشف لنا الآن أن الكثير من أحوالنا النفسية والعقلية يرتبط بمواد عضوية موجودة في جسم الإنسان، تتحكم حسب كمياتها ونوعياتها بتفكيرنا ومشاعرنا، جر ذلك الكيميائيين والصيدلانيين إلى محاولة الحصول على عقاقير تؤثر في هذه المواد، ومن ثمَّ في تفكيرنا ونفسيتنا، الواقع أنه ليس من جديد في ذلك، فأثر الخمرة على السلوك والتفكير شيء معروف منذ آلاف السنين، وورد ذكره في العهد القديم وأساطير الإغريق وبابل، واستعمل سكان الشرق الأوسط بعض أنواع الكمأة في تخدير العقول ضمن الطقوس الدينية الوثنية، وفي القرون الوسطى استعملت فئة الحشاشين (الحشيشة) في تخدير بعض أفرادها لحملهم على القيام بأعمال إرهابية، ولمعظم شعوب العالم أساليبها التقليدية في استعمال بعض النباتات أو المركبات في التأثير على المزاج والحالة النفسية، حدث الانقلاب الخطير في عام ١٨٠٦م عندما اكتشف (سرتورنر) مادة (المورفين) التي خرجت منها مشتقات كثيرة منها (الهيروين) واستعملت طبياً في قتل

الألم، وظهرت لها آثارها الجانبية في التأثير على المزاج والنفسية، ثم جاء الانقلاب الثاني بعد الحرب العالمية الثانية في اكتشاف مضادات الكآبة، التي أوضحت بصورة جلية العلاقة بين التفكير والمشاعر من ناحية، والمركبات الكيماوية من ناحية أخرى، وأدت في الأخير إلى نسف ذلك الصرح الذي بناه (فرويد، يونغ) ومدرسة التحليل النفسي عموماً في تفسير سلوك الإنسان في إطار فلسفي وربطه كلياً بغرائز وتجارب الإنسان وطفولته، يجري التركيز حالياً على اصطياد العناصر الفزيولوجية الموجودة والمتدفقة في دماغ الإنسان وأعصابه وجسمه عموماً لتفسير الظواهر المرضية وغير المرضية، العقلية منها والنفسية والعاطفية التي تجتاح الفرد، يترتب على ذلك السعي لاكتشاف المركبات التي تستطيع أن تؤثر على تلك العناصر الفزيولوجية، ومن ثمَّ انقاذ الإنسان من علله النفسية والعقلية ونواقصه العاطفية والذهنية.

الباروكستين مركب من هذه المركبات الكيماوية المصممة للقضاء على مشكلة الخجل، ربما يلوح للقارئ أن هذه مشكلة ثانوية تافهة يقابلها بالضحك والدعابة، كلا، وأقول (كلا) من زاوية واحدة عاش مشكلة الخجل وعرف أهوالها في طفولته، إنها تكثر في سني الطفولة والصبا والشباب حتى العشرين من العمر تقريباً، ولهذا فهي خطيرة في صياغة مستقبل الإنسان، كثيراً ما أدت بالبعض إلى الهروب من المدرسة والدراسة، ومنعت الكثير من الأذكياء من الاستفادة من ذكائهم والإفادة به، غالباً ما أدى الخجل بأصحابه إلى الوقوع مستقبلاً في علل نفسية خطيرة كالقلق

والأرق والفأفأة والكآبة وشتى أنواع (الفوبيا) وعلل جسمية أيضاً كالربو والقرحة والرعشة، وكثيراً ما أدى بهم إلى عدم الاستفادة من مواهبهم الفنية (المسرحية والموسيقية مثلاً بسبب ما يسمى بخوف المسرح (أي خوف الظهور أمام الجمهور) بالإضافة إلى الشبيبة، تعدُّ المرأة ضحية أخرى لمشكلة الخجل، وأعتقد أن هذا كان وما زال سبباً مهماً من أسباب تأخرها عن الرجل، فهي لا تستطيع أن تجاريه في تسنم منصات الخاطبة ومخاطبة الجمهور وطرق الأبواب ومحاججة المسؤولين وفرض نفسها على الآخرين ومكالمتهم بلغة الرجال ببذائتها ووقاحتها، لا تستطيع أن تتدافع مع المتدافعين حتى في ركوب الحافلة، لنا في (العراق) مثل ظريف يقول بما معناه: أن ثلثي الساقطات سقطن بسبب خجلهن.

استشف من وراء ذلك الحوافز التي دفعت بالعلماء إلى تطوير عقار (الباروكستين) إنه سلاح آخر يحتاج إليه أي إنسان في ظل العالم الرأسمالي التنافسي، ولا سيما في مرحلته الراهنة القائمة على فنون العلاقات العامة والإعلان والإعلام والتسويق، كثيراً ما أصبح مستقبل المرء متوقفاً لا على مؤهلاته أو معلوماته، وإنما على أدائه في المقابلة والتعامل مع رؤسائه وعملائه بثقة وقوة شخصية، لم يعد عالم السياسة عالم مكملاً ذلك الرجل الأديب الرزين العليم، وإنما عالم (كلنتون) عالم الرجل الغارق بالمخازي والمهدد بالطرد، ومع ذلك يقف أمام الكاميرات وكأن أي شيء لم يحدث له أو يعكر صفوه، إنه عالم القائد الذي يجر شعبه إلى سلسلة من الهزائم والمآسي والذل

والجوع، ويظهر على التلفزيون ضاحكاً باشاً وكأن شيئاً لم يحدث له ولبلاده.

لا مكان للخجول في عالمنا هذا، ومن وجد في نفسه أو في أولاده الخجل والحياء فما عليه الآن غير أن يصفق لهذا الفتح الجديد في دنيا العقاقير والعلاج، وقبل كل شيء عليه أن لا يخجل من مطالبة طبيبه بأقراص الخجل، فالأرقام تقول إن ٥٪ من الشعب البريطاني يعانون من مشكلة الخجل، وهي نسبة قليلة في رأيي عندما نتذكر كل ما فعلوه وينبغي أن يخجلوا منه.

والآن ماذا في جعبة العلماء؟ هل سيتوصلون إلى حبوب تصون الزعماء والساسة من الكذب؟ حبوب تمنع الأزواج من الخيانات الزوجية؟ حبوب تمنع الزوجة من الهذرفة طوال النهار؟ حبوب تقضي على رغبة الموظف في الرشوة، والمحاسب في الاختلاس؟ أما وقد وجدوا الطريق إلى دماغ الإنسان فقد وضعوا الإنسان الآن أمام عالم جديد حقاً.!.

وكأن الأستاذ (القشطيني) فيما سطره هنا بسخرية، أراد أن يجمع بين بعض التشويه المعروف في المظاهر الحياتية للبعض، وقلة إدراك بعض الأطباء والعلماء للمعالجة المطلوبة، فالعادات السيئة لم تظهر قديماً وحسب، بل هناك عادات جديدة، ولكنها سيئة أيضاً، إذاً من يتحمل هذا الوضع؟ ولمن أعدت هذه الرسالة؟ ومن يستطيع أن يغير إلى الصحيح؟ هل هو المعلم؟ أم

الطبيب؟ أم القائد؟ أم من في هذه الأسرة؟ إن الأسرة من مسؤولياتها الإعداد الجيد للطفل ومن بعده لا نحتاج إلى حبوب للخجل أو غيره، فقد غابت بعض القيم من ذوي القمم، أي الذين يتربعون على القمة، علماً وعلاجاً، وورثة للحق والفضيلة.

ثالثاً: وصايا من التاريخ:

وأستطيع أن أختم هذا الفصل بكلمات خالدة كتبها المؤرخ والعلامة (أحمد بن فضل الله القرشي العمري) في معرفة الممالك والأمصار والأحوال من قبل أكثر من سبعة قرون وهي صالحة لكل زمان ومكان[٦] يقول هنا: على البيب أن يتعرف حقيقة المرض أولاً بأسبابه وعلاماته، ويستقصي أعراض المريض قبل مداواته، ثم عليه أن ينظر إلى السن والفصل والبلد، فإذا عرف حقيقة المرض وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض، يشرع في تخفيف الحاصل، وقطع الواصل، مع حفظ القوى، عليه أن لا يهاجم الداء، ولا يستغرب الدواء، ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها، ولا يبعد الشبه، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن الإصابة، حتى يقوي لديه الظن ويتبصر فيه برأي أمثاله، وليتجنب الدواء ما أمكنه المعالجة بالغذاء.

ولينأ عن المركب ما أمكنه المعالجة بالمفرد وإياه والقياس إلا ما صح بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه، وما عرض له، وسنه وفصله وبلده ودرجة الدواء.

وليحذر التجربة فإنها خطر، ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلة نظر إلى ما فيه المنافاة وإن قلت، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات في الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه، عليه ألا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء، حتى يحقق حقيقته، ويعرف جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل.

ليعلم أن الإنسان هو بنية الله وملعون من هدمها، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها، وقد سلم الأرواح وهي وديعة الله في هذه الأجسام فليحفظها ويتقي الله.

وكأنه رحمه الله أراد بالإشارة إلى الطبيب، كما هو المعلم، كما هو القاضي، وغيرهم من المسؤولين بأن تكون لهم ذمة، وأن يعرفوا الضمير ويعالجوا الذات قبل أن يرهقوا الناس بوعظهم الفاسد وعلاجهم المأسوف.

الهوامش والمراجع (الفصل السابع):

١- المسائية. الرياض (٥٠٢٨) ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٨م ٨ / ٦ / ١٤١٩هـ ١٨ ص ١٥ .

٢- مصطفى عبدالغني. فضيحة أكاديمية، الأهرام، القاهرة، ٢٧ / ٧ / ١٩٩٨م ٤ / ٤ / ١٤١٩هـ ص٢٧ .

٣- الشرق الأوسط. لندن، (٧٢٥٤) ٨ / ١٠ / ١٩٩٨م ٢٠ / ٦ / ١٤١٩هـ ص٢ .

٤- الشرق الأوسط. لندن (٧٢٦١) ١٥ / ١٠ / ١٩٩٨م ٢٥ / ٦ / ١٤١٩هـ ص٢ .

٥- خالد القشطيني. وقلوبنا وعقولنا بيد الطبيب، الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٦١) ١٥ / ١٠ / ١٩٩٨م ٢٥ / ٦ / ١٤١٩هـ ص٩ .

٦- أحمد بن فضل الله القرشي العمري. وصايا إلى الأطباء، الجديدة، لندن ١٤ / ١٠ / ١٩٩٨م ٢٤ / ٦ / ١٤١٩هـ ص ٦٤ .

الفصل الثامن

التقدم والتخلف!

أولاً: معايير من الذي يحددها؟.

ثانياً: تجارة السلاح تكسب..!.

ثالثاً: صور من السلوك!.

التقدم والتخلف!!

جميل أمر هذه الأمة عندما تتعرف على المرض فتقوم بالعلاج، وعندما يغمرها الفسق والفساد تتجه إلى الإصلاح، فهناك أدوات مساعدة، وهناك أداة للتفكير الذي لو استعمل في مكانه لكان للإنسان أن يتقدم، وأن يحصل على مراده، إلا أننا نلاحظ أنه في كل مجتمع سلوكيات قد تكون خاطئة وقد تكون حسنة وتختلف من مجتمع إلى آخر.

إن قراءة ما يدور من أمراض في مجتمع ما، لا تحتاج إلى إحصائيات عن أعداد المرضى أوالموتى بقدر ما تحتاج إلى علاج صحي وسليم كذلك الفقر، والتعليم، والثروات، والإنتاج، واستخدامات التكنولوجيا المتطورة، كلها تحتاج إلى فكر يعبر عن مدى سلامة الموقف، ولكل عامل سبب، تقول الدكتورة (اليزابيت فلورز) الباحثة المتخصصة في الدراسات الإنسانية بجامعة (مينسوتا الأمريكية).

كثيراً ما نأكل ولكننا قليلاً ما نفكر أن سوء الغذاء يعطينا سوء في العمل، ومن السوء أن نتعلم كيف نقاوم[1] وكان (فلاورز) في جملتها الأخيرة أراد أن توقظ المجتمع مما يعانيه بأن يعمل على المقاومة وإصلاح وضعه، ولكن إذا ما علمنا أن عدد سكان العالم في عام ٢٠٥٠م سوف يصل إلي (١٠) مليار نسمة في العالم، فهل تزداد المشاكل وتتفاقم المخاطر وتصبح الأمراض أكثر انتشاراً من وجود حل لعلاجها، والفقر أكثر خصوبة مما نعاني،

يقول الخبر الذي نشرته الشرق الأوسط في عددها (٧٢٦٨) في ٢٢/١٠/١٩٩٨م.

«أكد صندوق الأمم المتحدة للسكان في تقريره لعام ١٩٩٤م أن تحسين مصير ملايين النساء في الدول النامية خاصة إعطائهن إمكانية تحديد عدد أبنائهن أصبح اليوم مسؤولية عالمية، في مواجهة اتساع دائرة التخلف والنمو السكاني في العالم، وعرض التقرير الذي صدر قبل ثلاثة أسابيع من مؤتمر القاهرة حول السكان والتنمية، المخاطر الرئيسية لاستمرار التخلف وزيادة عدد سكان العالم بطريقة لا يمكن السيطرة عليها، ويبلغ عدد سكان الكرة الأرضية اليوم (٥,٦) مليار نسمة يزداد عددهم ٩٤ مليون نسمة سنوياً، أي ما يعادل سكان المكسيك وبعد أن تضاعف عدد سكان العالم منذ ١٩٥٠م يبلغ (٨,٥) مليار نسمة في ٢٠٢٥م وعشرة مليارات في ٢٠٥٠م، ويقدر الخبراء إن حالة حمل واحدة في كل خمس حالات غير مرغوب فيها في العالم، وأن هناك ما لا يقل عن ١٢٠ مليون امرأة في الدول النامية يحاولن تجنب الحمل، وفي كل عام تموت ٥٠٠ ألف امرأة بسبب أمراض مرتبطة بالحمل والإجهاض، ومازال الإجهاض سبباً رئيسياً للوفاة؛ لأن معظم هذه الحالات التي يبلغ عددها خمسين مليون حالة سنوياً في العالم تمارس سراً»(١).

أولاً: معايير.. من الذي يحددها؟!

يذكر الدكتور محمد المهنا (٢) بأن معايير التقدم والتخلف تختف من

عصر لآخر، وذلك حسب ما هو متوافر من موارد وآليات حديثة في كل فترة مما يجعل ما هو مقياس للتقدم منذ قرن مضى شكلاً من أشكال التخلف في عصرنا هذا.

وقد حددً صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) عدداً من معايير التخلف التي تعطي مؤشراً لتقييم وضع دول العالم ومكانتها من حقيقة التقدم أو التخلف، وتقول دراسة (اليونيسيف) بأن مليون طفل في العالم يموتون كل عام بسبب الحصبة ومليونين بسبب الجفاف (نقص السوائل في الجيم) و٤٠٠ ألف بسبب السعال الديكي، و٤٠٠٠ بسبب الدفتريا، و١٤٠ ألفاً بسبب شلل الأطفال، كما يفقد ٢٥٠ ألفاً بصرهم بسبب نقص فيتامين (أ) هذا في الوقت الذي تتوافر فيه وسائل العناية الصحية لكافة سكان الدول الغنية تقريباً، بينما تصل النسبة إلى ٤٥٪ في بنجلاديش، ٤١٪ في الكاميرون، ٣٩٪ في ليبيريا، بينما تصل النسبة في سوريا إلى ٨٣٪، وتصل نسبة وفيات الأطفال دون السنة الواحدة بين (٨,٦) في الألف في أوروبا كلها، بينما تقترب من (٥٠) في الألف في أمريكا اللاتينية (البرازيل، بيرو، جواتيمالا، نيكاراجوا) وتتجاوز (٦٠) في الألف في عدد من دول آسيا، ٧١ في الألف بأندونيسيا، و٨٣ في الألف في الهند، ٩٥ في الألف بباكستان، و٩٧ في الألف ببنجلاديش، وتصل النسبة إلى ١٠٠ في الألف في أفريقيا، ١٠٠ في الألف في الجابون، ١٢٣ بالألف في تشاد، ١٤٤ بالألف في سيراليون، ١٩١ بالألف في النيجر.

وعليه فإن متوسط العمر حسب دراسة اليونيسيف يكون أكثر من ٧٥ عاماً في أوروبا ويصل بين (٧٢،٦٥) عاماً في الصين وكولومبيا ورومانيا وفيتنام ومصر وأندونيسيا والفلبين، وبين (٦٠،٥٠) عاماً في هاييتي ونيجيريا ومدغشقر، وفي الصومال وتشاد يصل متوسط العمر إلى ٤٧ عاماً، وفي أفغانستان وغينيا بيسا وإلى ٤٣ عاماً، ويوضح انخفاض متوسط العمر مدى الفقر الشديد سواء في مستويات الرعاية الصحية أو المرافق التي تخدم صحة الإنسان كالمياه والصرف الصحي وذلك في الدول الأكثر فقراً في العالم أو المنكوبة بالحروب والصراعات القبلية أو العرقية، وتشير دراسة اليونيسيف إلى أن المياه الصحية السليمة يحصل عليها من ٨٩ إلى ١٠٠٪ من سكان الدول الغنية، بينما يحصل عليها ٧٥٪ من الأورغواي، ٧٢٪ في الصين ٤٧٪ في السلفادور ٣٣٪ في أوغندا ٢٥٪ في أثيوبيا، كما تؤكد دراسة اليونيسيف أن ١٩٠ مليون طفل دون سن الخامسة يعانون من سوء التغذية المزمن وفي البلدان الغنية تصل نسبة السعرات الحرارية التي يحصل عليها الشخص يومياً بين ١٢٥ و ١٤٠٪ من حاجته الحقيقية في حين تنخفض هذه النسبة إلى ٨٩٪ في كينيا ٧٧٪ في موزمبيق ٧٣٪ في تشاد ٧٢٪ في أفغانستان، وفي كولومبيا ولبنان يكون وزن ١٠٪ من الأطفال عند الولادة أقل من الوزن الطبيعي، وتصل النسبة إلى ٢٠٪ في توغو ومالاوي، في حين تصل إلى ٥٪ في فرنسا، ويصل نصيب الفرد من الناتج الوطني في أمريكا وكندا وفرنسا إلى ٢٠ ألف دولار سنوياً، وفي إيران إلى ألفي دولار وفي بيروا والسلفادور والأكوادور إلى ألف دولار، وينخفض إلى ٦٠٠ دولار في ساحل

العاج وليسوتو ٢٥٠ دولار في بوروندي ورواندا ومالاوي، أما المتعلمون من البالغين فتصل نسبتهم إلى ٥٥٪ في غواتيمالا والتوجو ٤٨٪ في مصر والهند ٣٢٪ في مالي ٣٨٪ في النيجر ٢١٪ في سيراليون مقابل ٩٠٪ إلى ١٠٠٪ في الدول الصناعية الكبرى.

وهكذا توضح تلك النسب مدى التباين الشديد بين مستويات التقدم والتخلف في الدول المتقدمة والدول المتخلفة أو النامية، حيث يتضح ارتفاع متوسطات الدخول والعمر والتعليم في الدول الصناعية، وانهيار تلك المتوسطات في الدول النامية، مما يوضح الاستخدام السيئ للموارد وعدم الاعتناء الكافي باستغلال الطاقات البشرية وبالمواءمة بين الإمكانات البشرية والطبيعية ليظهر الاستغلال الجيد للثروة الذي ينقل بلداً ما من ور التخلف إلى التحضر والتقدم.

إن النسب التي قرأناها فيما تقدم تعكس العديد من الحالات التي تحتاج إلى توازن وأحداث، وتجنب، لذلك يقول الدكتور (أمارتيا سين) أستاذ الاقتصاد في كلية (ترينتي) بجامعة (كامبريدج) في إنجلترا والحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد لعام ١٩٩٨م: يمكن للعالم تجنب الكوارث الاقتصادية مثل المجاعات بطريقة أكثر سهولة إذا ما توافرت ومورست حريات متعددة وحقوق سياسية بما فيها حرية التعبير.

من المثير حقاً أن واحدة من الحقائق البينة في تاريخ المجاعة الرهيب تقول إنه لم يحدث جفاف حقيقي في بلد لديه نوع من الحكومات الديمقراطية

وحد معقول من الصحافة الحرة، فقد حدثت المجاعات في الدويلات القديمة والمجتمعات المعاصرة ذات الأنظمة الاستبدادية، كما حدثت في المجتمعات البدائية، وفي الدول الدكتاتورية، إضافة إلى الدول المستعمرة التي حكمتها الإمبريالية القادمة من الشمال، كما أنها حدثت أيضاً في في دول الجنوب المستقلة حديثاً والتي يدير شؤونها زعماء وطنيون مستدبون أو أحزاب فردية لا تحتمل.

المجاعات لم تضرب قط أي بلد مستقل، يشهد انتخابات دورية وبه معارضة تتولى دائماً نقد الحكومة، ويسمح للصحف بالعمل بحرية وبأن تتعقب أنشطة الحكومة دون أن تتعرض للرقابة الشاملة، ويمكن استعراض العلاقة بين الحقوق السياسية، والحاجات الاقتصادية من خلال السياق المحدد للوقاية من المجاعة، وبالنظر إلى المجاعة التي ضربت الصين خلال الأعوام ١٩٥٨م حتى ١٩٦١م فحتى قبل الإصلاحيات الاقتصادية الأخيرة ظلت الصين أكثر نجاحاً من الهند فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية، فمتوسط العمر العادي مثلاً ارتفع في الصين أكثر منه في الهند، وقبل أن تبدأ إصلاحات عام ١٩٧٩م فإن هذا المتوسط كان قد وصل إلى مستوى عالٍ يقترب من ٧٠ عاماً الذي يشار إليه هذه الأيام، لقد تمكنت الصين مع ذلك من تجنب المجاعة، ويقدر الآن أن المجاعة التي ضربت الصين خلال الأعوام ١٩٥٨م إلى ١٩٦١م قتلت ما يقرب من ٣٠ مليون شخص، عشرة أضعاف ما أحدثه الجفاف الذي أصاب الهند المستعمرة البريطانية ١٩٤٣م.

لقد تسبب ما يسمى بالطفرة العظيمة إلى الأمام التي تبنتها الصين

خلال أواخر الخمسينيات، في خسارة هائلة لكن الحكومة الصينية رفضت الاعتراف بذلك وواصلت اتباع نفس السياسات الفاشلة لثلاثة أعوام أخرى، لكن من الصعب تصور أن يحدث مثل هذا في دولة لديها انتخابات دورية وصحافة مستقلة، وخلال تلك الكارثة المفجعة لم تتعرض الحكومة لأي ضغط من الصحف التي كانت خاضعة للسيطرة، أو من أحزاب المعارضة التي لم يكن مسموحاً بوجودها، حتى أن الافتقاد لنظام متحرر لنشر الأخبار ضلل الحكومة نفسها، فقد استسلمت لأساليبها الدعائية وللتقارير المنمقة التي كان يعدها مسؤولوا الأحزاب المحليون الذين يتنافسون لكسب ود (بكين) لقد ظهرت أدلة واضحة على أن المجاعة في طريقها إلى الذروة ومع ذلك فإن السلطات الصينية اقتنعت بشكل خاطئ بأن لديها ١٠٠ مليون طن متري من الحبوب أكثر مما كان لديها بالفعل، وهذه القضايا ما تزال مطروحة بالنسبة للصين اليوم، فمنذ بدء الإصلاحات الاقتصادية عام ١٩٧٩م ظلت السياسات الصينية الرسمية مستندة إلى تأكيد أهمية الحوافز السياسية، وعندما تمضي الأمور بشكل جيد نسبياً فإن الدور المهم للديمقراطية قد لا يكون مفقوداً إلى حدٍ كبير، لكن عندما تقع أخطاء كبيرة في وضع السياسة الاقتصادية فإن الفجوة تكون عميقة ومؤثرة، وهكذا فإن أهمية الاتجاهات الديمقراطية في الصين المعاصرة يجب أن تقيم وفقاً لهذا الأساس(٣).

ولو نظرنا إلى تقرير اليونيسيف عن الفقر وعن عدد الأطفال الذين يموتون في كل عام بسبب الجفاف ونقص السوائل، وما ينتج من أمراض

ونقص وتخلف ثم النظر إلى الدول التي تعاني من هذه الأمراض والموت للأسباب التي أوردتها المنظمة لعرفنا أن هناك ارتباطاً بين هذا وما ذكره (أمارتيا سين) عن الحقوق الإنسانية التي يكاد يفقدها أولئك الضعاف الذين يتعرضون للتعذيب والقهر الطبيعي نتيجة النقص في الغذاء والرعاية الصحية، وإذا قارنا سوء التغذية المزمن، في بعض الدول الغنية إلى ١٤٠٪ من حاجته الحقيقية كذلك في نصيب الفرد في أمريكا وفرنسا مثلاً أكثر من ١٢٠ ألف دولار سنوي، بينما نصيب الفرد ينخفض في مالاوي ورواندا إلى ٢٥٠ دولار، ولعل بعض الحكومات في دول العالم الثالث لو كانت توفر الحقوق الإنسانية لما انهارت القيم إلى الوضع السيىء الذي تحدد بالأرقام والواقع.

ثانياً: تجارة السلاح تكسب:

تعاظمت التجارة بالأسلحة في الآونة الأخيرة ولعل حرب الخليج الثانية التي كسبها (التحالف) بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية زادت العبء على دول الخليج بالذات، فكان النظام الحاكم في العراق هو المتسبب الأول لزيادة اقتناء السلاح، وحدا بالمنتفعين عقد الصفقات تلو الصفقات من الأسلحة بأنواعها المختلفة، سؤال الواقعي هنا يقول بكل أسف من المستفيد من المتاجرة بالسلاح؟ لقد خسرت دول الخليج مليارات الدولارات من أجل شراء السلاح وهي مجبورة في ذلك من أجل وضع حدٍ لبغاء النظام الحاكم في العراق، ولتسلطه وجبروته ومحاولة اختلال الكويت وما يليه من دول

الخليج؟ فلو أحكم النظام العقل وعاد إلى الرشد والالتزام بالدين لما لجأ إلى هذا الحال بعد انشغاله من إيران في حرب الخليج الأولى، وكان من جراء هذا العمل الإجرامي الجديد من تعد عربي على إخوته العرب إن ارتفع مستوى الإنفاق العسكري في الشرق الأوسط إلى ٥٦ مليار دولار في عام ١٩٩٧م والحال يقول أما كان للنظام العراقي أن يوفر هذه الأرقام من الدولارات التي قتلت شعب العراق وشعب الكويت للتعبئة لمواجهة إسرائيل؟ أليس من حق هذه الشعوب أن تنعم بهذه الأموال في إبراز تقدمها وتعليم أطفالها؟

إن الحقيقة مؤلمة في وضوح الأسباب التي أدت إلى انهيار القيم وللأسف الشديد، ولنقرأ بتمعن ملخص التقرير السنوي لمعهد الدراسات الاستراتيجية في لندن(٤).

«ارتفع الانفاق العسكري من منطقة الشرق الأوسط إلى ٥٦ مليار دولار في عام ١٩٩٧م الماضي من ٥٤ مليار دولار في عام ١٩٩٦م بزيادة تبلغ ٥٪ بالأسعار الحقيقية وفقاً لتقديرات التقرير السنوي للتوازن العسكري في العالم الذي أصدره معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن، وبينما زادت تجارة السلاح الدولية بنسبة ١٢٪ في العام الماضي فإن منطقة الشرق الأوسط كانت أكبر مستورد للسلاح في العام الماضي (١٧) مليار دولار مقابل ١٥ مليار دولار في ١٩٩٦م وكانت الولايات المتحدة أكبر مصدر للسلاح في العام الماضي (٢١) مليار دولار تمثل ٤٥٪ من إجمالي صادرات السلاح في العالم، وتليها بريطانيا ٦,٨ مليار دولار وفرنسا ٤,٧ مليار دولار وروسيا

التي تدهورت حصتها إلى ٢ر٥ مليار دولار مقابل ٦ر٣ مليار دولار في ١٩٩٦م وذلك بسبب الأزمة في آسيا، ثم إسرائيل ١ر٥ مليار دولار بزيادة ١٣٪ عن عام ١٩٩٦م وسجلت فرنسا زيادة ٢٦٪ في حصتها نتيجة تسليم طائرات إلى قطر وتايوان التي كانت أكبر دولة تتلقى شحنات أسلحة بقيمة ٧ مليارات دولار، وقال جون تسبمان مدير معهد الدراسات الاستراتيجية في مؤتمر صحفي عقده خبراء المعهد في لندن بمناسبة إصدار التقرير أن العام الحالي شهد لأول مرة استخدام صواريخ (كروز) التي تمثل قيمة تكنولوجية للأسلحة التقليدية ضد قواعد للإرهابيين المحتملين في إشارة إلى ضرب الولايات المتحدة قواعد مفترضة لأسامة بن لادن في أفغانستان، ووصف ذلك بأنه استخدام لأرفع مستويات التكنولوجيا العسكرية ضد أهداف بسيطة، وفي حين أن ذلك قد يبهر الرأي العام لفترة قصيرة فإن تأثيره محدود في الحد من نشاط الإرهاب، وأكد أن الإرهاب ليس حرباً يمكن شنه بأسلحة تستخدم في الحروب التقليدية، إذ يحتاج الإرهاب إلى معالجته عن طريق أساليب أخرى وبطرق غير علنية، وقال مسؤول آخر من المعهد أن أحد التحديات التي تواجه العالم هو ما أسماه بتخصيص الإرهاب، حيث يستطيع فرد مثل أسامة بن لادن لا يرتبط بحكومة معينة أن يحدث دماراً ويوقع خسائر ضد الأهداف التي يستهدفها، وأشار إلى أن تحدي الإرهاب حالياً في ظاهرة تخصيصه يماثل التحدي الذي يواجه العالم في الجريمة الدولية، من جهة أخرى أشار (تسبمان) إلى أن عام ١٩٩٨م شهد أيضاً ارتياح الزعماء الغربيين إلى فكرة أن الدبلوماسية تحقق نجاحاً عندما تكون

مدعومة بالقوة واستخدم (كوفي أنان) أمين عام الأمم المتحدة، هذا التعبير في الأزمة بين العراق والمفتشين الدوليين في فبراير (شباط) الماضي وكررت الولايات المتحدة وبريطانيا هذا عندما أبرم المبعوث الأمريكي (ريتشارد هولبروك) اتفاقه الأخير مع الرئيس الصربي (سلوبودان ملوشفيتش) لكن وجهة نظر المعهد كانت انتقادية لذلك مشيراً إلى أن النتيجة السياسية للتهديد باستخدام القوة عادة ما تكون أقل من الهدف السياسي للقوى التي تهدد بالقوة، وأشار (سيمان) إلى أن القوة الجوية لا تكفي وحدها فالغارات لن تجعل الرئيس العراقي (صدام حسين) ينفذ كل قرارات مجلس الأمن، كما أن الغارات ضد صربيا لن تجبرها على إعادة اللاجئين الألبان، وعندما يؤدي الحشد والتهديد بالقوة إلى نتيجة دبلوماسية يصبح من الصعب بناء هذا الحشد مرة ثانية سياسياً وفنياً، وهذا ما جعل دبلوماسية الضعفاء أكبر ديناميكية من التكفير الاستراتيجي للأقوياء على حد قوله، ولذلك فإن رأيه أن الطريقة الوحيدة لتحقيق الأهداف السياسية عن طريق التهديد بالقوة هو التهديد أيضاً بإرسال قوات على الأرض إلى البلد المستهدف وليس فقط حشد القوى الجوية.

وقد وزع المعهد مع تقرير التوازن العسكري خريطة بمناطق النزاعات في العالم تظهر عدد من دول المنطقة تتعرض إلى نزاعات مسلحة داخلية أو أعمال إرهاب مستمرة وأشار إلى أن تكلفة الصراع مع الجماعات المسلحة في الجزائر بلغت ١,٥ مليار دولار منذ عام ١٩٩٢، ورصدت الخريطة تكلفة هائلة للحروب الرئيسية التي شهدها العالم في القرن العشرين الحالي، إذ

بلغت تكلفة الحرب العالمية الأولى بأسعار عام ١٩٩٥م نحو ٣٥,٢ تريليون دولار، بينما كانت تكلفة الحرب العالمية الثانية ٤ تريليونات دولار، والحرب الكورية ١٩٥٠، ١٩٥٣م ٣٤٠ مليار دولار، وكلفت حرب السويس في ١٩٥٦م (فرنسا وبريطانيا) ١٣ مليار دولار، وكلفت حرب فيتنام الولايات المتحدة ٧٢٠ مليار، بينما كلفت حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧م إسرائيل ٣ مليارات دولار، وأنفقت مصر وإسرائيل ٢١ مليار دولار على حرب ١٩٧٣م وكلفت حرب أفغانستان الاتحاد السوفييتي السابق ١٦ مليار دولار، بينما تكلفة الحرب العراقية الإيرانية ١٥٠ مليار دولار، وأنفقت بريطانيا ٥ مليارات دولار على حرب (فوكلاند) ضد الأرجنتين بينما قدر المعهد تكلفة حرب الخليج ١٩٩٠ ، ١٩٩١م ١٠٢ مليار دولار.

ويشير تقرير المعهد الاستراتيجي إلى منطقة الشرق الأوسط بصفتها ما زالت منطقة توتر، إذ إن عملية السلام في الشرق الأوسط مازالت متعثرة، بينما ما زال العراق يحاول اختيار إدارة الولايات المتحدة ومجلس الأمن الدولي، ورغم التطورات الإيجابية الداخلية في إيران فإنها مازالت تثير مخاوف أمنية ببرامجها في مجال الصواريخ والأسلحة النووية، بينما توجد تهديدات أمنية أخرى مثل النزاع في الجزائر تجعل المنطقة مستعمرة كأكبر منطقة جغرافية لاستيراد السلاح في العالم.

ويلاحظ التقرير أن عدم الوصول إلى اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين حول الاقتراح الأمريكي بانسحاب نسبة ١٣٪ في الضفة

الغربية يجعل الوضع الأمني غير مستقر، كما أن العمليات العسكرية الإسرائيلية مازالت نشطة في جنوب لبنان إذ شنت ٧٠ غارة جوية ضد مواقع مفترضة لحزب الله حتى نهاية ١٩٩٨م، وبالنسبة إلى منطقة الخليج قال التقرير إن الأزمة الأخيرة مع العراق في فبراير (شباط) الماضي أظهرت الحاجة إلى حاملات الطائرات بعد رفض دول المنطقة استخدام أراضيها في شن هجمات على العراق، واستمر الحشد العسكري الأمريكي البريطاني ٦ أشهر ولكن تكلفته أظهرت حدود الولايات المتحدة في حشد عسكري لفترة مؤقتة، إذ طلبت الإدارة الأمريكية ميزانية إضافية تبلغ ١٫٤ مليار دولار، ويشير التقرير بشكل خاص إلى تجربة إيران في اختيار صاروخ شهاب ٣ متوسط المدى والذي يعتمد على تكنولوجيا الصاروخ الكوري الشمالي نودونغ ١ ويبلغ مداه ألف كيلو متر، وقال المعهد إنه غير معروف إذا كانت التجربة نجحت أم لا، إذ تقول بعض التقارير إن الصاروخ انفجر بعد دقيقتين من إطلاقه، ولكن هذا قد يكون متعمداً إذ قد يكون هذا هو الوقت الذي يستنفذ فيه الوقود وتنفصل الرأس لتواصل الطريق إلى هدفها، ويشير التقرير كذلك إلى استمرار النزاع الداخلي في الجزائر وإلى بعض التقارير عن تورط جهات حكومية في بعض المذابح أن المعهد يقول إنه لا يوجد دليل على ذلك.

ويلاحظ تقرير التوازن العسكري في العالم ارتفاع الإنفاق العسكري في منطقة الشرق الأوسط إلى ما بين ٨٫٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي وهي أعلى

نسبة عالمياً، وبينما زاد الانفاق في العامين الماضيين بنسبة ٥٪ فإنه سيزيد ١٪ في العام الحالي رغم هبوط أسعار النفط.

صفقة الإمارات:

ووصف الصفقة التي أبرمتها دولة الإمارات العربية المتحدة لشراء ٨٠ طائرة حربية أمريكية طراز أف ١٦ بأنها الأضخم في سوق السلاح الدولي منذ ١٩٩٢م، ويشير إلى أن الإمارات أبرمت صفقات قيمتها ١١ مليار دولار لشراء ٣٠ طائرة (ميراج ٩,٢٠٠٠) جديدة وتحديث ٣٣ طائرة ميراج و١٨ طائرة بريطانية (هوك) إضافة إلى صفقة الـ (إف ١٦) الأمريكية، وبالنسبة إلى إسرائيل يشير التقرير إلى أن ٦٠٠ مليون دولار من المساعدات الاقتصادية الأمريكية لها ستحول إلى المساعدة لتصل إلى ٤,٢ مليار دولار سنوياً من عام ٢٠٠٠م، وسيسمح لإسرائيل باستخدام المبلغ الإضافي في شراء معدات عسكرية منتجة في إسرائيل، بينما يبلغ المبلغ المسموح به حالياً ٤٧٥ مليون دولار من المساعدة العسكرية البالغة ١,٨ مليار دولار سنوياً، وسيتسلم الجيش الإسرائيلي أول بطاريتين من صواريخ (هوما) المضادة للصواريخ (الباليستية) في إطار برنامج تموله الولايات المتحدة العام المقبل، وستطلب إسرائيل تمويلاً للحصول على بطارية ثالثة، كما تسلمت في العام الماضي أول دفعة من طائرات (إف ١٥ إي) في إطار صفقة تبلغ ٢٥ طائرة مزودة بصواريخ حديثة (جوجو) من طراز (أمرام) ويسلط المعهد الضوء على أن كوريا الشمالية طورت صاروخاً من ثلاث مراحل أجرت

عليها تجارب في ٣١ أغسطس (آب) ويمكن أ يصل مداه أكثر من ٢٠٠٠ كم، وأشار إلى أن كوريا الشمالية مصممة على المضي قدماً في برامجها الصاروخية، لأنها في أشد الحاجة إلى عملات صعبة، وأن صادراتها من تكنولوجيا الصواريخ تسهم في زيادة التوتر في جنوب آسيا ومنطقة الخليج، خاصة تصدير تكنولوجيا صاروخ (نودونج) إلى باكستان وإيران ويستعرض التقرير أوضاع جيوش المنطقة كالتالي:

الجزائر: ١٢٢,٠٠٠ جندي و ١٥٠,٠٠٠ احتياط، ولديها ٩٥١ دبابة من أنواع مختلفة، و ٨١ طائرة حربية، و٦٥ طائرة هليوكبتر مسلحة، ولدى قواتها البحرية غواصتان إضافة إلى ثلاثة فرقاطات وسفن أخرى.

البحرين: ١١٠٠٠ جندي، و١٠٦ دبابة، و٢٤ طائرة قتال، و٢٦ هليوكبتر مسلحة.

مصر: ٤٥٠٠٠٠ جندي، و ٢٥٤٠٠٠ احتياط، و٨٥٠ دبابة (تي ٥٤،٥٥)، و٢٦٠ رمسيس، و٥٠٠تي ٦٢، و ١٧٠٠ أم ٦٠ و ٤٠٠ أم أي أيه ١ أبرامز، و ٥٨٥ طائرة قتال، و١٢٥ هليوكبتر مسلحة، ولدى بحريتها ٤ غواصات، و ٩ مدمرات، وفرقاطات، و٤٢ زورق صواريخ ودورية.

إيران: ٥٤٠,٠٠٠ جندي، و ٣٥٠,٠٠٠ احتياط، و ١٢٥,٠٠٠ حرس ثوري، و ١٤٠٠ دبابة من أنواع مختلفة، و ٣٠٧ طائرات قتال

(الأنواع الغربية مشكوك في صلاحيتها)، وتملك بحريتها ثلاث غواصات و ٣ فرقاطات، و ٦٥ زورق صواريخ ودورية.

العراق: ٤٢٩,٠٠٠ جندي، و ٦٥٠,٠٠٠ احتياط، و ٢٧٠٠ دبابة، ولديه ١٨٠ طائرة قتال، و ١٣٠ طائرة هجومية، بخلاف أنواع أخرى، ويعتقد أن ٥٥٪ فقط من الطائرات هي القادرة على العمل، وتملك بحريته فرقاطتين و ٦ زوارق دورية.

إسرائيل: ١٧٥,٠٠٠ جندي، و ٤٣٠,٠٠٠ احتياط، ويعتقد أن لديها ١٠٠ رأس نووية، وتملك ٤٣٠٠ دبابة، و ٤٧٤ طائرة قتال، إضافة إلى أن عدد يقرد بـ ٣٥٠ مخزنة، ١٣٧ هليوكبتر مسلحة، ولدى بحريتها ثلاث غواصات و ٥١ زورق دورية وصواريخ.

الأردن : ١٠٤,٥ آلاف جندي، و ٣٥,٠٠٠ احتياط، و ١٢١٧ دبابة، و ٩٣ طائرة قتال، و ١٦ هليوكبتر مسلحة.

الكويت: ١٥,٣ ألف جندي، و ٧,٣٢ ألفاً احتياطياً، ونحو ٣٠٠ دبابة و ١١ زورق دورية و ٧٠ طائرة قتال، و ٢٠ هليوكبتر مسلحة.

لبنان: ٥٥,٠٠٠ جندي، و ١١٠ دبابات و ٣ طائرات قتال، و٣ هليوكبتر مسلحة. ق.

ليبيا: ٦٥,٠٠٠ جندي، ٤٠,٠٠٠ احتياط، و ٥٦٠ دبابة من أنواع سوفياتية و ١٠,٤٠ دبابة مخزنة، و ٤٢٠ طائرة قتال، و ٥٢

هليوكبتر مسلحة، ولدى البحرية غواصتان و ٣ فرقاطات و ٣٣ زورقاً.

موريتانيا: ١٥٫٦ ألف جندي، و ٣٥ دبابة، و٧ طائرات قتال.

المغرب: ١٩٦٫٠٠٠ جندي، و ١٥٠٫٠٠٠ احتياط، و٦٢٤ دبابة و ٨٩ طائرة قتال، و ٢٤ هليوكبتر مسلحة، وفرقاطة و ٢٧ زورق دورية وصواريخ.

سلطنة عمان: ٤٣٫٠٠٠ جندي، وحوالي ١٠٠ دبابة، و ٤٠ طائرة قتال، و ١١ زورقاً.

السلطة الفلسطينية: ٣٥٫٠٠٠ شبه عسكري.

قطر: ١١٫٨ ألف جندي، و ٣٤ دبابة و ١٨ طائرة قتال و ١٨ هليوكبتر مسلحة.

السعودية: ١٠٥٫٠٠٠ جندي، ٥٧٫٠٠٠ حرس وطني، و ٣١٥ دبابة أم أيه ٢ أبرامز و ٢٩٠ أمكس، و ٤٥٠ أم ٦٠، ٣، ٤٣٧ طائرة قتال، و٨ فرقاطات، و ٢٩ زورقاً هجومياً وصواريخ.

سوريا: ٣٢٠٫٠٠٠ جندي، و ٥٠٠٫٠٠٠ احتياط، و ٤٦٠٠ دبابة و ٥٨٩ طائرة قتال، و ٧٢ هليوكبتر مسلحة، و ٣ غواصات وفرقاطتين، و ٢١ زورق صواريخ ودورية.

تونس: ٣٥٫٠٠٠ جندي، و ٤٤ طائرة قتال، و٧ طائرات هليوكبتر مسلحة.

الإمـــارات: ٦٤،٠٠٠ جندي، و ٣٠٠ دبابة، و ٩٩ طائرة قـــتـــال، و ٤٩ هليوكبتر مسلحة، ولدى بحريتها فرقاطتان، و ١٩ زورقاً.

اليـــمـــن: ٦١،٠٠٠ جندي، و ١٣٢٠ دبابة، و٤٩ طائرة قـــتـــال، و ٨- طائرات هليوكبتر، و ١٥ زورق دورية وصواريخ.

وقد علق الدكتور (أحمد الربعي[٥]) قائلاً:

التقرير السنوي لمعهد الدراسات الاستراتيجية في لندن حول التسلح في العالم يثير الرعب، والشرق الأوسط يشهد أكبر عملية تسلح في العالم، وصرف سكان الشرق الأوسط الذي يعاني من مشكلات تنموية حقيقية في حقول الصحة والتعليم والخدمات ما مجموعه ٤٥ مليار دولار خلال عام ١٩٩٧م وهو مؤشر حقيقي تعيشه منطقة تعج بالمشكلات والنزاعات العرقية والدينية، وترتفع فيها نسب الأمية إلى مستويات قياسية، التسلح يزداد والأزمة الاقتصادية تزداد، والتطرف وغياب التسامح وانتشار الحروب الداخلية تزداد، وفي الجزائر وحدها بلغت تكلفة الحرب مع الجماعات المتطرفة أكثر من ٥ مليارات دولار منذ عام ١٩٩٢م في وقت تنتشر فيه الأمراض في الجزائر وتتدهور الحالة الصحية للناس، وتغلق كثير من المدارس في وجه التلاميذ، في ظروف كهذه يتساءل المرء بكثير من الألم عن أرقام الصرف على التعليم والصحة والثقافة، وما هي ميزانيات الإعلام التنموي الذي يستهدف نشر فكر التسامح وقبول الرأي الآخر والاعتراف بالتعددية الاجتماعية والدينية واحترامها ورفض اللجوء إلى السلاح ووقف الحروب

الأهلية المدمرة، ما الذي تفعله المدرسة وأجهزة الإعلام ومنابر المساجد لنشر ثقافة بديلة معادية للحرب، والعنف، مؤمنة بحق الاختلاف بين البشر، وبحقهم في أن يعيشوا بسلام مع ما بينهم من فروقات عرقية ودينية واجتماعية في أجواء كهذه، لا نسمع عن كشف علمي في حقول الطب ولا عن افتتاح جامعات جديدة ولا عن برامج البحث العلمي ولكننا نسمع تفجيرات نووية في الهند وباكستان وتجارب للصاروخ شهاب في إيران، والصاروخ الكوري الشمالي الجديد الذي يستطيع قطع ٢٠٠٠ كيلو متر في أجواء كهذه تتسلح إسرائيل بشكل جنوني وترفض الانسحاب من الأراضي المحتلة، وتثير تركيا مشكلة مفتعلة كادت تصل إلى حرب مع سوريا، وتزداد الأزمة الاقتصادية الاجتماعية في العالم العربي، وليتنا نتأمل لأرقام التسلح ونتذكر أي عالم نريد لأطفالنا أن يعيشوا فيه ويمارسوا حياتهم دون خوف، ولا كلام لدينا عن هذا الوضع بعد هذه البيانات، وأهم التعليقات، ولكن إلى متى تأخذ تجارة السلاح موارد التنمية للعلوم والحياة.

ثالثاً: صور من السلوك:

تحدث في كل مجتمع بعض السلوكيات منها الجيد ومنها الرديء، ذلك أن الحياة مجموعة من السلوك تنعكس فيها تصرفات الإنسان الذي غاب عن التحضر، يقول الدكتور (فتحي سرور)[٦].

الإنسان هو مجموعة سلوكيات، فهي، أي السلوكيات، تدل على شخصيته، معتقداته، أفكاره، مدى تحضره أو تخلفه، ومدى استعداده

للتغيير إلى الأحسن أو إلى الأسوء وهي المحك الحقيقي لما هو عليه من خير أو شر من أمانة أو خيانة، من استقامة الطبع أو إعوجاجه، من ضمير حي أو ضمير ميت.

السلوكيات هي بطاقة التعريف الحقيقية لأي إنسان فبياناتها لا تكذب ولا يمكن تزييفها، فنحن نتعرف على الشخص رجلاً كان أم امرأة، صبياً كان أو فتاة، من جملة سلوكياته أو سلوكياتها، وقد يكون الشخص ذا طبيعة خيرة ولكنه يأتي أفعالاً أو يقول كلاماً معاكساً لما عليه في واقع الأمر وذلك على سبيل التقليد أو يظن أنه إذا فعل أشياء معينة احترمه المجتمع، أو أعجب به أقرانه، وقد تلزمه هذه السلوكيات مع الوقت فتصبح دون أن يدري من معالم شخصيته، وصار من الصعب عليه التخلص مما يكتسبه من عادات سيئة وسلوكيات خاطئة حتى لو أراد ذلك وقد يؤثر عليه سلباً في حياته وقد يلفظه المجتمع، فالناس لا تعرف الباطن، وإنما تأخذ بالظاهر، ولو أن كلاً منا فكر أن يكوِّن نفسه واختار سلوكياته بمحض إرادته وبوعي كامل لما يفعل لأحسن إلى نفسه إذ ستصبح له شخصية مستقلة لها معالمها وتضاريسها، ولكسب احترام الناس من حوله، فالناس تحترم الشخص الذي لديه شخصية متميزة، أما هؤلاء المقلدون فشخصياتهم مهتزة؛ لأنها غير حقيقية، وبدلاً من أن يتصرف الواحد منهم عى طبيعته، يحاول أن يقلد شخصيات أخرى، وقد تكون متناقضة، ولا رابطة بينها فلا تكون لشخصيته التي يقابل بها الناس معالم واضحة، فكيف تعامل الناس مع مثل

هذا الشخص؟ سوف يأخذونه باستخفاف، ولكنهم لن يأخذوه أبداً بجدية، ناهيك عن الاحترام.

ولو أن الإنسان حاول أن يتعرف على نفسه ويعرف ميوله واتجاهاته على حقيقتها ولزمها، مع محاولة صقلها والارتقاء بها، لأدى خدمة جليلة لنفسه لأنه سيشق طريقه في الحياة بجدية، وسيحاول أن يحسن فرصته في معترك الحياة، بأن يكتسب مهارات مطلوبة (طبعاً ليس منها اللعب بالبيضة والحجر) فالذين يلعبون بالبيضة والحجر سوف يكون مصيرهم أن ينقلب السحر على الساحر كما يقولون أن يتقن لغة أو أكثر، فاللغات أصبحت في غاية الأهمية في هذا العصر، وتهيئ فرصاً كثيرة لمن يتقنها لا تتاح لمن لا يتقنون أي لغة أجنبية ولا بأس أن يحصل على شهادات أكاديمية أو شهادات خبرة في مجالات، حبذا لو كانت غير مطروقة، فكلما أضاف الإنسان إلى رصيد خبراته العلمية أو العملية أو كليهما ضمن لنفسه مكاناً مرموقاً في حياته العملية، أما الشبان الفارغون يظنون أنهم يلفتون الأنظار إليهم (وبخاصة أنظار الفتيات) بقيادة سياراتهم بسرعة مجنونة أو بتسريحة شعر أحد المغنيين المحليين أو الأجانب أو بلبس سلسلة حول عنقه وهلم جراً، هؤلاء لا مستقبل لهم وقد حكموا على أنفسهم بأن يكونوا فاشلين تافهين غير منتجين، وأن يكونوا عالة على أهليهم وقد ينخرطون في حلقة الإدمان المفرغة التي لا مخرج منها في أغلب الحالات، والأهل مسوولون عن النصح والتقويم لأبنائهم وبناتهم وأن لا يتركوهم فريسة التقليد الأعمى للتافهين

الفـارغين، إلا إذا اختـاروا (أي الآباء) أن لا يمارسـوا دورهم في الإشـراف والرقابة والتوجيه وتركوا أبناءهم وبناتهم يعيشون حياتهم فعندئذٍ سوف تكون النهاية غير سارة على الإطلاق، بالنسبة للطرفين الآباء والأنباء أمانة إذا فرطنا فيها أو تراخينا في القيام بها فسوف يكون الندم موجعاً وبعد فوات الأوان واستعصاء التغيير، وستكون الفاتورة التي يتعين على الجميع سدادها باهظة.

ترك الحبل على الغارب للأبناء وتدليلهم والاستجابة لكل رغباتهم، المعقولة منها وغير المعقولة، هذه السياسة الخاطئة هي الوصفة الأكيدة لضياع الأبناء، بنين وبنات، وفقدهم إلى غير رجعة، وانظروا حولكم لتتأكدوا، والأبناء في النهاية وعندما يرون عاقبة أمرهم خسراناً يلومون آباءهم الذين استجابوا لكل رغباتهم ولم يربوهم التربية الصحيحة ولم يقوموا إعوجاجهم حال ظهوره وبلا تراخٍ أو إبطاء أو تساهل.

الإنجاب مسؤولية ينبغي على الآباء أن يكونوا واعين لها مستعدين لتحملها على الوجه الأكمل، وكل أن تخلوا عن القيام بما تفرضه هذه المسؤولية من واجبات أما بسبب انشغالهم بما يظنونه أهم، أو لأن الأب في ناحية والأم في ناحية أخرى، ولك منهما يعتبر أن هذه مسؤولية الآخر، أو لأي سبب غير ما تقدم، وما أكثر الأسباب وتنوعها والضحية هم الأبناء الذين يشبون وهم غير مدركين حقائق الحياة وما تفرضه من التزام بقيم وواجبات وسلوكيات جادة، فهم يأخذون الحياة على أنها فشخرة ومنظرة

ومباهاة بمصروف اليد الكبير الذي يحصلون عليه من الأب أو الأم أو الاثنين معاً فتكون العاقبة ألا يفلحوا في الدراسة، لأن الدراسة تتطلب الالتزام والجدية وهم لا يعرفون أي منهما ويظنون أن المصروف الذي يحصلون عليه ببذخ وبدون تعب وبغير مقابل وقد يكونوا على سبيل الرشوة! يظنون أن هذا المصروف يكفل لهم الحياة السهلة المترفة وهو المطلوب؟ فلماذا وجع الدماغ والدراسة والتحصيل وسهر الليالي لكي يحصلوا على وظيفة في النهاية فليقضوا إذاً أوقاتهم في السمر والفرفشة ونوادي الديسكو وصحبة البنات ولتذهب الدراسة إلى الجحيم ولكن إلى متى؟ سوف يأتي وقت يقال عنه راحت السكرة وجاءت الفكرة وسوف يواجههم مصير مظلم لن يجدوا عنه مصرفاً وسوف يعانون منه هم وآباؤهم الذين قصروا في أداء واجبهم نحو أبنائهم وبناتهم، تدور هذه الأفكار في ذهني حينما أرى شللاً من الصبية يجتمعون ويتسكعون على النواصي وفي النوادي وأمام المنازل ويدخنون ويتاحكون ويتغامزون، هل هذه التجمعات الصبيانية يمكن أن تفرخ خيراً أو تعود بالنفع على أي من أفرادها؟ أبداً.. إنها تفرخ البلطجة والجريمة والأفكار والمشروعات الشيطانية ، هل هؤلاء النشء وهم عماد المستقبل بالنسبة لأي وطن، يصلحون أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه أنفسهم وتجاه أسرهم وتجاه المجتمع؟ ـــــ لا أظن ذلك، بل إنهم سيكونون عالة على ذويهم، عبئاً على المجتمع ككل، بما يلحقونه من شرور وآثام وأعمال طائشة غير مسؤولة وسيكون لهم ضحايا كثيرون، بينما كان من الممكن أن يكونوا غرساً صالحاً وسواعد فنية منتجة، وأدمغة عامرة بالعلم والمعرفة وأفكاراً بناءة.

الحياة رسالة إما أن ننهض بها على وجهها وأما قصرنا في أدائها، وعلى كل منا أن يقرر إما أن يكون أو لا يكون، الحياة العبثية لا معنى لها، ولا هدف منها ولا يرتضيها لنفسه إلا شخص خامل عار من الموهبة أو الإدراك لقيمته، وما يمكن أن يحققه لنفسه ولمجتمعه من إنجازات وابتكارات تضيف إلى التراث الإنساني ككل، وتؤكد للإنسان وجوده وكيانه وقيمته، الإنسان لم يخلق عبثاً كما يظن الفارغون، بل خلقناه لأداء رسالة وانتهاج سلوكيات قويمة جادة، ثم نعود إلى الله لكي يلزم كل منا ما قدم لنفسه من خير أو من شر والله ينبهنا إلى هذه الحقيقة الأزلية التي ينبغي أن تكون نصب أعيننا ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾(المؤمنون ١١٥).

العاقبة ليست للفارغين الذين لا يدركون سبب وجودهم، ولا يحققون ذواتهم بالكد والسعي والاجتهاد وتحصيل العلوم والمعرفة والخبرة وإسداء الخير للآخرين تقرباً إلى الله، الإحساس بسبب وجودنا في الحياة مهم جداً لكل منها.

ويحدد هاشم عبده هاشم، لون السعادة مقارنة بالشقاء، فيقول: (٧).

يشعر الإنسان بكل سعادة الدنيا حينما يكون سبباً في إسعاد الآخرين، ويحس بكل التعاسة عندما يتسبب من غير قصد في مشاكل لغيره، ذلكم هم الإناس الطبيعيون، وتلكم هي طبيعة البشر الأسوياء، أما الآخرون، أما الذين يستمتعون بصنع الشقاء لغيرهم، أما الذين يتفننون في نسف حياة البشر المستقرة، أما الذين يبالغون في نصب الشراك المميتة لغيرهم، فإن

هؤلاء ليسوا بشراً وليسوا آدميين، وليسوا إنسانيين، ذلك أن الطبيعة العدوانية التي يتصفون بها تنطوي على عقلية تآمرية، لا تهدأ ولا تستقر، إلا في ظل العواصف وخلق الأزمات والمتاعب والنكبات للغير، وشخصية هذه طبيعتها، وذلك تكوينها، لا يحسن الاقتراب منها، أو التعامل معها، أو الاحتكاك بها، فضلاً عن الثقة بها أو الطمأنينة إليها، صحيح أن الحياة مليئة بهذا النوع من البشر، وصحيح أن بعض هؤلاء البشر (غامضون)، وصحيح أن اكتشافهم ليس سهلاً، وصحيح أن سلوكهم الأرقط قد لا ينكشف أمامك بسهولة، لكن الأكثر صحة هو أن تكون حذراً يقظاً باستمرار، حتى في لحظات الراحة، فإنك لا يجب أن تتخلى عن حذرك منهم، وأن تطلب الأمر أن تظل متوتراً على الدوام، فالتوتر، وإن جعلك في حالة قلق إلا أنه يحميك من السقوط ويجنبك الوقوع في الندم، وهذا يعني أن حياتك كلها ستفقد الإحساس بالأمان، وهذا صحيح، لكن قدرك هو هذا، قدرك أن تظل حريصاً، مفتوح العينين، واعياً لكل ما يدور حولك، ولا سيما إذا وجدت نفسك محاطاً، بأحد أو بعض هؤلاء الأشرار، والعياذ بالله.

إن التمعن في هذه الصور من السلوك التي ذكرها (فتحي سرور) كسلوكيات خاطئة، يجب ألا تغيب عنك الخبرة والتجربة هنا من شخصية تعرفت على واقع الحياة فأدركت أن هناك أخطاء وأن استمرار هذه الأخطاء يؤدي إلى زيادة الفساد والجريمة، وأن غياب الأسرة عن الإشراف والمتابعة علي أبنائها يعد مصدراً من مصادر الفساد، كالأسرة التي تنجب الأطفال ولا ترعاهم والأسرة التي تنجب من غير أن تدرك كيف تربي، وتتصرف؟

ومتى؟ وهل بإمكانها أداء ذلك، وتعد بذلك مصدراً للفساد ومصدراً للجريمة، وجاء هاشم عبده هاشم ليرسم خطاً بارزاً لمعالجة شخصية الإنسان وهي التصرفات والسلوكيات التي عرفها نفسياً واجتماعياً، وكأنه هنا يتساءل لماذا يشعر الإنسان بالسعادة عندما يكون سبباً في تعاسة الآخرين، وهل هذه من سلوك الآخرين، وكيف يتصف هذا الإنسان بالعدوانية ، والتآمر، ويطلب السعادة الرفيعة في هذه الدنيا، أن هاشم عبده هاشم حذر هذه الشخصية من السقوط بسبب سلوكياتهم الخاطئة، ولعلي هنا استميح القارئ في أن أفصح له كيف أصبحت كتابات ومختارات هذا الكتاب من تداعي انهيار القيم التي أضحت واجهة غير عادلة في مختلف المجتمعات، غير أن الوازع الديني لو تمسكت به البشرية تطبيقاً لتغير كل شيء.

الهامش والمراجع (الفصل الثامن)

١- Elizabith Flowers (1997) Health and Safty Education Quartely (83) Autumn., P 327.

٢- محمد المهنا. مختبر الرأي، عكاظ، جدة ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٨م ٢ / ٧ / ١٤١٩هـ ص١٩.

٣- أمارتيا سين. شروط تجنب المجاعات والكوارث الاقتصادية، الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٦٨)، (٧٢٦٩) ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٨م ٢ / ٧ / ١٤١٩هـ ص٨.

٤- علي إبراهيم. معهد الدراسات الاستراتيجية، الشرق الأوسط، لندن، (٧٢٦٩)، ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٨م ٣ / ٧ / ١٤١٩هـ ص ١٠.

٥- أحمد الربعي. بالمقلوب، الشرق الأوسط، لندن (٧٢٧٠) ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٨م ٤ / ٧ / ١٤١٩هـ ص ٣.

٦- فتحي سرور. سلوكيات خاطئة، الأهرام، القاهرة، ٢٥ / ٧ / ١٩٩٨م ص٨.

٧- هاشم عبده هاشم. إشراقة، عكاظ، جدة، ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٨م ٣ / ٧ / ١٤١٩هـ. ص٢.

الفصل التاسع

صدام الحضارات ونهاية التاريخ..
هل من علاقة في انهيار القيم...!!

أولاً: آراء أكثر من ٥٠٠٠ شخصية.

ثانياً: ماذا تعني التغيرات لنهاية التاريخ.

ثالثاً: تحديات وصحوة متجددة.

صدام الحضارات ونهاية التاريخ.. هل من علاقة في انهيار القيم؟!

إذا كانت مجالات الاهتمام بدراسة القيم قد تحددت حسب ما تناولته سلسلة عالم المعرفة في كتابها رقم (١٦٠) عن ارتقاء القيم للدكتور (عبداللطيف محمد خليفة) على النحو التالي منذ أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين وجاءت مركّزة على ثلاثة جوانب أساسية [١] وهي:

١- الاهتمام بدراسة الفروق الفردية في القيم وذلك في ضوء علاقاتها بعدد من المتغيرات: كالجنس، وسمات الشخصية، والديانة، والاهتمام الأكاديمي، والمهني، والتوافق النفسي.. إلخ.

٢- دراسة القيم في علاقاتها بالقدرات المعرفية للفرد وذلك باعتبار أن القيم عملية متأثرة بإدراك الفرد، فهي في أساسها عملية انتقاء (Selection) فاختيار الفرد موضوع معين وإعطائه أهمية أو قيمه عن موضوع آخر، عبارة عن عملية إدراكية انتقائية أو اختيارية.

٣- مجال اكتساب القيم، وارتقائها، عبر العمر، والعوامل المؤثرة أو المرتبطة بذلك باعتبارها من المجالات المهمة، والتي تقدم لنا خريطة لمعالم هذه القيم، وأبعادها ومكوناتها وأشكال تغيرها عبر العمر، كل هذا جاء فيما ذكره (Dukes. W) عن القيم النفسية للإنسان في عام ١٩٥٥م.

فإن موضوع كتابنا في اتجاهاته جاءت على نحو مماثل للجوانب الإنسانية

الثلاث من غير أن تكون هناك دراسة مقارنة للسقوط أو انهيار القيم من الناحية الأخرى التي بدأت تزداد حدتها مع نهاية القرن العشرين، وقد لجأ المؤلف إلى الاعتماد على العديد من المصادر عن الدراسات البحثية، الكتب وما ينشر في بعض الصحف، كما وجد المؤلف أن للاختيارات لما يتناسب والموضوع شيء أساسي لبيان ما أسماه بانهيار القيم، ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين، ومن ناحية أخرى ذهب المؤلف إلى استطلاع آراء أكثر من ٥٠٠٠ شخصية من العالم العربي (مثقفين وغيرهم) من غير اللجوء إلى دراسة علمية مكررة، وكانت الآراء تدور حول المحاور التالية:

١- الاعتداء الفردي: (قبلي، جنسي، مهني، مادي، ديني.. إلخ)، هل هو في الازدياد أم النقص؟، وكانت الإجابة بنسبة ٩٢٪ تشير إلى الزيادة، وخاصة الاعتداء الفردي الجنسي، يليه المادي.

٢- الاعتداء الجماعي: (قبلي جنسي، مهني، مادي، ديني.. إلخ)، وكانت الإجابة بنسبة ٥٦٪، وتتمثل في صورة الأحزاب والديانات أكثر من غيرها، وهو ما يحدث من قبل البعض في شكل أحزاب، أو جماعات تدعي النصح عن طريق الدين باستعمال القتل، بعيدة عن الدين وعن الاتجاه الصحيح.

٣- الاعتداء على حقوق الآخرين: (البحوث الكتب، وأنواع أخرى) كانت نسبة الإجابة بنحو ٨٩٪ مؤيدة الزيادة بسبب عدم وجود حماية للحقوق الفكرية والأدبية.

٤- اعتداء دولة على دولة، مثال (العراق على الكويت). أفادت نسبة ٩٤٪ بأن هذا لا يتفق مع مبادئ الدين والإنسانية، بل لا يجوز على الإطلاق.

٥- المؤثرات: (المادية، الأسرية، الإعلامية، الثقافة المتنوعة) سلبياتها أكثر من الإيجابيات، أفادت نسبة ٨٨٪ بأن هناك زيادة في التأثر على الفرد مادياً وإعلامياً، من الناحية السلبية، مما زاد من الجريمة والقتل والفساد، بكل أنواعه.

٦- أثر سلوك الفرد من ناحية احترام الأسرة، المدرسة، العمل، الوقت، الأشياء (سلباً) (إيجاباً) وقد كانت نسبة السلبيات مرتفعة إلى ٨٧٪، وبالرغم أن الرأي هنا كان مبنياً على استطلاع الرأي فقط، إلا أن ارتباطها (أي هذه الآراء) بما ذكرته فصول الكتاب أعطت انطباعاً جيداً، قد لا نحبذه، لأنه كان سلبياً أكثر منه إيجابياً، وهذا ما أردكناه في المسمى الأساس (لانهيار القيم) في وقت نحن ندرك أننا أمام تحديات الزمن الذي سوف يصادف شرائح مختلفة ومتنوعة من أجيال يختلط فيها التجريب بالخبرة، والمهارة، بقوة التكنولوجيا، في القرن الحادي والعشرين وأنا هنا لم ألجأ إلى التحليل بالتفصيل، لأنه لن يجد من يقرأه، لذلك وضحت النتائج بأقصر الطرق، التي قد أتناولها مستقبلاً في دراسة موسعة عن الموضوع.

ماذا تعني التغيرات لنهاية التاريخ؟!

أخذ اسم فرانسيس فوكوياما و(نهاية التاريخ) يحدث دوياً على

مستوى العالم منذ أن كتب مقالته التي تحمل نفس الاسم في ١٩٨٩م حيث أشار إلى نظام الحكم الأمثل، وبمعنى آخر ضمان الوصول إلى هذا النظام هو نهاية التاريخ، وعندما يتكلم عن الوصول إلى نظام أمثل يعد نهاية التاريخ، فهو يقول، في فيلم للمخرج الاسترالي (جورج ميللر) بعنوان (مقاتل على الطريق) نجد أن حضارتنا الحالية القائمة على البترول قد انهارت نتيجة لحرب سرية وضاع العلم، ويصور المخرج أبطال قصته يحاولون سرقة الجازولين والطلقات، كل من الآخر، لأن كل ما كانت تقدمه التكنولوجيا قد فني، إن إمكانية حدوث تدمير أو فناء لحضارتنا التكنولوجية الحديثة وعودتنا المفاجئة إلى البربرية كان موضوع متصل ومستمر لروايات الخيال العلمي، خاصة في فترة ما بعد الحرب، عندما جعل اختراع الأسلحة النووية هذا الأمر يبدو ممكناً، وواقعياً، أما نوع البربرية الذي قد ينحدر إليه البشر إذا ما انهارت الحضارات الحديثة، فهو ليس بعثاً خالصاً للصور الأولى من التنظيم الاجتماعي، بل سيصبح خليطاً من الصور الاجتماعية القديمة والتكنولوجيا الحديثة(٢).

إن (فوكوياما) الذي لقي معارضات ومناقشات حول هذا الموضوع في أصله كمحاضره لم يكن يعني كما وضح إلى نهاية التاريخ قد تحدث بنهاية الحروب الكبيرة، وبالتطور والتكنولوجيا، وغزو الفضاء، ورحلات الفضاء، للإنسان.. إلخ، وإنما أراد أن يبدي رأيه في أن الأنظمة الحاكمة عندما تصل إلى الرأسمالية الليبرالية سوف تكون نهاية التاريخ، للوصول إلى الحكم الأمثل، وكأن (فوكوياما) لم يدرس التاريخ جيداً من واقع أنظمته المتعددة

في الصالح منه أو غير الصالح، والدليل على ذلك أن هناك من الأنظمة الملكية الجيدة لا تزال موجودة لأنها أساساً قائمة على العدالة، وحب النظام في حد ذاته، وتهيئة المكانة اللائقة للفرد، لكي يعيش حياته المستقلة وفق أسس ارتبطت بالدين وبالمجتمع وبالتنمية، في حين أن أنظمة أخرى لم تنجح سواء كانت جمهورية أو فاشية أو شيوعية، ولا يزال الفرد في هذه المجتمعات يعاني الكثير من المرارة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

وبحكم التغيرات، والمثالية فإن العديد من المجتمعات لا تزال تعاني من أعمال الإرهاب والقتل والتدمير، والسلوكيات المرفوضة، إلا أن هذا لا يعني أن تكون هناك مثالية ١٠٠٪ في العالم، حتى هذه السلوكيات التي أدت إلى انهيار القيم لا تدل على نهاية التاريخ، لأن النهاية هنا لا يعلمها إلا خالق هذا الكون سبحانه وتعالى، إما بوجود المثالية التي يعني تحقيق الأحلام الأفلاطونية في زمن ازداد فيه مستوى الجريمة، فإن التغيرات سوف تستمر، ولكن لن تكون هناك مثالية كاملة لنكون منها نهاية للتاريخ في أحكام ونظم هي من صنع البشرية.

ولست مع الذين يدعون بأن (العولمة) نظام جديد أو فكرة جديدة، لأن بعض الشعوب والأمم كونت العديد من العلاقات في مختلف المصالح التجارية والزراعية والصناعية، وأن الحروب كونت تلاقياً مع الأمم المتحاربة، وأن التكنولوجيا المتطورة أصبحت في كل بيت ، ولم تقتصر على أمة عن غيرها، اللهم إلا من بعض الشعوب المنغلقة، وهي قليلة جداً، بل أضحت نادرة، ومع تراكم المشاكل الاقتصادية والسياسية، يجب أن تحدد الدول

قوتها في المحافظة على القيم النظيفة بالتوعية والحرص على الحصول على الحاجة، حتى لا تنهار الأخلاقيات الصادقة، أمام التصرفات البذيئة والشاذة.

تحديات وصحوة متجددة:

عندما يؤكد (صامويل هنتنجتون) في كتابه (صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي)، على أن الصحوة الإسلامية مثل كل الحركات المشابهة، بما فيها الإصلاح، سوف تخلف أيضاً ميراثاً مهماً، سيصبح المسلمون أكثر وعياً بالعامل المشتركة وبما يميزهم عن غيرهم، ويضيف (هنتجتون) أن السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين من المرجح أن تشهد صحوة مستمرة في القوة والثقافة غير الغربية، وفي الصراع بين شعوب الحضارات غير الغربية والحضارات الغربية وبين بعضها بعضاً[٣].

وقد اخترت هذه الجمل من بين فصول كتابه لأنهم تتكلم عن جانب له أهميته بالنسبة لوضع العالم حاضراً ومستقبلاً، إلا أن الصحوة الإسلامية التي يتكلم عنها (هنتجتون) هي موجودة فعلاً، غير أنها اختلطت ببعض الثقافات الدخيلة أو نوعية من الصفات التي أدت إلى أن البعض يعتبر الصحوة الإسلامية ما هي إلا صورة للإرهاب في أشكاله المتعددة، لذلك نقف أمام كلمة الإرهاب التي صاحبت الصحوة الإسلامية باعتبار أن الإسلام ليست له أي صفة إرهابية، فهو دين السلام والحرية، إنما هناك ممن تأثروا ببعض الأفكار الغريبة أدخلوا عنصر الإسلام في محنتهم لكي تكون حلقة اتصال لاستمرار أخطائهم، في كونها، هي الطريق الصحيح نحو السلامة،

ومنها وجدنا صوراً متعددة للجرائم وحلقات الفساد التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم.

إن الصحوة الإسلامية المطلوبة أن تكون مبنية على أسس صحيحة بعيداً عن القتل والتدمير والسبي، والعودة إلى ظلمات الجاهلية، وأن نهاية القرن العشرين وبداية القرن الجديد سوف تشهد الكثير من المتغيرات، خاصة أننا أمام انفتاح جديد وهو (القنوات الفضائية) التي غزت العالم، والتي بدأت تؤثر في سلوكيات الإنسان بشكل يحتاج، أولاً وأخيراً العودة إلى الدين، وإلى الصفات الحميدة التي أقرتها التشريعات السماوية وإلى الخيار الصحيح للأمن الإنساني.

الهوامش والمراجع (الفصل التاسع)

١- عبداللطيف خليفه، ارتقاء القيم، عالم المعرفة، الكويت، ١٦٠، أبريل، ١٩٩٢م رمضان ١٤١٢هـ ص ١٧.

٢- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ (مترجم) دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٣م ص ٩٩.

٣- صامويل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، (مترجم) دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م ص ٩١٩.

جانب من السيرة الذاتية للمؤلف

الدكتور: زكريا يحيى لال

المملكة العربية السعودية

ص.ب: ٢٠٧٠ مكة المكرمة

المؤهلات العلمية: (بالترتيب التنازلي):

الدرجة العلمية	الجهة المانحة لها	عنوان الجهة المانحة	التاريخ
دكتوراه الفلسفة الاتصال التربوي والتكنولوجيا PH.D ماجستير في الإدارة والتخطيط التربوي	جامعة بتسبرج - كلية التربية - قسم الاتصال التربوي والتكنولوجيا جامعة الملك عبدالعزيز (أم القرى) حالياً، كلية التربية قسم الإدارة والتخطيط التربوي	مدينة بتسبرج - ولاية بنسلفانيا - الولايات المتحدة الأمريكية مكة المكرمة المملكة العربية السعودية	١٩٨٧/٢/٢٢م ١٤٠٧هـ ١٩٨٠م ١٤٠٠هـ
ماجستير في الصحافة والإعلام	كلية الإعلام - جامعة فيلادلفيا - بنسلفانيا - الولايات المتحدة الأمريكية	فيلادلفيا - بنسلفانيا - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٦م ١٤٠٦هـ
دبلوم خاص في الإدارة والتخطيط التربوي	جامعة الملك عبدالعزيز (أم القرى) حالياً، كلية التربية قسم الإدارة والتخطيط التربوي	مكة المكرمة المملكة العربية السعودية	١٩٧٩م ١٣٩٩هـ
دبلوم (في فن الخبر الصحفي)	جامعة القاهرة	جمهورية مصر العربية	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
دبلوم في الصحافة (الإخراج الصحفي)	الجامعة اللبنانية - بيروت	لبنان	١٣٩٤هـ ١٩٧٤م
دبلوم في الصحافة والإعلام	جامعة الملك عبدالعزيز - جدة	المملكة العربية السعودية	١٣٩٨هـ ١٩٧٤م
بكالوريوس حضارة وتاريخ	جامعة الملك عبدالعزيز (أم القرى) حالياً، كلية الشريعة قسم الحضارة والتاريخ	مكة المكرمة المملكة العربية السعودية	١٩٧٦م ١٣٩٦هـ

الخبرات العلمية: الأحدث فالأقدم

المرتبة الوظيفية	جهة العمل وعنوانها	التاريخ
أستاذ مشارك	جامعة أم القرى - مكة المكرمة - كلية التربية	من ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
أستاذ مشارك	جامعة الملك فيصل بالأحساء - كلية التربية	من ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
أستاذ مساعد	جامعة الملك فيصل بالأحساء - كلية التربية	من ١٤٠٨ - ١٤١٧هـ / ١٩٨٨-١٩٩٧م
محاضر	جامعة الملك فيصل بالأحساء - كلية التربية	من ١٤٠٢-١٤٠٣هـ / ١٩٧٦-١٩٨١م
مدرس وإداري	وزارة المعارف - إدارة التعليم بمكة	١٣٩٦-١٤٠١هـ / ١٩٧٦ - ١٩٨١م

أبحاث علمية محكمة ومنشورة: (له أكثر من ١٥، دراسة علمية محكمة ومنشورة.

المؤلفات العلمية:

م		
١	كتاب (تعليم الكبار ومحو الأمية بين النظرية والتطبيق)	الطبعة الأولى - مكتبة العبيكان للطباعة والنشر الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٢	كتاب (مقدمة في الاتصال وتكنولوجيا التعليم (مشترك)	الطبعة الثانية - مكتبة العبيكان للطباعة والنشر الرياض الطبعة الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م
٣	كتاب (التربية العملية)	الطبعة الثانية: جامعة الملك فيصل، الدمام، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
٤	كتاب انهيار القيم	مكتبة العبيكان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

العضوية في الهيئات والجمعيات العلمية المهنية:

١- عضو الجمعية التربوية في الصحافة والإعلام (A.J.M.C.) جامعة جنوب كارولينا الولايات المتحدة الأمريكية من ٥-
٣- عضو الجمعية التربوية للاتصال والتكنولوجيا. الولايات المتحدة الأمريكية (AECT) منذ عام ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ.

٤- عضو جمعية تكنولوجيا التعليم، الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم. القاهرة، جمهورية مصر العربية منذ عام ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ.

٥- عضو الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس (ECCI) كلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة، جمهورية مصر العربية، من ذعام ١٩٩٣م - ١٤٠٢هـ.

٦- عضو جمعية العلوم التربوية والنفسية، جامعة الملك سعود، الرياض، (جستن) منذ ١٩٩٥م - ١٤١٥هـ.

٧- عضو النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية بالدمام - المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٨٩م حتى ١٩٩٦م - ١٤٠٩هـ إلى ١٤١٦هـ.

٨- عضو نادي الوحدة الرياضي الثقافي، مكة المكرمة ١٣٩٩-١٤٠١هـ، ١٩٨٩ إلى ١٩٨١م.

المنح والجوائز:

اسم الجائزة	مكان وتاريخ الحصول عليها
درع التفوق - النادي السعودي في بتسبرج	مدينة بتسبرج، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ.
جائزة التفوق الدراسي - جامعة بتسبرج	مدينة بتسبرج، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ.

- أسس صحيفة الجامعة (النشرة الإعلامية) بجامعة الملك فيصل ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م
- يقوم بالتدريس لمرحلتي الدراسات الجامعية العليا.
- الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه.
- حالياً المشرف العام على إدارة العلاقات العامة بجامعة أم القرى.
- شارك في الصحافة المحلية كمحرر، ومراسل صحفي، وسكرتير تحرير.
- له بعض الزوايا التي يكتب فيها بالصحف المحلية، ومنها الندوة، عكاظ.
- شارك في أكثر من ٥٠ مؤتمراً علمياً بالداخل والخارج.